MEMOIR

فيروزة دوماس | ترجمة: بثينة الإبراهيم

30.12.2016

مضحك بالفارسية

مذكرات إيرانية نشأت في أمريكا

فيروزة دوماس

مضحك بالفارسية

مذكرات إيرانية نشأت في أمريكا

ترجمة: بثينة الإبراهيم

مسارات للنشر والتوزيع
MASARAT PUBLISHING & DISTRIBUTION

2016

Twitter: @ketab_n

مضحک بالفارسية/ مذكرات إيرانية نشأت في أمريكا

فيروزة دوماس ترجمة: بثينة الإبراهيم

Twitter: @ketab_n

مضحك بالفارسية/ مذكرات إيرانية نشأت في أمريكا
فيروزة دوماس ترجمة: بثينة الإبراهيم

الإخراج: ستوديو سيماء

الطبعة الأولى- فبراير 2016
ISBN : 3 - 43 - 90 - 99966 - 978
رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية- دولة الكويت
2016/252

جميع الحقوق محفوظة

مسارات للنشر والتوزيع
MASARAT PUBLISHING & DISTRIBUTION

هاتف/ واتس آب: 66560700 965+
البريد الإلكتروني: dar.masarat@hotmail.com
تويتر: @darmasarat1
انستغرام: dar_massarat

© Masarat Publishing & Distribution
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

الإهداء

إلى أبي كاظم

الذي يحب سرد القصص

وإلى أمي نظيرة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

شكر وامتنان

أود أن أعبر عن شكري لبوني ناديل لاختيارها المجازفة ولاقتراحها العنوان، ولأنها كانت دائمًا صوتًا مساندًا على الطرف الآخر من الخط، وللجميع في فيلارد بوكس وبالتحديد للمحرر الموهوب بروس تريسي الذي حقق حدسه ومهارته في ضبط الأمور وضحكته الرائعة مشروع الحلم هذا، ولجين مارتين وف.د و ن.ك وس.م لإسعادي، ولـ ل، ب و سي.ك و ك.ك ومجموعة نزهات يوم الخميس لإثباتهم لي أن تسلق التلال لا بد أن يكون بصحبة الأصدقاء، وإلى أقاربي الذين يضحكون بلا لكنة، شكرًا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مدرسة ليفنغويل الابتدائية

عندما كنت في السابعة، انتقلنا - والداي وأخي ذو الأربعة عشر عامًا فرشيد وأنا- إلى وايتيير/ كاليفورنيا قادمين من عبادان في إيران. أما أخي فريد، الأكبر بين أخويّ، فقد أرسل إلى فيلادفيا قبل ذلك بعام ليرتاد المدرسة الثانوية. كان يحلم دومًا، مثل كل الشباب الإيرانيين، بارتياد جامعة خارج البلاد، وقد تركنا ليعيش مع عمي وزوجته الأمريكية رغم بكاء أمي. كنت حزينة أيضًا لرحيل فريد، لكن سرعان ما خبا حزني -ليس بالصدفة- حين استلمت طردًا منه. لقد بدا فجأة وجود أخي في قارة مختلفة مثل ثمن زهيد علي دفعه مقابل الحصول على طقم باربي كاملًا بالإضافة إلى حقيبة وأربعة ثياب بما فيها معطف مطري ومظلة صغيرة.

كان انتقالنا إلى وايتيير مؤقتًا، فقد انتدب والدي كاظم، الذي يعمل مهندسًا في الشركة الوطنية الإيرانية للنفط، ليكون مستشارًا لشركة أمريكية لعامين. وباعتباره أمضى سنوات عديدة في تكساس وكاليفورنيا كطالب جامعي، فقد كان والدي يتحدث كثيرًا عن أمريكا بإعجاب وبلاغة تكرس عادة للحب الأول. لقد كانت أمريكا بالنسبة له مكانًا يمكن لأي شخص فيه أن يصبح مهمًا بغض النظر عن مدى وضاعة خلفيته، فقد كانت أرضًا طيبة منظمة تكثر فيها الحمامات النظيفة، وبلادًا يخضع فيها الجميع لقوانين المرور وتقفز فيها الحيتان عبر الحلقات. لقد كانت أرض الميعاد. أما بالنسبة لي فقد كانت مكانًا أستطيع به شراء المزيد من الثياب لباربي.

وصلنا وايتيير بعد انتقالي إلى الصف الثاني بفترة قصيرة، فسجلني أبي

Twitter: @ketab_n

في مدرسة ليفنغويل الابتدائية، و رتبت المديرة لقاء مع معلمتي الجديدة السيدة ساندبيرغ كي تسهل عملية تأقلمي. وباعتبار أننا أمي وأنا لم نكن نتحدث الإنجليزية، فقد كان اللقاء قائمًا على الحوار بين السيدة ساندبيرغ وأبي، الذي وضح باهتمام أنني ارتدت روضة أطفال رفيعة المستوى يتعلم فيها الأطفال كلهم الإنجليزية. فدعاني أبي المتحمس لنيل إعجاب السيدة ساندبيرغ أن أستعرض مواهبي باللغة الإنجليزية، فنهضت باعتدال وتلوت بفخر كل ما أعرفه:"أبيض، أصفر، برتقالي، أحمر، أرجواني، أزرق، أخضر."

الاثنين التالي أوصلنا أبي- أنا وأمي- إلى المدرسة، ورأى أن ذهاب أمي إلى المدرسة بصحبتي لبضعة أسابيع سيكون فكرة جيدة، ولم أفهم كيف يمكن لشخصين لا يتحدثان الإنجليزية أن يكونا أفضل من واحد، لكني كنت في السابعة ورأيي لا يعتد به.

لم أكن أنظر إلى أمي على أنها عامل إحراج حتى يومي الأول في مدرسة ليفنغويل الابتدائية، لكن رؤية كل الأطفال في المدرسة يحدقون بنا قبل قرع الجرس كان كافيًا ليجعلني أتظاهر أنني لا أعرفها! رن الجرس أخيرًا وجاءت السيدة ساندبيرغ ورافقتنا إلى الفصل. لقد أدركتْ تمامًا، لحسن حظنا، أننا سنحتاج مساعدة في العثور على الفصل الصحيح.

جلسنا أمي وأنا في آخر الفصل بينما جلس كل الأطفال في مقاعدهم المحددة. واصل الجميع تحديقهم بنا، فكتبت السيدة ساندبيرغ اسمي على اللوح: ف. ي. ر. و. ز. ة، وكتبت تحت اسمي "إيران". ثم سحبت خارطة العالم وقالت شيئًا ما لأمي، فنظرت أمي إليّ وسألتني عما قالته، فقلت لها أن المعلمة غالبًا تريدها أن تشير إلى موقع إيران على الخارطة.

المشكلة أن أمي، مثل معظم الأمهات من جيلها، نالت نصيبًا قليلًا من

Twitter: @ketab_n

التعليم. ففي حقبتها، كان هدف الفتاة الوحيد في الحياة هو العثور على زوج! و كان التعليم يأتي في أدنى قائمة الصفات المطلوبة كالمهارة في تحضير الشاي أو إعداد البقلاوة. تمنت أمي نظيرة قبل زواجها أن تصبح مولّدة، فرفض والدها - الرجل التقدمي إلى حد ما- الخاطبين اللذين تقدما إليها لتتمكن ابنته من تحقيق حلمها. خططت أمي لنيل الشهادة ومن ثم التوجه إلى تبريز لتتعلم القبالة من مدرّسة يعرفها جدي، لسوء الحظ توفيت المدرّسة فجأة، واضطرت أمي لدفن أحلامها أيضًا.

كان الخاطب الثالث هو أبي. وكسابقيْه لم يكن قد تحدث إلى أمي مرةً، ولكن أحد أبناء عمومته يعرف أحدًا يعرف خالتي، وكان هذا كافيًا. وعلاوة على ذلك، كانت أمي ملائمة لشروط أبي من الناحية الجسدية في زوجة المستقبل. ككل الإيرانيين، كان أبي يفضل امرأة فاتحة البشرة بشعر ناعم فاتح. لأنه أمضى سنة في أمريكا كطالب في منحة فُل برايت[1]، فقد عاد أبي يحمل صورة لامرأة يراها جذابة وطلب من أخته الكبرى صدّيقة أن تبحث له عمن تشبهها. بحثت صدّيقة وسألت، وهنا تخلت أمي ذات السبعة عشر عامًا عن أحلامها وتزوجت بأبي ورزقت بطفل في نهاية العام.

أشارت السيدة ساندبيرغ إلى أمي بالتقدم نحو اللوح فيما ظل التلاميذ يحدقون بنا، واستجابت أمي على مضض، وانكمشت أنا. بدأت السيدة ساندبيرغ التي كانت تستخدم عددًا من إشارات اليد بدأت بالإشارة إلى الخريطة قائلة: "إيران؟إيران؟ إيران؟" من الواضح أن السيدة ساندبيرغ أرادت أن تجعلنا نندمج بدرس اليوم، كم تمنيت لو أنها أخبرتنا ذلك قبلًا

(1)- منحة فل برايت : برنامج منح تعليمية أسسه السناتور ويليام فل برايت عام 1946 .

Twitter: @ketab_n

لكنا استطعنا البقاء في المنزل.

بعد محاولات شاقة من أمي للعثور على إيران على الخارطة، أدركت السيدة ساندبيرغ أخيرًا أن سبب المشكلة لم يكن في جهل أمي باللغة الإنجليزية، بل جهلها بجغرافيا العالم. ثم أشارت لأمي وهي تبتسم بلطف أن تعود إلى مقعدها، وبينت للجميع بمن فيهم أمي وأنا أين تقع إيران على الخارطة. هزت أمي رأسها متظاهرة أنها كانت تعرف الموقع طوال الوقت لكنها فضلت أن تبقيه سرًا. حدق بنا الطلاب مجددًا ليس فقط لأنني حضرت إلى المدرسة مصطحبة أمي، ولا لأننا لا نتحدث لغتهم، ولكن لأننا غبيتين. غضبت من أمي بشكل خاص لأنها أفسدت الانطباع الإيجابي الذي تركته سابقًا عندما عددتُ عجلة الألوان، وقررت أنه بدءًا من يوم غد، على أمي أن تبقى في المنزل.

قرع الجرس أخيرًا وحان الوقت لمغادرتنا. كانت المدرسة تقع على بعد بضع بنايات من منزلنا، وافترض أبي، الذي استبعد إمكانية ضياعنا، أننا أمي وأنا سنكون قادرتين على العودة إلى البيت. كنا نتجول بلا هدف، آملتين ربما بالعثور على شهاب أو حيوان ناطق يرشدنا إلى طريق العودة. لم يبد أي من الشوارع أو المنازل مألوفًا. أثناء وقوفنا للتفكير في مأزقنا، جاءت فتاة صغيرة مندفعة خارجة من منزلها وقالت شيئًا ما، ولأننا لم نكن قادرتين على فهم ما تقول، فعلنا ما كنا نفعله طوال اليوم: ابتسمنا. انضمت إلينا والدة الفتاة، وأشارت إلينا أن نتبعها، فافترضت أن الفتاة التي تبين أنها في مثل عمري وأنها طالبة في ابتدائية ليفينغويل، وأن دعوتها لنا لمنزلها كانت كما لو أن السيرك يزورها شخصيًا.

قدمت والدتها لنا الهاتف، فاتصلت أمي التي تحفظ هاتف مقر عمل أبي- حمدًا لله- وشرحت له حالتنا، تحدث بعدها أبي إلى المرأة

Twitter: @ketab_n

الأمريكية وأعطاها عنواننا، فوافقت هذه الغريبة اللطيفة على اصطحابنا إلى المنزل.

رافقتنا المرأة وابنتها ، ربما لخوفهما من أن نطرق بابهما ثانية، حتى وصلنا المدخل الأمامي لبيتنا، وساعدت أمي في فتح الباب الغريب، بعد محاولة عقيمة أخيرة للتواصل، لوحت كل منهما للأخرى مودعة، ولعجزنا عن شكرهما بالكلمات ابتسمنا لهما ابتسامة عريضة.

بعد قضاء يوم كامل في أمريكا محاطة بالأمريكيين، أدركت أن وصف أبي لأمريكا كان صائبًا، فالحمامات نظيفة والناس لطفاء جدًا جدًا.

Twitter: @ketab_n

كلاب حارة وإوز بري

كان الانتقال إلى أمريكا مثيرًا ومخيفًا في آن معًا، لكننا وجدنا راحة كبيرة في معرفة أن أبي يتحدث الإنجليزية. لقد أمضى سنوات وهو يسرد علينا حكاياته الممتعة عن دراسته الجامعية في أمريكا، وقد ترك لدينا انطباعًا واضحًا بأن أمريكا كانت وطنه الثاني. خططنا أمي وأنا على البقاء ملتصقتين به، تاركتين إياه يرشدنا على الأرض الأمريكية المذهلة التي يعرفها جيدًا، واعتمدنا عليه ليس في ترجمة اللغة فحسب بل في ترجمة الثقافة أيضًا، ليكون صلة وصلنا بهذه البلاد الأكثر غرابةً بين البلدان، لقد أصبح حجر الرشيد الخاص بنا.

حالما وصلنا أمريكا، كنا نتساءل إن كان الأمر قد التبس على أبي فخلط بين حياته وحياة شخص آخر ربما، وكنا نشعر بذلك بسبب نظرات الدهشة على وجوه محاسبي المتاجر أو زبائن محطات الوقود والندل، فقد كان أبي يتحدث نسخة من الإنجليزية لم يكن يعرفها باقي الأمريكيين. وكانت محاولاته للعثور على دورة المياه في متجر كبير قد تقودنا إلى ماء سبيل للشرب أو إلى قسم الأثاث المنزلي. لم يكن طلبي من أبي أن يسأل النادلة عن معنى "شطائر جو" أو "صغار البطاطس"[2] بمشكلة، كانت ترجماته دومًا مثار للشك. كانت النادلة تمضي عدة دقائق في محاولة للإجابة عن أسئلة أبي، وكانت هذه الإجابات بدورها ستترجم على أنها "لا تعرف". ويعود الفضل لترجمات أبي في بقائنا بعيدين عن الكلاب الحارة وسمك السلور والجراء الصامتة، ولم يكن

(2) شطائر جو: أو شطيرة من لحم العجل المفروم والبصل وصلصة الطماطم، وصغار البطاطس مكعبات من البطاطا المقلية المقرمشة.

Twitter: @ketab_n

أي مقدار من الكافيار في البحر سيقنعنا بتناول فطيرة الطين![3]

كنا نتساءل كيف استطاع أبي قضاء سنوات عديدة يرتاد فيها جامعة أمريكية وظل مع ذلك مشوشًا من الأمريكيين، ثم اكتشفنا سريعًا أنه قضى سنواته الجامعية بشكل أساسي في المكتبة، حيث استطاع تفادي التواصل مع كل الأمريكيين باستثناء أساتذته في الهندسة. وكلما كانت المحادثة مقتصرة على القوة الموجهة والتوتر السطحي وميكانيكا الموائع، أصبح أبي فريد أستير[4] مع الكلمات، غير أن خطوة واحدة خارج العالم المشع لهندسة البترول تجعل لسانه أعوج.

كان تواصل أبي الوحيد المنتظم في الجامعة مقتصرًا على شريكه الباكستاني في الغرفة الذي أمضى أيامه يعد طبق الكاري. وباعتبار أن كليهما لا يتحدثان الإنجليزية لكنهما يحبان الكاري، فقد انسجما بشكل مدهش. وربما كان الشخص الذي أسكنهما معًا يأمل أن يتعلم كلاهما الإنجليزية أو أن يخترعا لغة مشتركة مناسبة، لكن لم يحدث أي من الأمرين!

كان عجز أبي عن فهم الإنجليزية المنطوقة مقابلًا بمحاولاته لإنكار ذلك، فقد بدت محاولاته للتواصل مع الأمريكيين في البداية نبيلة وجريئة ثم صارت مزعجة. كان أبي يتحدث لغة خاصة، في منطقة ما بين لكنته الفارسية الثقيلة واستخدامه للمفردات التي يعثر عليها في كتب بريطانية تعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية. كان عدم فهم الآخرين له يجرح كبرياءه، لذا كان يعوض عجزه عن المحادثة بالقراءة،

(3) الكلاب الحارة أو الهوت دوغ أيْ النقانق، والجراء الصامتة أي الهاش بابي وهي كرات من الذرة المقلية، فطيرة الطين:فطيرة الشوكولاته.

(4) فريد أستير: (-1899 1987) راقص ومغني وممثل أمريكي في مسرح برودواي.

Twitter: @ketab_n

كما كان الشخص الوحيد الذي يقرأ فعليًا كل وثيقة قبل توقيعها. قد يستغرق شراء غسالة من سيرز ثلاثين دقيقة لدى الأمريكي العادي، لكن في الوقت الذي ينهي فيه أبي قراءة الكفالة وشروط العقد ومعلومات التقسيط يكون المتجر على وشك الإغلاق ويطلب منا البواب أن نقف جانبًا كي يفرغ من مسح الأرضية.

تضمنت محاولات أمي لتعلم الإنجليزية دروسًا يومية مع مونتي هال وبوب باركر[5]، فقد كان انكبابها على برنامجي "ليتس ميك أ ديل" و"ذا برايس إز رايت" واضحًا في قدرتها المكتسبة حديثًا على ترديد معلومات بلا فائدة، وبعد أشهر قليلة من متابعة برامج التلفاز استطاعت أن تخبرنا بدقة إن كانت آلة صنع القهوة تكلف أكثر أو أقل من 19.99 دولارًا، وكم صندوقًا من "هامبرجر هيلبر" و "وجبات سوانسون" الجاهزة المثلجة أومنظفات "تيرتل واكس" يمكن للمرء أن يشتري دون إنفاق ما لا يزيد عن 20 دولار، إنها تعرف ذلك أيضًا. كانت تبتهج لرؤية العلامات المشاهير أثناء تجوالها في قسم البقالة: شاي ليبتون، حساء كامبل بالطماطم، خلطات بيتي كروكر! كانت تخبرنا كل يوم بأرباح اللاعبين في برامج المسابقات وخسائرهم. "كان على وشك أن يفوز بالقارب لكن الزوجة اختارت الستارة رقم اثنين وانتهى الأمر بحصولهما على تمثال دجاجة يبلغ طوله ستة أقدام". كانت الجوائز الرديئة مثيرة للاهتمام أكثر من الجيدة في برنامج "ليتس ميك أ ديل"، فمنسيرغب بالحصول على كرسي "ليز بوي" فيما يمكنه الحصول على طقم سرير أطفال بقياس كبير و كرسي طعام عال؟

(5) مونتي هال: (-1921) ممثل ومغنٍ ومنتج كندي، وبوب باركر: (-1923) مقدم برنامج الألعاب الشهير «ذا برايس إز رايت».

Twitter: @ketab_n

سرعان ما قررت أمي أن الطريقة الأسهل لها للتواصل مع الأمريكيين كانت باستخدامي كمترجم، أما أخي فرشيد صاحب البرنامج المزدحم بمباريات كرة القدم والمصارعة والكاراتيه فقد كان مشغولًا جدًا ولا يسمح وقته بمنحه هذا الشرف الملتبس! كانت أمي تتعلق بي في العمر الذي كان فيه كل الآباء يقودون أبناءهم نحو الاستقلالية، لذا كان علي مرافقتها إلى البقالة ومصفف الشعر والطبيب وكل مكان آخر لا يرغب طفل بالذهاب إليه. وكان الثناء المستمر لي من ناحية الأمريكيين الذين نقابلهم هي مكافأتي، إذ أن سماع طفلة في السابعة من عمرها تترجم من الفارسية إلى الإنجليزية وبالعكس خلّف انطباعًا لدى الجميع، فأسرف الناس في مدحي. "لا بد أنك فتاة ذكية جدًا جدًا، وربما عبقرية". وكنت دومًا أجيبهم بالتأكيد لهم أنهم إن حدث وانتقلوا إلى بلاد أخرى، فلا شك أنهم أيضًا سيتعلمون اللغة. (ما أردت قوله أنني كنت أتمنى لو بقيت في المنزل أتابع "ذا برادي بانش" بدلًا من ترجمة ميزات عدد من مرطبات البشرة) أما أمي فقد كان لديها رد آخر على هذا المديح: "يسهل إثارة إعجاب الأمريكيين".

كنت أشجع أمي دومًا على تعلم الإنجليزية، لكن مواهبها كانت تصب في اتجاه آخر، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن قواعد هذه اللغة لأنها لم تتعلمها في المدرسة. يمكنها أن تقول فقرة كاملة دون استخدام أي فعل، وكانت تشير إلى أي شيء وأي شخص بـ "هو"، تاركة المستمع يتساءل إن كانت تقصد زوجها أم طاولة المطبخ. وحتى إن قالت جملة صحيحة، كانت لكنتها تجعل منها جملة غير مفهومة، وقد كان حرفا الواو والثاء من أكبر معضلاتها. كان الأمر يبدو كما لو نتبادل العبث لغويًا إذ كنا نعيش في فيتيير (ويتيير)، ونتسوق في فيتوود (وايت وود) بلازا، وأنا كنت أرتاد مدرسة ليفينغفل، ولم يكن جيراننا سوى فالتر فيليامز.

Twitter: @ketab_n

رغم تقدمها البسيط إلا أنني واصلت تشجيع أمي، وبدلًا من تعليمها قواعد الإنجليزية ومفرداتها، قررت أن أعلمها جملة كاملة لترددها، وافترضت أنها حالما تعتاد التحدث بشكل صحيح فإنني سأستبعد مثل عجلات التدريب وأنها ستتابع طريقها، لكني كنت مخطئة.

طلبت مني أمي يومًا أن أتصل بشركة المبيدات بعد أن لاحظت وجود الحشرات في المنزل. بحثت عن الرقم وطلبت من أمي أن تتصل وتقول:"في منزلنا حشرة السمك الفضي (لاحسة السكر)".تأففت أمي ثم طلبت الرقم وقالت:"أرجوك احضر حالًا، السمكة الذهبية في كل أرجاء المنزل." فقال لها العامل إنه سيحضر عندما يتمكن من الحصول على صنارة صيد!

بعد بضعة أسابيع تعطلت غسالتنا، فاستدعينا عامل تصليح وغير الأنبوب الراشح بسرعة، أرادت أمي أن تعرف كيف تزيل البقعة السوداء التي خلفها رشح الأنبوب، فقال العامل:"سيكون عليكم جميعًا أن تستخدموا بعضًا من "شحم المرفق"[6]. شكرته ودفعت له ثم ذهبت مع أمي إلى متجر الخرداوات، وبعد أن بحثنا بلا جدوى عن شحم المرفق، سألت الموظف عنه وقلت له إنه يزيل البقع، فاستدعي المدير.

بعد أن فرغ المدير من الضحك قدم لنا التفسير المحبط، فسرنا أمي وأنا إلى المنزل صفر اليدين، وعلمت لاحقًا أنه ما يسميه الأمريكيون مطاردة إوزة برية.[7]

بعد قضاء ثلاثين سنة في أمريكا تطورت لغة والديّ نوعًا ما، لكن ليس

(6) كان العامل يقصد أن عليهم فركه بشدة قائلاً : elbow greas

(7) أي محاولة عقيمة: Wild goose chase

Twitter: @ketab_n

بقدر ما يأمله المرء. لكنه ليس خطؤهم كليًا فالإنجليزية لغة مربكة، فعندما أثنى أبي على ابنة صديقه بوصفها بالبيتية كان يعني أنها ستصبح ربة منزل رائعة. وحين يشكو من السائقين الأبواق كان يشير إلى ميلهم لاستخدام أبواق السيارات، وما يزال والداي لا يفهما لماذا يرغب المراهقون أن يكونوا باردين ليصبحوا حارين[8]!

لم أعد أشجع أبويّ على تعلم اللغة، لقد استسلمت، وبدلًا من ذلك أنا ممتنة لموجة الخيال التي جلبت التلفاز والصحف والمتاجر الإيرانية إلى أمريكا. الآن عندما ترغب أمي بسؤال البقال إن كان هناك مزيد من الباذنجان أكثر صلابة وسوادًا في الخلف لأن المعروض ليس مناسبًا لإعداد خورشت بادمجان[9]، يمكنها أن تقول ذلك بالفارسية دون مساعدة أحد، ولأجل ذلك أقول:هليلويا، الكلمة التي لا تحتاج ترجمة.

(8) أن يكونوا cool أي ظريفين ليصبحوا hot بمعنى مثيرين.

(9) - خورشت بادمجان: كلمة فارسية تعني يخنة الباذنجان.

Twitter: @ketab_n

في المضمار

نشأ أبي فقيرًا في الأهواز، فقد توفي والداه حين كان صغيرًا بعد إصابتهما بأمراضٍ لم يكن لها علاج حينها. كبر أبي وإخوته عبر عملهم الجماعي، وحتى رغم كونهم اليوم في السبعينيات من أعمارهم ويتمتعون بصحة جيدة وصار لدى كل منهم أولاد وأحفاد، إلا أن الواحد منهم يظل لاعبًا أساسيًا في حياة الآخرين، فقد دعموا بعضهم أثناء الوفاة والمرض وابتهجوا بلعضهم بعضًا في مناسباتهم السعيدة. إن سئل أبي عن أكثر اللحظات فخرًا بالنسبة إليه فسيقول حتمًا إنه اليوم الذي اشترى فيه ابن أخيه محمد منزلًا في أمريكا، أو اليوم الذي تخرج فيه ابن أخيه الرائع ماهان من كلية الحقوق، وحين يعرف أبي أن أخته الحبيبة صدّيقة غاضبة منه يبدو مثل رجل بالغ معاقب، لأنه لا يستطيع احتمال ذلك. هذه الرابطة القوية بين أبي وإخوته تشهد أن والديهم أحسنا تربيتهم رغم حياتهما القصيرة.

خلّفت حياة أبي العسيرة لديه رغبة كبيرة في أن يصبح ثريًا، والتاريخ يضج بقصص الرجال الذين تخطوا الفقر وجمعوا ثروة طائلة من تجارة الفولاذ أو تربية الخنازير، أو آخرين حققوا نجاحات كبيرة من خلال التعليم وصاروا محامين أو أطباء ناجحين. كان أبي رجلًا متعلمًا، لكن باعتباره مهندسًا يعمل بأجر لم يحظ بفرصة ليصبح ثريًا، وهو يعرف ذلك. لم يكن أبي مستعدًا للتخلي عن حلمه بالشمبانيا والكافيار، لذلك كان يحلم بطرق للثراء لا تتطلب عملًا شاقًا أو تعليمًا أكثر، كان يحلم أن يرن جرس المنزل ويفتح الباب ليكون هناك رجل يرتدي بدلة زرقاء من ثلاث قطع ويسأله: هل أنت كاظم؟ وسيجيب أبي: نعم، ثم يخبره الرجل أنه فاز - بعد سلسلة من الأحداث غير المعقولة- بمبلغ طائل. قرر أبي بهذه العقلية أن يشارك في برنامج "بولينغ فور دولارز".

Twitter: @ketab_n

انضم أبي، في محاولة منه لاعتناق الثقافة الأمريكية، إلى الاتحاد المحلي للبولينغ، وكان يذهب مساء كل أربعاء إلى النادي ليعود بقصص مدهشة عن الضربات والمضمار. اقتنع أبي في لحظة ما أنه لاعب بولينغ موهوب، وخامرني شك أن للأمر علاقة بعادة الأمريكيين في إغداق المديح والتشجيع بسخاء لأي شخص يحاول شيئًا ما في نقطة ما، وربما صاح أحدهم:" ضربة جيدة يا كاظ ! ففسرها أبي بـ:"عليك المشاركة في برنامج التلفاز لأنك ستربح ثروة".

كان "بولينغ فور دولارز" برنامج مسابقات دمج عالم البولينغ الساحر بإثارة لاس فيغاس. وليفوز المتسابق بالكنز كل ما عليه فعله أن يرمي الكرة مرتين لإصابة صف من الأوتاد الخشبية، وتكبر الجائزة كلما فشل أحد المتسابقين بالفوز، مما يزيد الإثارة إلى أقصى حد. كنت أشاهد البرنامج مع والديّ بحماس، إلى جانب تعليقات أبي التي لا تشبه تعليقات المعلقين الرياضيين التقليدية في شيء في الخلفية. كانت تعليقات أبي تتراوح بين: "كان عليك أن تصيبها" و"يمكنني أن أصيبها". كانت البولينغ تبدو سهلة بالنظر إليها من أريكتنا، ولم نفهم لمَ فشل كثير من المتسابقين في الفوز بالجائزة. في نهاية كل حلقة يُدعى المشاهدون للاتصال بالاستديو للمشاركة في المسابقة، فاستجمع أبي قوته للاتصال واستدعي لجولة تجريبية.

اختار أبي، مثل عروس تتأهب للسير على مجاز الكنيسة، ملابسه بعناية وقص شعره وتدرب على القول: "مرحبًا، أنا كاظم" أمام مرآة الحمام، وأصبحت أمي الآن خبيرة مستقلة في لعبة البولينغ.وقدمت له كل أنواع النصيحة:"احرص على الفوز".

قاد أبي سيارته في رحلة لساعة ونصف إلى استديو بيرنباك للجولة التجريبية الأولى، وعاد يشعر بالنصر رغم أنه لم يصب أي وتد، لكن

Twitter: @ketab_n

طلب إليه العودة لتمرين ثانٍ وإن سار الأمر جيدًا فسيظهر على التلفاز.

قاد أبي سيارته في رحلة أخرى لساعة ونصف من اجل التمرين الثاني، ثم وقع عليه الاختيار ليعود لتسجيل البرنامج. كان أبي يأمل ألا يفوز أحد من المتسابقين قبله لتتضاعف الجائزة، كان يحلم بالفوز بجائزة كبيرة.

وحان أخيرًا اليوم الموعود، وكان أبي مستعدًا ليكون ثريًا، فملأ سيارته الإمبالا بالوقود، وانطلق في رحلته الثالثة والأخيرة إلى الاستديو وانتظرنا عودته بتوتر.

عاد أبي تلك الليلة وقد كان يبدو أكثر حزنًا من أي يوم مضى في حياته. كان قد أصاب في جولتيه سبعة أوتاد فربح سبعة دولارات، وعزا سوء أدائه إلى كل شيء بدءًا من الأضواء إلى الرحلة الطويلة. لم يكن يهمنا خسارته لكننا لم نستطع تذكر أحد فاز بهذا المبلغ الضئيل في "بولينغ فور دولارز"، كما أن أبي أنفق على الوقود في الذهاب إلى الاستديو والعودة منه أضعاف ما ربح.

تابعنا الحلقة بصمت عندما عرضت بعد أسابيع من تسجيلها. بدا أبي متوترًا على الشاشة، خاصة بعد أن رمى كرته الأولى في المضمار، أما بعد الثانية فقد أصيب بالهلع كثيرًا.

بعد هذه الشهرة القصيرة، لم نعد نتابع البرنامج، ولم نعد نشعر بالانخراط العاطفي نفسه، فمن نحن لننتقد هؤلاء الأشخاص الذين استطاعوا جميعًا أن يفوزوا بأكثر من سبعة دولارات؟

هجر أبي البولينغ بعد ذلك بوقت قصير، وقال إنها رياضة غبية إن كان يمكن تسميتها رياضة، وعلاوة على ذلك فقد كانت ليالي الأربعاء في البولينغ تحرمه من متابعة برنامج "ساعة ضحك مع شير وسوني"، وصار بإمكانه الآن أن ينحشر على الأريكة ويتابع معنا.

Twitter: @ketab_n

أنقذني يا ميكي

عندما جئنا إلى أمريكا أول مرة عام 1972، كنا نعرف أننا سنمكث هنا لعامين تقريبًا، وهذا ما منحنا 104 إجازة نهاية أسبوع تقريبًا لنرى كل ما يمكن رؤيته في كاليفورنيا، مثل مدينة الألعاب"نوت بيري فارم" ومدينة الألعاب المائية ومهرجان التمور ومهرجان الثوم التي شهدناها جميعًا، وتذوقنا فيها المثلجات بنكهة الثوم والتمر المخفوق وشراب الكرز بالثلج المجروش وأنواعًا أخرى من الأطعمة لم نعد نتذكرها، لكننا نتذكر زحفنا الطويل نحو الصيدلية للحصول على مضاد الحموضة روليدز.

لم تكن الإغراءات الكبيرة – لأننا حديثو عهد بهذه البلاد– وحدها التي تبهرنا، بل حتى التفاصيل الصغيرة كالموظفين المبتسمين والحمامات النظيفة والإشارات الطرقية الواضحة، وضمنت لنا قابليتنا على الانبهار بالمجموعات الكبيرة من سلاسل المفاتيح أن نبتهج بكل مكان نذهب إليه.

ومع ذلك، كان هناك مكان فاتن ومختلف، مكان كانت قمصانه التي نرتديها تشعرنا بالزهو، وخلق لدينا إخلاصًا مفرطًا: ديزني لاند. كان أبي يؤمن بعبقرية والت ديزني، ذلك الرجل ذي الحلم الذي سمح للجميع أن يطلق دهشة الطفولة مهما بلغ من العمر. اسأل أبي عن رأيه بأكثر إنجازات البشرية إبداعًا في القرن العشرين، لن يقول لك الحاسوب أو طائرة الكونكورد أو جراحة الركبة الصناعية، فبالنسبة إليه يمثل قراصنة الكاريبي ذروة الإنجازات المبدعة، وليس مهمًا عدد المرات التي ذهب فيها بهذه الجولة لأنه يظل منبهرًا كما لو أنه يدخل ديزني لاند أول مرة.

Twitter: @ketab_n

"هل رأيت ساق ذلك القرصان التي تتدلى فوق الجسر؟ هلا ذكرني أحدكم أنها ليست حقيقية؟ والمعركة بين السفن والرجال، هل كنت أنا الوحيد المستعد للانحناء تفاديًا للطلقات؟ أي رجل يمكنه التفكير بإبداع أمور كهذه؟". كان الشك يراودني في أن تكون أم والت ديزني قد شعرت بالفخر بولدها بقدر ما فعل أبي.

إن أي نشاط تستمتع به عائلتنا سيكون ممتعًا أكثر، بحسب رأي أبي، إن شاركنا به الآخرون. يفضل أبي عشاء مكتظًا في منزل أخته يحظى فيه نصف الضيوف فقط بمقاعد أكثر من وجبة مع أربعة أشخاص ومتسع من المكان، وقد تعود طبيعته القبلية لكونه نشأ مع ثمانية من الإخوة، ولكن مهما يكن السبب الجذري لذلك، فقد رأى أبي أنه إن كانت ديزني لاند ممتعة لأسرتنا فلا بد أن المرح سيتضاعف بصحبة عشرين شخصًا آخرين. وهكذا وجدنا أنفسنا ذات نهاية أسبوع أمام المدخل الرئيس لديزني لاند بصحبة ستة من زملاء أبي الإيرانيين وأسرهم.

لقد زرت ديزني لاند خمس عشرة مرة، وبدأت بصراحة أضجر قليلًا من المكان، فأنا أعرف كل منعطف في كل جولة من اللعب، وكل النكات في العروض. لكن مع ذلك في صباح سبت آخر وقفت أمام لعبة السيد تود مع حشد كبير من الناس، يطلق كل منهم "آه" و"أوه" بينما كان أبي، الذي عيّن نفسه سفيرًا لبلاد السحر، يعلق بعبارات فاتنة: "انظري كيف ينتظر الناس بصبر في هذه الصفوف الطويلة، في بلدان أخرى قد ينشب عراك! لكن ليس هنا، إنها أمريكا."

كنا نتجول في ديزني لاند مثل قطيع من الجواميس، نتوقف فقط عند الألعاب التي تستحق التجربة من وجهة نظر أبي. في لحظة وجدنا أنفسنا قرب الهواتف حيث يستطيع المرء أن يتحدث إلى ميكي ماوس. ولأن

Twitter: @ketab_n

أبي كان مشغولًا بشرح أعجوبة "لعبة مونسانتو" الفضائية المجاورة ذات العين الكبيرة التي تبدو حقيقية جدًا، قررت أن أجرب الهواتف التي لم يسبق لي تجربتها قبلًا. التقطت السماعة واكتشفت أنه ليس هنالك حوار مع ميكي ماوس عبر هذه التي يسمونها هواتف، لقد كانت رسالة مسجلة فقط. أغلقت السماعة بامتعاض وبحثت حولي لأعثر على بقية القطيع، لقد رحلوا.

كانت إحدى أكبر مخاوف أبي عند انتقالنا إلى أمريكا اختطاف الأطفال، فقد كانت بلدتنا عباداان آمنة بأقصى ما يمكن للمرء أن يأمل. كنا نعرف كل الجيران، وكان الجميع يعتني بأطفال الجميع، ولم يكن هنالك جرائم أساسًا عدا السرقات التافهة. كلما جاء أقاربنا لزيارتنا في أمريكا كانوا يتابعون نشرة الأخبار المسائية عدة مرات ثم يرفضون الخروج من المنزل، قائلين إن المكان خطر جدًا هنا: "لماذا يكثر إطلاق النار هنا؟". في إيران ليس للمواطنين الحق بامتلاك السلاح، لذلك لم نكن نشهد هذا النوع من الجرائم التي تنتهي بالقتل في أمريكا. لقد كان أبي مدركًا جدًا للأخطار المتأصلة في محيطنا، وكان يعظني باستمرار حول خطر الغرباء وأن عليّ الاتجاه إلى الشرطة كلما احتجت للمساعدة.

ليس هنالك رجال شرطة في ديزني لاند، وبدلًا من ذلك اخترت شابًا يرتدي بدلة رياضية زرقاء فاتحة ويضع قبعة تمثل قاربًا ورقيًا مقلوبًا، فقلت له:"أنا تائهة"، فقال بصوت لطيف:"حسن، هل يمكنك إخباري كيف يبدو والديك؟" فوصفتهما له، "والآن هل تستطيعين إخباري ماذا يرتدي والداك؟" لا يمكن لطفلة في السابعة – ربما باستثناء طفل لجيورجيو أرماني– وصف ثياب والديها في يوم ما.

اصطحبني السيد "بوليستر" بعد فشلي في إجابة سؤال الثياب، إلى

Twitter: @ketab_n

مبنى صغير قرب المدخل الرئيس. كان هذا هو مكان المفقودات، المكان الذي لم يسبق لي رؤيته في زياراتي السابقة طبعًا. انفجرت بالبكاء حين دخلت الغرفة، وأحاطت بي مجموعة من النساء وسألنني عن اسمي الذي كان علي أن أكرره عدة مرات أثناء نشيجي المختلط بالمخاط. "أي اسم هذا؟" سألت أحدهن، كما لو أنني محكوم علي أن أجيب الأسئلة نفسها المرة تلو الأخرى لما تبقى من حياتي.

"أنا من إيران" قلت شاهقة، فقالت:"كم هذا جميل"، لكني أستطيع الجزم من النظرة التي تعلو وجهها أنها ليست لديها أي فكرة عن موقعها. وأثنت عليّ امرأة أخرى لطلاقتي بالإنجليزية، وأخبرنني ألا أقلق. كنت أجلس هناك وألوّن أثناء انتظاري قدوم والديّ لاصطحابي. واصلت البكاء وحاولت النسوة الثلاث تهدئتي لكنني قررت عندها أن أبكي طوال الوقت.

بعد دقائق قليلة، فتح الباب ودخل ولد يبكي وكان يبدو أنه يصغرني بسنوات قليلة، واندفع فريق التهدئة نحوه واتضح أنه لا يتحدث الإنجليزية، وكان يواصل صراخه بغض النظر عما كانت المرأة تقوله له، وحين سئل عن اسمه هز رأسه وبكى بصوت أعلى. استدارت إحدى الموظفات بيأس وبدأت بالسير باتجاهي بابتسامة عريضة عليوجهها تقول لدي فكرة رائعة. كنت أعرف ماذا سيحدث،"هل هذا الولد من بلادك؟" أردت أن أقول لها:"لماذا؟ في بلادي، التي أملكها، هذا هو اليوم الوطني لفقد أبنائك في ديزني لاند". لكني قلت:"لا، ليس من بلادي". لم يكن لدي فكرة عن جنسية الباكي، لكني كنت أعرف أنه ليس إيرانيًا. لن يخطئ الجربوع في تمييز الجربوع من الهامستر، ولن أخطئ أبدًا في التمييز بين الإيراني وغيره. رغم إيمان أغلب الغربيين أن الشرق الأوسطيين يتشابهون، إلا

Twitter: @ketab_n

أننا نستطيع تمييز بعضنا بعضًا من أي حشد بسهولة كما يميز أصدقائي اليابانيون مواطنيهم من حشد من الآسيويين، يبدو كما لو كنا نمتلك ذبذبة إشعاعية يلتقطها رادار الإيرانيين الآخرين فقط.

بعد عدة محاولات عقيمة للتواصل مع الولد، جاءت إلي امرأة أخرى وسألتني إن كنت أستطيع، من فضلي، أن أسأل الولد عن اسمه بلغتي، فقلت لها إنني أتحدث الفارسية وواثقة من أن هذا الولد لا يتحدثها، فانحنت المرأة عندها واقتربت جدًا من وجهي بمهارة تعلمتها من فيلم ما، وتحدثت ببطء شديد قائلة إنها تريدني أن أسدي لها معروفًا، ويمكنني القول إنها كانت تحاول تذكر اسمي، كانت تحاول بشدة. ثم قالت أخيرًا مختارة أن تتجاوز اسمي كجندي يتجنب لغمًا أرضيًا:"هل يمكنك يا صغيرتي أن تحاولي التحدث إليه فقط؟ هلا فعلت ذلك من أجل ميكي؟".

أردت أن أخبرها أن ميكي كان سبب ضياعي أساسًا، لو أنني تحدثت إليه عبر ما يسمونه الهواتف لما كنت أجلس هنا الآن، أنا لا أدين بشيء لهذا القارض.

أخبرتها ثانية أنني أتحدث الفارسية وأجزم أن هذا الولد لا يفعل، فتوسلت إلي:"حاولي فقط".

وكي أتخلص منها، سرت باتجاه الولد الذي حطم كل الأرقام القياسية في المثابرة وما زال يبكي، فقلت بالفارسية:"هل أنت إيراني؟" توقف الولد عن البكاء للحظة ثم أطلق أعلى صرخة سمعت منذ العصور الإنجيلية، فلم يكن قد انفصل عن أحبائه فحسب بل كان محاصرًا في برج بابل[10]!

(10) ذكر في التوراة في سفر التكوين أن بانيه كانوا يطمحون بإيصاله إلى السماء، فعاقبهم الرب وبلبل ألسنتهم أي فرّقها، والكاتبة تشير هنا إلى تعدد اللغات في الغرفة بالنسبة للطفل الضائع.

Twitter: @ketab_n

رغم حزني من أجل هذا الولد الصغير، إلا أنني شعرت أنني أديت ما علي أيضًا، فعدت إلى كتاب التلوين خاصتي ولم أعد أشعر برغبة بالبكاء. لونت صفحات قليلة؛ يا للمفاجأة! دخل أبي وقد كان يبدو مذعورًا تمامًا ومنقطع النفس، فركض وعانقني وسألني إن كنت بكيت، فأجبت:"لا طبعًا"، وأخبرني أنني تهت عندما انقسموا إلى مجموعتين لذا مرت ساعة تقريبًا قبل أن يلاحظ أحد غيابي. "ظننت أنك خطفت" قال لي وهو ما يزال منقطع النفس. التوقيت مفتاح للوصل إلى ما تريد، وكنت أعرف أن هذه هي اللحظة المناسبة فسألته:"هل يمكنني الذهاب إلى محل الهدايا؟" فأجابني:"لك كل ما تريدين، كل شيء".

اضطررنا أن نغادر ديزني لاند باكرًا ذلك اليوم لأن أبي كان يشعر بتعب في ركبتيه ولن يتمكن من المتابعة، ولم يفلح حتى قراصنة الكاريبي بإنعاشه.

أمضينا نصف الساعة المعتادة في البحث عن سيارتنا في المواقف، وكنت أقبض بشدة على بالونيْ هيليوم كان أبي يسميها قبل هذه الزيارة مضيعة للمال ولم يشترها لي أبدًا، وقلم رصاص بطول قدمين مطبوع عليه صور من ديزني لاند، وطقم مصغر كامل من التماثيل البلاستيكيةللأقزام السبعة مع الحقيبة، وحاملة أقلام رصاص على هيئة ويني الدب. أثناء تقدير أبي الجديد لي، سألته أيضًا إن كان يستطيع اصطحابي إلى متحف الشمع لنجوم الأفلام الأسبوع المقبل، فأجاب: "بالطبع، لك كل ما تريدين".

أمضى أبي طريق العودة يستجوبني عما فعلت أثناء غيابه.

- كيف عرفتِ أنك تائهة؟

Twitter: @ketab_n

- لم أر أحدًا منكم.

- كيف عرفتِ إلى أين تتجهين؟

- بحثت عن أحد يعمل هناك.

- كيف عرفت أنه يعمل هناك ولم يكن يقف هناك فقط ويبحث عن الأطفال التائهين؟

- كان يرتدي اللباس نفسه الذي يرتديه ستة أشخاص آخرين حوله، كما أنه كان يضع بطاقة تحمل اسمه.

- بطاقة باسمه، هه؟ كم أنت ذكية.

كنت أعرف فيم يفكر، وبفضل ميكي كنت قد رُقيت من طفلة لا تجيد السباحة إلى طفلة عبقرية.

في الأسبوع التالي كنت أقف في متجر الهدايا في متحف الشمع لنجوم الأفلام، وكنت أواجه صعوبة في الاختيار بين القناع أو حوض السباحة القابل للنفخ الذي يحمل شعار المتحف أو أوراق اللعب المزينة بصور أربعة نجوم سينمائيين. ثم سمعت أبي ينطق العبارة السحرية"لم لا تأخذينها كلها؟"فأجبت:"فكرة جيدة"، وأنا آمل أن تكون نظرته السخية الحديثة للمشتريات عديمة الجدوى أكثر من مجرد مرحلة انتقالية.

غادرنا متجر الهدايا وأبي يمسك بيدي بقوة كما فعل طوال اليوم. كنت أستمتع بلقبي الجديد كطفلة مدللة وأنا أقبض على كل ما اشتريت بيدي الأخرى. ربما كنت مدينة بهذا لذلك القارض.

Twitter: @ketab_n

سووش..سووش

هنالك فرد أخرق في كل عائلة، ويذهب هذا الشرف في عائلة أبي نحو عمي نعمة الله الذي تتجلى سمته هذه في تهوره في اختيار زوجاته، ثلاث مرات.

ليس للزواج في ثقافتي صلة بالرومانسية على الإطلاق، فهو أمر يتعلق بالمنطق. فإن كان السيد والسيدة أحمدي يحبان السيد والسيدة نجاتي إذن يمكن لأولادهم أن يتزوجوا بعضهم بعضًا، ومن ناحية أخرى، إن كان الآباء لا يحبون بعضهم البعض لكن الأبناء يفعلون، حسن، هذا هو مصدر القصائد الحزينة. بقدر ما تبدو هذه الارتباطات المنطقية غريبة بالنسبة للعالم الغربي، فإن معدلات نجاحها ليست أسوأ بالتأكيد من تلك الزيجات القائمة على التقاء العيون في غرفة مزدحمة ونبض القلوب كالطبول.

بعد الطلاق الثاني لعمي قرر أن يمنح نفسه إجازة من عمله كطبيب في الأهواز وأن يأتي لزيارتنا في وايتيير. بالنسبة لأصدقائي الأمريكيين، زيارة قريب ما تعني إقامته لثلاث ليالٍ، أما بالنسبة لعائلتي فزيارات الأقارب كانت تحدد حسب المواسم وليس حسب الليالي. فلا أحد سيتكبد عناء السفر من أقصى العالم ليمكث شهر ديسمبر فقط، فقد يبقى ليشاهد الربيع في كاليفورنيا، وحفل تخرج الأطفال في يونيو والهالوين. ليس مهمًا كون منزلنا بالكاد يتسع لنا، فقد كان شعار أبي دومًا "مكان في القلب يعني مكانًا في البيت". يبدو ذلك رائعًا ولكنه يتحول إلى صف طويل أمام الحمام وأكوام إضافية من الغسيل الذي على أمي أن تنجزه.

يتقاسم أبي وأخوه الأصغر نعمة الله العديد من الاهتمامات، ولكن

Twitter: @ketab_n

أقواها حب استكشاف الأطعمة الجديدة. قد يتعرف البعض على البلاد الجديدة بزيارة المتاحف أو المناظر التاريخية، لكن بالنسبة لعائلتيكان اكتشافهم أمريكا عبر البراعم الذوقية. كل يوم يقود كاظم ونعمة الله السيارة، كما كان رجال الكهف يخرجون للصيد، إلى المخزن القريب ويعودان بعلب وصناديق من المنتجات الأمريكية الغامضة، كانا يختاران الأطعمة بناء على الصور الملصقة على العلب وكأنهما يثبتان بشكل غير متعمد أن التسويق الأمريكي أفضل أحيانًا من المطبخ الأمريكي. وباعتبار أن النكهات الإيرانية مختلفة تمامًا عن النكهات التي يعثران عليها في أمريكا، كان الأمر ينتهي بأكثر المشتريات في حاوية القمامة.

تحضير الوجبة في إيران يستغرق نصف النهار كل يوم، حيث تبدأ أمي في الصباح الباكر بإخبار خادمتنا زهرة بالخضروات التي عليها غسلها وتقطيعها، وتكون هذه الخضروات إما مقطوفة من حديقتنا أو أنها ابتيعت في اليوم السابق، وكانت مكونات الوجبة محدودة بما يتوفر حسب الموسم، فالصيف يعني يخنة الباذنجان أوالباميا والطماطم الطازجة والخيار الصغير الذي علي تقشيره وتمليحه، والشتاء يعني يخنة الكرفس أو الراوند، والكزبرة والبقدونس والحلبة وفاكهتي المفضلة الليمون الحلو وهو ليمون قوي الرائحة بقشر رقيق لا يوجد في أمريكا. لم يكن لدينا هناك أطعمة معلبة أو مثلجة أو سريعة، لأننا كنا نعدّ كل شيء عدا الخبز الذي نشتريه يوميًا. كان تناول الطعام يعني الانتظار لساعات حتى تمتزج كل المكونات كما يجب، وعندما تصبح الوجبة جاهزة أخيرًا نجلس كلنا معًا ونستمتع بالتجربة الحسية للوجبة الفارسية الشهية. تحضر المطاعم الراقية في أمريكا – التي تصف نفسها بالمبتكرة والذوّاقة– الطعام بالطريقة المعتادة. في إيران كانت تلك طريقتنا بتناول الطعام ببساطة.

Twitter: @ketab_n

حين تبدأ زهرة بقلي البصل والخضروات كل صباح، تنبعث رائحة شهية في أرجاء المنزل. تعيش زهرة وزوجها علي – الذي يعمل بستانيًا لدينا- في منزل صغير على أرضنا، وعلى عكس أمريكا التي يكون للأثرياء فيها فقط خدم دائمون، كل عائلة من الطبقة الوسطى في إيران تستأجر عاملة بدوام كامل. كان علي وزهرة من قرية صغيرة تقع شمال إيران، واستطاعا بعملهما لدينا أن يكسبا مالًا أكثر مما كان من الممكن حصولهما عليه في قريتهما. لقد كانا سعيدين جدًا وحتى بعد أن وجد لهما والداي عائلة أخرى ليعملا لديها، لم يبك أحد بقدرهما عندما انتقلنا إلى أمريكا.

بعد عدة أسابيع من تجربة الطعام المثلج والمعلب وحبوب الإفطار، خلص أبي وعمي إلى أن الطعام الوحيد المعد مسبقًا ويستحق الشراء كان الفلفل الحرّيف المعلب والمثلجات (الآيس كريم) وكعك آهوي. أما الباقي فقد كان مالحًا جدًا أو حلوًا جدًا أو سيئًا كما قالا.

انطلقا بعدها ليستكشفا الأرض المجهولة للوجبات الأمريكية السريعة. كنا نسكن قرب مجمع فيه الكثير من المطاعم، كلها تتبع نظامًا عالي الدهون في الطبخ، أكلنا أثناء تجوالنا في المجمع- بدءًا بأحد طرفيه- متجاوزين فقط محلًا لبيع الهوت دوجز (النقانق) يسمى دير وينرشنتزل، كان الاسم عسيرًا على النطق ولم نكن مهتمين بتناول الكلابحارة أو غير ذلك.

بعد أسبوع من البحث، توصلنا إلى أن دجاج كنتاكي المقلي كان أفضل ما تذوقناه في أمريكا ويليه باسكن روبنز بكل نكهاته. لم يكن هنالك أحد أكثر سعادة بغزواتنا في تناول الطعام الجاهز أكثر من أمي، التي – بافتقادها لكل من زهرة والمكونات الإيرانية- كانت تجد صعوبة في

Twitter: @ketab_n

تحضير الطعام في أمريكا، لقد حررت وصفة الكولونيل السرية أمي.

كان أبي يشتري عددًا من الوجبات العائلية من الدجاج المقلي في طريق عودته من العمل عدة مرات في الأسبوع، كنا نتشاجر على الفتات المقرمش في أسفل العلبة ونتناوله كله مع الكولا، في ليالٍ أخرى كنا نتناول البيتزا متعجبين من الجبنة الذائبة وشهيتنا النهمة تجاه هذا الطعام العجيب.

بعد قدوم عمي بأشهر أدرك بطريقة ما أن لا شيء من الثياب التي جلبها معه تلائمه، فقد أمضى الأسابيع القليلة الماضية مرتديًا ثيابه الأمريكية الجديدة من القمصان قصيرة الأكمام والسترات الرياضية، وهي ثياب تتمدد حسب الفم (حسب الوزن). قضى عمي ذلك الصباح محاولًا ارتداء ملابسه القديمة، وكأنه بدأ نوعًا من عرض الأزياء. كان بنطاله قد توقف في منتصف الطريق من طرفه السفلي، وكان يحاول إخبارنا أن هذا هو البنطال نفسه الذي ارتداه في الطائرة قبل شهرين. شفط عمي بطنه، بعد أن فشل في إغلاق الأزرار، محاولًا ألا يتنفس، وساعده أبي في رفع السحّاب والأزرار والمشابك التي أبت ذلك. كانت المحاولات عبثًا. جاء عمي إلى أمريكا ليحاول نسيان مشاكله في الزواج، وقد أفلح في ذلك بطريقة ما، لكن عليه الآن أن يقلق بشأن وزنه الزائد.

قرر عمي بدءًا من ذلك اليوم أن يخسر وزنه الزائد، فجرني معه طوال اليوم كمترجمة له وتوجهنا إلى متجر "ذا ساف -أون" ليشتري أقراصًا للحمية وميزانًا. عدنا إلى المنزل مفعمَين بالأمل. ابتلع عمي بضعة أقراص ثم احتل مكانه المعهود على الكنبة ليشاهد برنامج المسابقات، ووزن نفسه في الصباح التالي ثم تخلص من أقراص الحمية. اصطحبني ثانية إلى متجر الأدوية، وعدنا هذه المرة ونحن نحمل مسحوقًا يفترض

Twitter: @ketab_n

أن يخلط مع الحليب ويتناول بدلًا من الوجبات العادية. ولأننا لا نملك خلاطًا، فقد أمضى ساعات في المطبخ يحرك المزيج بنشاط محاولًا إذابة الكتل لتكون وجبته مستساغة.

بعد عدة أيام من هذه الوجبات المسحوقية، خسر عمي بعض الباوندات فعلًا، وكانت الأمور تجري بشكل جيد إلى أن أعلن أنه سيضيف عدة ملاعق من الباسكين روبنز لتحسين النكهة بشكل جوهري.

بعد وجبة عمي الاحتفالية بما بعد الحمية وجد أن محاولاته في إنقاص الوزن قد تركت له بعض الباوندات التذكارية. وتحول عمي بانكباب جديد إلى الخطة (ب). لقد صار لجلساتنا الماراثونية في متابعة التلفاز الآن هدف جديد، إذ توجب علي أن أكتب أرقام الهواتف لكل المنتجات التي ستذيب بسرعة وبلا ألم كل الباوندات الزائدة. وقد حصلنا على مرادنا بعد عشر دقائق من بدء برنامج "لوف، أميريكان ستايل"، فطلبت الرقم الظاهر على الشاشة وطلبت العلاج، وبانتظار وصول الطرد كان لدى عمي مهمة جنونية، كان يبدو مثل جندي يمارس الحب للمرة الأخيرة قبل ذهابه إلى الحرب، فقد أمضى عمي نعمة الله الأيام القليلة التالية في استهلاك أطعمته الأمريكية المفضلة للمرة الأخيرة، وبعضها للمرتين الأخيرتين. ولأنه كان يعلم اقتراب النهاية فقد بدأ بتجربة أطعمة كنا قد تجاهلنا إغراءاتها طويلًا: كعك تونيكيز، والتاكو، واللحم المقدد وسلطة الأفوكادو وشراب القيقب.

وصل الطرد أخيرًا، وكان العلاج السحري حزامًا يشد حول البطن. مقابل 19.99 دولارًا اشترى عمي نعمة الله بدلة غوص تغطي البطن فقط، قد يكون مالكها الأصلي قد تعرض لهجوم من أسماك القرش. كان الابتكار فيها يكمن في أنه بعد ارتدائها لعدة أيام سيتمرن من يرتديها على

Twitter: @ketab_n

الأكل بكميات أقل وستشد عضلات معدته. كانت مهمة حشر بطن عمي المنتفخة في الحزام مهمة أبي، الذي كان كل صباح قبل ذهابه إلى العمل يساعد أخاه في الانحشار في قراب النقانق خاصته، متجنبًا إغلاق السحاب على شعر جسد عمي الكثيف. إن غضضت النظر عن اللفائف المنتفخة الهاربة من أعلى الحزام وأسفله، سترى أن عمي يبدو أنحف، لكن كان من الصعب اعتياد جلسته المستقيمة التي منعته من الجلوس على الكنبة معنا. كان يتجول في أرجاء المنزل معجبًا بشكله الجديد، متظاهرًا أنه يستمتع بانسحاق أعضائه، ولكن كما في كل ألم ذاتي متعمد فقد حزام البطن جاذبيته في النهاية. لقد صار الحزام ماضيًا ربما بسبب التشنج الشديد بعد الوجبات، أو العجز عن الجلوس أو العلامات على البشرة.

كان الطريق المختصر التالي نحو الرشاقة بالنسبة لعمي نعمة الله هو ثياب للتمارين معدة خصيصًا لهذا الغرض، أعلن عنه أثناء برنامج "ذا نيو لاند جيم"، وتعد بالتخلص من تلك الباوندات المزعجة عبر التعرق. كانت الثياب مخاطة من مادة ثقيلة فضية، من شيء بين القصدير والفينيل، مادة ربما خلفتها رحلة فضائية فاشلة وابتيعت من مزاد لناسا. تقول التعليمات إنه يتوجب ارتداء هذه الثياب لعشرين دقيقة قبل كل وجبة، يقوم خلالها مرتديها بأداء بعض التمارين. قرر عمي أن يسرّع عملية خسارة الوزن بارتداء بدلته الفضائية طوال اليوم، ولم ير بأسًا في الطواف حول البناية بلانهاية تاركًا الجيران يتساءلون إن كان يبحث عن السفينة الأم. كان- مرتديًا تلك البدلة كأنه يتحضر لرحلة إلى الزهرة - يذهب إلى المخزن الكبير ومتجر الخرداوات وفي كل مكان آخر احتاج الذهاب إليه. ولأنه لا يفهم الإنجليزية يبدو أنه نسي المعنى العالمي للنظرات أيضًا، وأخذ يسألني الأطفال في المدرسة عن الرجل الغريب الذي يعيش في منزلنا. وقد أصبحنا أنا وعائلتي في أعلى قائمة غريبي الأطوار.

Twitter: @ketab_n

حالة النشوة التي سببها فقدان بضعة باوندات سرعان ما انتهت، وربما عجل بنهايتها الرائحة الكريهة المزعجة للعرق المتراكم المنبعثة من البدلة. على حد علمنا، لم تكن البدلة قابلة للغسيل، ورغم ارتباطه بغرفة التجفيف تلك إلا أن عمي اضطر للاعتراف أنه حان الوقت للتخلص منها.

وبعد ساعات قليلة من مشاهدة التلفاز أرسلنا في طلب ناحت الجسم "ذا بودي شيبر"، وكانت الآلة الأخيرة تتألف من حبل من النايلون مربوط بعدد من البكرات، وبوصل الجهاز إلى مقبض الباب والاستلقاء في أكثر البقع إزعاجًا، يمكن للمستخدم أن يمرّن ذراعًا أو ساقًا واحدة، أو ذراعين أو ساقين معًا، أو ساقًا وذراعًا معًا، أو أي شكل آخر.

وعند تطبيقه لوضعية خيالية، كان عمي معلقًا كليًا بالجهاز. كان يقضي أيامه مربوطًا بمختلف مقابض الأبواب ويؤدي تمارين لا نهائية لرفع الساق. تحول عمي إلى مقص بشري يقطع الهواء لساعات. لقد تعلمنا بالطريقة الأصعب ألا نفتح بابًا مغلقًا دون الاستماع أولًا لـ"سووش سووش" الواضحة القادمة من خلفه. لقد كان سبب نجاح جهازه الأخير لخسارة الوزن غامضًا، فافترضنا أن مثابرته كان لها علاقة بعودته الوشيكة إلى إيران ورغبته في العثور على زوجة. يعرض الطاووس الذكر ريشه ليجذب الأنثى، لكن الذكر من البشر ذا البطن المتهدلة ينتهي به الأمر إلى نتائج مختلفة.

بعد شهر وقد نجح سحر "ذا بودي شيبر"، كان عمي نعمة الله مستعدًا للعودة إلى الديار، وكنا نراقبه وهو يعد حقائب سفره ونتمنى جميعًا لو كان بإمكانه البقاء أكثر، لقد شق عمي طريقه نحو قلوبنا وبدا البيت خاليًا دونه.

Twitter: @ketab_n

بمساعدة صغيرة من أصدقائي

أنا محظوظة لأنني قدمت إلى أمريكا قبل قيام الانقلاب في إيران. كان الأمريكيون الذين تعاملنا معهم لطيفين وفضوليين ولا يتحرجون من طرح الأسئلة كما أنهم مستعدين للإصغاء. حين أصبحت قادرة على التحدث بالإنجليزية بما يكفي للتواصل، وجدت أنني صرت أستجوب بلا توقف من الأطفال والبالغين على حد سواء، وأصبحت حياتي مثل حلقة طويلة مستمرة من برنامج أوبرا، دون إقامة مجانية مرفهة في شيكاغو ودون أوبرا.

كانت عقول الأمريكيين فيما يتعلق بإيران "صفحات بيضاء"، ومن خلال الأسئلة التي يطرحونها كان من الواضح أن معظم الأمريكيين في عام 1972 لا يعرفون شيئًا عن إيران، وقد بذلنا جهدنا لتثقيفهم. "هل تعرف آسيا؟ حسنٌ اتجه شمالًا إلى الاتحاد السوفييتي وتجدنا هناك." أو قد نجرب أن نكون أكثر ريفية فنذكر كوننا شمال بحر قزوين الجميل "حيث ينتج الكافيار الشهير". معظم الناس في وايتيير لا يعرفون شيئًا عن الكافيار الشهير، وحين نشرح ماهيته يعبسون قائلين:"بيض سمك؟ مقرف". حاولنا أن نذكر مجاورتنا لأفغانستان أو العراق، لكن لم يكن الأمر مجديًا. وعند استنزاف تلميحاتنا الجغرافية كنا نقول:"هل سمعتم بالهند أو اليابان أو الصين؟ نحن من القارة نفسها".

كنا نعرف دومًا أن بلادنا بلاد صغيرة وأن أمريكا بلد كبير، لكني فوجئت – وأنا بعمر السابعة– أن كثيرًا من الأمريكيين لم يلاحظونا على الخارطة. ربما كان الأمر أشبه بقيادة سيارة من طراز يوغو وإدراك أن قائد الشاحنة لا يمكنه رؤيتك.

Twitter: @ketab_n

في إيران كانت دراسة الجغرافيا إلزامية في كل صف، وبما أن الحكومة هي التي تصدر الكتب المدرسية فإن كل الطلاب يدرسون المواد نفسها في كل مرحلة. في مادة الجغرافيا في الصف الأول كان يتعين علي تعلّم شكل خارطة إيران وموقع عاصمتها طهران، وعلي أن أحفظ أننا نجاور تركيا وأفغانستان وباكستان والعراق والاتحاد السوفييتي، كما تعلمت أنني أعيش في قارة آسيا.

لم يسألني أحد من الأطفال في وايتيير التي تبعد ساعة خارج لوس أنجلوس عن الجغرافيا، كانوا يريدون أن يعرفوا أمورًا أكثر أهمية كالجِمال وكم يبلغ عدد ما نمتلك منها؟ ماذا نطعمها؟ هل ركوبها صعب؟ وكنت دومًا أخيب آمالهم عندما أقول إنني لم يسبق لي أن رأيت جملًا طوال حياتي، وأما بالنسبة للتنقل فقد كانت قيادة الشيفروليه سهلة جدًا. كانوا يتصرفون كما لو أنني أخبرتهم أن هنالك أحد فعلًا في زي ميكي ماوس.

كنا نُسأل أيضًا عن الكهرباء والخيام والصحراء الكبرى، وكنا مرة أخرى نخيب آمالهم حين نقول إن الكهرباء متوفرة وإننا لا نملك خيمة وإن الصحراء الكبرى تقع في قارة أخرى. حمل أبي على عاتقه مهمة تنوير الأمريكين كلما سنحت الفرصة لذلك بغية إصلاح صورة وطنه بأثر رجعي، وكان كل أمريكي جاهل يطرح سؤالًا على أبي يتلقى محاضرة – كجائزة– حول التاريخ المزدهر لصناعة النفط في إيران. كنت أراقب – أثناءإلقاءأبيمحاضرته – وجوه هؤلاء الأمريكيين اللطيفين الذين كانوا بلا شك يقولون في أنفسهم ألا يتحدثوا إلى أجنبي أبدًا.

كنا نتساءل أنا وعائلتي لمَ كان لدى الأمريكيين هذه الصورة الخاطئة عن إيران، وحصلنا على جواب ذات يوم من أحد جيراننا الذي أخبرنا

Twitter: @ketab_n

أنه يعرف إيران لأنه شاهد فيلم لورنس العرب، فأخبرناه أنه كائنًا من كان هذا اللورنس فإننا لم نسمع به أبدًا، ثم وضح له أبي أن الإيرانيين هم هندو أوروبيون وليسوا عربًا. وتابع قائلًا:"نحن نتشارك في شيئين مع المملكة العربية السعودية الإسلام والنفط، ولن أحدثك عن الدين لكن دعني أخبرك عن إنتاج النفط".

جارة أخرى وهي سيدة مسنة لطيفة علمتني كيف أعتني بالنباتات الداخلية، سألتنا إن كان لدينا قطط كثيرة في بلادنا، فرد أبي بقدرته المدهشة على إفساد الصداقات:"نحن لا نربي حيوانات أليفة في منازلنا، إنها قذرة". فقالت الجارة:"لكن قططكم جميلة جدًا". لم يكن لدينا أدنى فكرة عما كانت تتحدث عنه، وحين رأت تعابير وجوهنا المرتبكة عرضت لنا صورة لقطة جميلة بشعر طويل وقالت:"إنها قطة فارسية"، وكان هذا أمرًا جديدًا بالنسبة لنا لأن القطط الوحيدة التي رأيناها في بلادنا كانت قططًا جرباء ضالة تأكل من حاويات القمامة خلف المنازل. ومنذ ذلك اليوم كنت حين أخبر الناس أنني من إيران أضيف: من بلاد القطط الفارسية، وكان ذلك يثير إعجابهم.

حاولت جهدي أن أكون ممثلة جيدة لبلادي، ولكن مثل نجم هوليوود الملاحق من مصوري المشاهير(الباباراتزي) باستمرار كنت أضجر من الأسئلة، ومع ذلك لم ألكم أحدًا بقبضتي، كنت أستخدم الكلمات لفعل ذلك. كان هنالك ولد اعتاد طرح أسئلة غبية علي، وذات يوم سألني عن الجِمال ثانية، وهذه المرة – ربما لإضفاء بعض الحرفية في الحكاية- أخبرته أننا نملك جمالًا بسنام وسنامين، وأن ذا السنام يعود لوالديّ أما ذا السنامين فهو العربة العائلية، فاتسعت عيناه دهشة.

– أين تحتفظون بهم؟

Twitter: @ketab_n

- في المرآب طبعًا.

ولأنه حصل على الجواب الذي يريد، انطلق ينشر معرفته لكل الأطفال في الملعب، ثم غضب جدًا عندما عرف أنني خدعته، لكنه لم يعد لسؤالي بعدها أبدًا.

كثيرًا ما حاول الأطفال أن يتظارفوا بترديد I ran to I-ran "جريت إلى إيران، وكنت دومًا أقول لهم إن اللفظ السليم هو إيران (بمد الياء) وأن I ran هي جملة تعني أنا ركضت كما في قولك هربت من درس الجغرافيا.

يطلب مني بعض الأولاد الأكبر سنًا أن أعلمهم كلمات بذيئة بلغتي، وكنت أرفض فعل ذلك في البداية، غير أن رفضي كان يزيد من إلحاحهم، لذا توصلت إلى حل المسألة بأن أعلمهم عبارات مثل "مَن خرم" (أنا أخضر) التي تعني أنا أحمق، وأخبرتهم أنني أعلمهم كلمات بذيئة جدًا وأن عليهم أن يعدوني ألا يذكروها أمام أحد، فأمضوا فترة الفسحة بين الحصص وهم يركضون ويرددون:"أنا أحمق، أنا أحمق!" ولم أخبرهم بالحقيقة أبدًا، ظننت أن أحدًا ما سيفعل يومًا ما.

لكن تقريبًا كل من كان يسألنا كان يطرح سؤاله بلطف، وكان يلي الأسئلة اقتراحات لزيارة بعض الأماكن في كاليفورنيا. في المدرسة، يتقاسم الأطفال نفسهم الذين سألوني عن الجمال طعامهم معي. "أراهنك أنك لم تتذوقي الأوريو قبلًا، جربي واحدة". "خبزت أمي بسكويت زبدة الفول السوداني وأرسلت لك واحدة". يدعوني الأطفال إلى منازلهم ليروني كيف تبدو غرفهم. في الهالوين، جلبت لي عائلة ما زيًا لمعرفتهم أنني سأكون حتمًا الطفلة الوحيدة في موكب الهالوين التي لا تمتلك واحدًا. إن استطاع أحد أن يغلف طيبة أطفال الصف الثاني

Twitter: @ketab_n

بشكل أقراص، فلا شك أنها ستنهي كثيرًا من الحروب.

بعد سنتين تقريبًا في وايتيير، انتهى انتداب أبي وكان علينا العودة للبلاد. في شهرنا الأخير دعيت إلى حفلات نوم الواحدة تلو الأخرى وكلها مقامة على شرفي. لم يجعل تيار اللطف هذا رحيلنا الوشيك أسهل، وكان الجميع يسأل عن موعد عودتنا إلى أمريكا، لم نملك جوابًا لذلك لكننا دعوناهم جميعًا لزيارتنا في إيران. كنت واثقة أن لا أحد سيلبي دعوتنا لأن إيران كانت خارج نطاق شاشة الرادار لكثير من الناس. كان كثير من أصدقائي يرى في زيارة جداتهم في أوريجون رحلة طويلة، ولذا فإن زيارتي في إيران كانت مثل تعني الاستدارة نحو اليسار إلى القمر التالي. لم يكن ذلك ليحدث، ولم أكن أعرف حينها أنني سأعود إلى أمريكا بعد سنتين تقريبًا.

ما بين جولات التسوق المحمومة في سيرز لشراء هدايا لأقاربنا في الوطن، أمضت أمي أسابيعها القليلة الأخيرة بتقديم الهدايا لأصدقائنا الأمريكيين. كنت أتساءل دومًا ما الذي جعل أمي تجلب الكثير من المشغولات اليدوية الإيرانية معها، وعرفت الآن. حصل الجميع ، معلماتي وحارس البوابة وقائد البراوني والجيران، على شيء ما."هذه من بلادي، لك خصيصًا" كانت تقول. استقبلت هذه المشغولات اليدوية، التي لا شك أنها انتقلت إلى مزاد المرآب السنة التالية، بكثير من الدموع والوعود بالمراسلة.

كانت أمي تحديدًا حزينة لعودتنا إلى إيران، كنت أفترض دومًا أنها ستشعر بالراحة عند العودة إلى عائلتها وبلادها التي تتحدث فيها لغتها دون أن تحتاجني لأكون مترجمتها، لكني أدركت لاحقًا أنه رغم أن أمي لم تفهم شيئًا تقوله الحارسة السيدة بوبكين إلا أنها فهمت أن هذه

Twitter: @ketab_n

السيدة اعتنت بي، وأنها فهمت ابتساماتها، ورغم أن أمي لم تحضر أيًا من اجتماعات البراوني إلا أنها عرفت أن القائدة والدة كاري قد فتحت منزلها لنا كل أسبوع وأرشدتنا في كافة المشاريع. لم يدفع لها أحد مقابل هذا، وعرفت أمي أنه حين كان يحين دوري لإحضار الوجبات الخفيفة للصف، تجلب إحدى الأمهات الكعك الصغير. حاولت ميشيل الأخت الكبرى لصديقتي كوني أن تعلمني قيادة الدراجة، واستضافتني والدة هيذر، برغم كونها أم عازبة لطفلتين، للمبيت في منزلهم أكثر مما يمكنني أن أتذكر. ورغم أنني كنت المستفيدة من كل هذا الاهتمام، شعرت أمي -التي كانت تراقب من بعيد في صمت- بدفء الكرم واللطف، وكان صعبًا المغادرة.

عندما نجتمع أنا ووالداي اليوم نتذكر كثيرًا عامنا الأول في أمريكا. وحتى بعد مرور ثلاثين عامًا، لم تبهت ذكرياتنا، بل كنا نتذكر اللطف أكثر مما مضى مؤمنين أن أقرباءنا الذين هاجروا إلى هذه البلاد بعد الثورة الإيرانية لم يختبروا أمريكا تلك. كانوا يرون الأمريكيين يلصقون ملصقات على سياراتهم: "أيها الإيرانيون، ارحلوا" أو "نلعب لعبة رعاة البقر والإيرانيين". ظن الأمريكيون أنهم يعرفون كل شيء عن إيران وشعبها، وأنهم ليس لديهم أسئلة بل مجرد آراء. أما أقاربي فلم يحظوا بفرصة لرؤية أن الأمريكيين لطيفون.

Twitter: @ketab_n

بيرنيس

في أمريكا، كان لدي وجه "إثني"ومظهر مهاجر يقول: أنا لست إسكندنافية.عندما كنت أعيش في عبادان، كنا أمي وأنا نبرزعن البقية، لأننا كنا نبدو أجنبيتين. ينتج مناخ عبادان الصحراوي، الذي يشبه مناخ بالم سبرينغز، سكانًا ببشرات زيتونية، وكنت أنا وأمي بسبب أصولها التركية نمتلك بشرة لها لون بشرة نيكول كيدمان التي توصف بالبورسلين، ويوصف غيرها ببياض بطن السمكة. كان الناس يسألون أمي دومًا في عبادان إن كانت أوروبية، وكانت تبادر بالقول:"حسن، عمتي تعيش في ألمانيا".

عندما انتقلنا إلى كاليفورنيا، لم نعد نبدو أجانب، فقد اعتبرت وايتيير موطننا الأصلي بسبب الجالية المكسيكية الكبيرة هناك. وما دمنا لا نتحدث كنا نبدو كأننا ننتمي إليهم، غير أن واحدة من جمل أمي المفككة المميزة بعدم وجود فعل فيها (المتجر جيد جدا[11]، سعيد جدا في سيرز) كانت كافية لكشفنا، ويسألنا الناس حتمًا عن جنسياتنا، غير أن إجاباتنا لم تكن مهمة فعلًا، فحين يذكر بلدنا يبتسم الناس ابتسامة تشي بعدم الراحة وكأنهم يقولون: يا سلام! أين تقع هذه بحق السماء؟"

في عام 1976 نقلنا عمل أبي الجديد إلى نيوبورت بيتش، وهي مدينة ساحلية جميع سكانها من الشقر ويقودون مراكب شراعية، كنا نبرز هناك مثل مجموعة من المهاجرين الشرق أوسطيين في مدينة كل من فيها أشقر ويقود مركبًا شراعيًا. نادرًا ما يسألنا الناس عن بلادنا، لأن القاعدة

(11) تتحدث الكاتبة عن الجملةالاسمية باللغة الإنجليزية التي لا تكون سليمة دون فعل الكون is ، وهي بالطبع مختلفة عن نظيرتها في العربية.

Twitter: @ketab_n

في نيوبورت بيتش تقول:"إن لم تكن أشقر فأنت مكسيكي". وقد يطلب منك الناس أمورًا مثل:"هلا أخبرت لوبي من فضلك ألا تأتي الأسبوع القادم لتنظيف منزلنا لأننا سنكون في إجازة".

وقد يظن المرء أن سكان نيوبورت بيتش التي تبعد ساعتين عن الحدود المكسيكية يعرفون بعض الكلمات الإسبانية، ولكن في مكان تصبح فيه سمرة المرء موضوعًا متاحًا للنقاش (هل لونك هذا سببه قضاء نهاية الأسبوع الماضية على الشاطئ؟ لا، لقد لعبت التنس أمس) لم يكن تعلم لغة العمالة المنزلية أولوية.

خلال عامي الأول في نيوبورت بيتش، كان طلاب الإعدادية يخضعون لفحص ميلان العمود الفقري، كل طلاب الصف السادس حشدوا في الصالة الرياضية حيث انتظرنا أن تقوم الممرضات بفحص التقوس في ظهورنا، وحين حان دوري نظرت الممرضة طويلًا إلى وجهي وقالت:"يا إلهي! هل أنت من ألاسكا؟"

- لا، أنا إيرانية.

- مستحيل، صاحت، بيرنيس ألا تبدو لك هذه الفتاة من ألاسكا؟

عندما بدأت بيرنيس تتهادى عبر الصالة أردت أن أعرض عليها عرضًا:"ما رأيك أن أخبر لوبي ألا تأتي الأسبوع القادم لأنكم ستكونون في إجازة، ونسوّي الأمر؟"

خلال العام نفسه، طلب مني أن أتحدث عن بلادي لطلاب الصف السابع في مدرستي، والفتاة التي طلبت مني ذلك كانت جارة لي تحتاج بعض العلامات الإضافية في مادة العلوم الاجتماعية. فجلبت كتبًا فارسية ودمية ترتدي ثياب امرأة تحوك سجادة فارسية وعددًا من

Twitter: @ketab_n

المنمنمات الفارسية وبعضًا من ورق العنب المحشو بفضل أمي. وقفت أمام الطلاب وقلت: "مرحبًا، أنا فيروزة من إيران"، وقبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، نهضت المعلمة وقالت: "لورا، قلت إنها من بيرو!" إن كانت حياتي فيلمًا غنائيًا من هوليوود، فإن بداية المشاهد الغنائية الراقصة ستكون

تقول طماطم

وأنا أقول طماطم

أنت تقول فارس

وأنا أقول بيرو

لننه هذا الأمر.[12]

لذا ذهبت إلى المنزل حاملة منمنماتي الفارسية والدمية التي ترتدي ثياب امرأة قروية تحوك سجادة فارسية وكتبي، على الأقل لم تضطر أمي لإعداد العشاء تلك الليلة لأن حبات ورق العنب الثلاثين كانت كافية لنا جميعًا.

قامت الثورة الإيرانية أثناء إقامتنا في نيوبورت بيتش واحتجز عدد من الأمريكيين كرهائن في السفارة الأمريكية في طهران، ثم أصبح الإيرانيون المقيمون في أمريكا بين عشية وضحاها مكروهين جدًا إن أمكن القول، ولسبب ما بدأ الأمريكيون بالاعتقاد أن الإيرانيين كلهم،

(12) أغنية أمريكية مشهورة بعنوان Let's call the whole thing off من فيلم Shall we Dance والأغنية تقارن بين اللهجات المناطقية المختلفة، لكنها لا تتعلق بالمناطقية فقط بل بطبقات المجتمع أيضًا.

Twitter: @ketab_n

بغض النظر عن المظهر الخارجي الذي يوحي بالعكس، يمكن في أي لحظة أن يغضبوا ويحتجزوا رهائن. كان الناس يسألونا دومًا عن رأينا بقضية الرهائن، وكنا نرد دومًا إنه أمر فظيع، وكانت إجابتنا هذه تقابل بالدهشة عمومًا. كنا نسأل عن رأينا في هذه المسألة كثيرًا بحيث بدأت بتذكير الناس أن الرهائن لم يكونوا محتجزين في مرآبنا، وحلت أمي هذه المشكلة بالقول إنها من روسيا أو من "توركيا". وكنت أحيانًا أكتفي بالقول:"هل لاحظتم أن كل القتلة المتسلسلين كانوا أمريكيين؟ لن أحاسبكم من أجل هذا!"

انتقلت من نيوبورت بيتش إلى بيركلي، المدينة التي وصفت مرة أنها إبط كاليفورنيا، لكنها لم تكن كأي إبط، بل كانت واحدًا بحاجة للتنظيف وإزالة الشعر، مكان مليء بالناس المثقفين الذين لم يسمعوا بإيران فحسب بل يعرفون عنها القليل. في بيركلي كان الناس يشعرون بالإثارة أو الهلع عند اللقاء بإيراني، وتكون ردود فعلهم شيئًا من قبيل"ما رأيك برجال الاستخبارات الأمريكية الفاشيين الذين دعموا ديكتاتورية الشاه ليستغلوه كدمية في سعيهم اللا نهائي لفرض سيطرتهم على الشرق الأوسط ومناطق أخرى مثل نيكاراجوا؟" وأحيانًا كان قولي إنني إيرانية ينهي أي حوار، لست أدري لماذا، لكني افترضت أن بعضهم خشي أن أكون إرهابية أخرى متخفية كطالبة في تاريخ الفن في جامعة بيركلي. ومع ذلك كانت فئة السائلين المفضلة لدي من يظنون أن إيران هي عائلة واحدة كبيرة، فقد يسألوني:"هل تعرفين علي أكبري في سينسيناتي؟ إنه لطيف جدًا".

أثناء سنوات إقامتي في بيركلي قابلت فرانسوا، الرجل الفرنسي الذي أصبح زوجي فيما بعد، أثناء صداقتنا أدركت كم كانت حياتي مجحفة،

Twitter: @ketab_n

فأن تكون فرنسيًا في أمريكا يبدو كما لو ختم على يدك بترخيص ما يسمح لك بالدخول إلى أي مكان، كل ما كان على فرانسوا أن يفعله هو أن يذكر اسمه الفرنسي وسيراه الناس مثيرًا للاهتمام، فمن المفترض أن يكون رجلًا حساسًا مثقفًا ومطلعًا، رجلًا يمضي أيامه - حين لا يقرأ بودلير- في رسم لوحات انطباعية.

يبدو أن كل أمريكي لديه ذكرى جميلة في فرنسا:" لقد كان المقهى الأجمل وما زال طعم فطيرة التفاح المكرمل في فمي". لم يعد فرانسوا على حد علمي فطيرة التفاح المكرمل، ومع ذلك كان الناس سعداء بالإشادة به لذلك، وكنت أقول دومًا:"تعلمون أن لفرنسا تاريخًا استعماريًا قبيحًا". لكن لم يكن ذلك مهمًا، فالناس يرون زوجي ويتخيلون جين كيلي يراقص ليزلي كارون[13]، ويراني الناس ويفكرون بالرهائن.

هذاهو السبب الذي جعلني أتمنى أن أبعث في الحياة الأخرى كسويدية، أظن أنني سأكون شقراء طويلة الساقين، وإن عدت سويدية محتجزة في جسد امرأة شرق أوسطية فسأكتفي بالتظاهر أنني فرنسية.

(13) جين كيلي ممثل وراقص ومغنٍ ومخرج سينمائي، وليزلي كارن: ممثلة وراقصة فرنسية اكتشفها كيلي.

Twitter: @ketab_n

اثنتا عشرة سلسلة مفاتيح

لكل فرد في عائلتي الكبيرة الممتدة أمر اشتهر به، وهو أمر محفور في الصخر ويكون عادة نتيجة لتصرف عشوائي نوعًا ما ويصبح له معنى كبير لأسباب مجهولة ويكون اللحظة الحاسمة في الحياة. في سن الخامسة اللطيف على سبيل المثال، أصبح لابن عمي آرديشير العادة البذيئة في التغوط خلف ستائر غرفة المعيشة أثناء ولائم العشاء الرسمية الكثيرةالتي كان يقيمها أبواه. قد يترجم أحدهم هذا السلوك اليوم على أنه علامة على الغضب، لأن الطفل المسكين كان يترك مع المربية رغمًا عنه في الوقت الذي يلهو فيه باقي أفراد الأسرة. وبدلًا من ذلك فقد بدا ذلك انعكاسًا للشخص الذي أصبح عليه، وإذ نمّى روتينه المزعج ذاك فقد مضى آرديشير ليصبح مالك مطعم. مؤخرًا في لقاء عائلي حدث أثناء فترة ركود في مسيرته الناجحة، ذكر أحدهم أن الأمور في مطعم آرديشير لم تكن على ما يرام، فعلقت عمتي على ذلك بقولها"حسن، ما الذي تتوقعونه من شخص كان يتغوط خلف الستائر؟"

بقدر ما عانى آرديشير من السمعة التي لاحقته، واصل أخي فرشيد نجاحه معتمدًا على سمعته. عندما كان فرشيد في الروضة في عبادان، كان – حسب ما يردد الرواة كلهم- ولدًا محبوبًا وفاتنًا بشدة، وقد لا يكون هذا أمرًا ذا بال في عائلات أخرى، لكن والديّ – اللذين كان كلاهما خجولًا بشدة- نظرا إلى الفرد الشاذ في عائلتهماتمامًا كما يرى الأمريكيون الأصليون الجاموس الأمهق ، لقد كان معجزة. وبعد إنهائه الروضة بأربعين عامًا ما يزال أخي يستشار قبل اتخاذ أي قرار صغير أو كبير. كان فرشيد يوجه عددًا لا نهائيًا من أبناء العمومة والأقارب في قرارات مثل نوع السيارة التي عليهم شراؤها، أو المواد التي سيدرسونها

Twitter: @ketab_n

في الجامعة أو أفضل مزيل للاحتقان الأنفي، ولم يكن هناك أحد مخلص لمهارة فرشيد في اتخاذ القرارات أكثر من والديّ، كان فرشيد مثل جيمس بوند لم يخفق أبدًا في أي مهمة.

عندما كنت في السابعة من عمري، أبلغت والديّ برغبتي بالالتحاق بمخيم، كان ذاك عام 1976 وقد مضى على إقامتي في أمريكا سنتان، ولم يسبق لي مرة أن قضيت الليلة بعيدًا عن والديّ عدا مرات البيات القليلة حين كنت في الصف الثاني. لست أذكر ما الذي دهاني لأرغب في تجربة المخيم الصيفي، لست متأكدة من أنني أعرف ما الذي يفعله المرء في مخيم كهذا، ولكن مهما كان السبب فقد أعلنت تلك الرغبة وعلى الفور أوكل والداي لفرشيد الذي كان حينها في الثامنة عشر مهمة إيجاد المخيم المناسب لي.

بعد بحث طويل، عثر فرشيد على المخيم "الممتاز": مخيم باين لودج ماونتين الصيفي، ويقع في جبال الماموث وتستغرق الرحلة إليه ثماني ساعات فقط، وبدا أبي - الذي يخلص لقرارات فرشيد فيما يشبه العبادة وليس هناك احتمال في الشك بأي منها- معجبًا بهذا المخيم الذي تبلغ تكلفته 500 دولار لأسبوعين. لا شك أن أي شيء يكون بهذه التكلفة سيكون جيدًا كما لا ينفك يكرر. كان منشور مخيم باين لودج مختومًا بموافقة من منظمة المخيمات التي لم يسمع بها أحد منا قبلًا، ولكنه أعجب أبي أكثر. لم تعلق أمي كالعادة، رغم أنها قالت بعد عشرين سنة من ذلك:"لم أكن أظن أن عليك الذهاب".

بعد توقيع الطلب لمخيم باين لودج ماونتين الصيفي تلقيت قائمة من الأدوات التي أحتاجها، ولم نكن نملك أيًا منها. انطلقنا أبي وأنا السبت التالي إلى مونتجمري وورد. كان أبي - الذي نعرف نفوره من التسوق-

Twitter: @ketab_n

يعتقد أن أي شيء يكلف أكثر مما يفعل في الأهواز عام 1946 غال جدًا، لكن لحسن الحظ أنه مستعد دومًا للدفع للحصص والتجارب التي تحسن النمو نوعًا ما، عدا عن ذلك كان كل شيء مكلفًا جدًا. عجزه عن دفع الثمن كاملًا لأي شيء يفسر لماذا يملك الزوج الوحيد في العالم – على حد علمنا – من أحذية نايك الجلدياذي اللون الأحمر الفاقع والزهري. كانت السلع التي يختارها من طاولات التصفيات تتراوح بين كونها عديمة النفع مثل صفارة إنذاره المحمولة، إلى كونها مروعة فعلًا مثل العصافير المصنوعة من اللباد، ورغم أنه اعترف أن الناس تحدق بحذائه الأحمر الفاقع بطريقة لا تنم عن الحسد، إلا أن الجذب المغناطيسي للصفقات كان قويًا جدًا ببساطة.

اتجهنا أبي وأنا حاملَيْن القائمة في أيدينا مباشرة إلى قسم التصفيات في قسم التخييم. كان الغرض الأول في القائمة حقيبة النوم، ولسوء حظي فقد كان هناك واحدة بسعر مخفض، ورغم أنني لا أعرف شيئًا عن حقائب النوم إلا أنني لاحظت أن هذه كانت أكبر وأضخم من تلك التي ليست في التخفيضات. كانت هذه الحقيبة بحجم طاولة المطبخ التي اشتراها أبي في مزاد للسلع المصادرة، بينما كانت الأخريات ملفوفات بأناقة داخل حقائبذات أربطة، وأكد لي أبي أنه سيعثر لها على حقيبة مناسبة في المنزل، في النهاية ستكون غبيًا إن فوتّ شراء حقيبة نوم بسعر 8.99 دولار فقط!

تابعنا شراء المطلوب في القائمة وكنا نشتري النسخة الأرخص من كل شيء، متجاوزيْن كليًا الأدوات "الاختيارية"، التي كانت – كما قال لي أبي– لأناس يحبون شراء الأمتعة، فراش قابل للنفخ، قبعة عريضة الحواف، طارد للحشرات، من يحتاج كل هذه الأمتعة الإضافية؟

Twitter: @ketab_n

أخذنا مشترياتنا إلى المنزل وبدأنا فحص كل شيء كما لو أن نيزكًا هبط في غرفة معيشتنا، حقيبة مشبكة من أجل الثياب المتسخة! صحون صفيح قابلة للصف تحولت إلى مقلاة، مطارة من الألمنيوم بكوب في أعلاها، كل هذه المشتريات بالإضافة إلى صورة فتاة مبتسمة تمتطي حصانًا على منشور المخيم جعلتني أشك قليلًا في أن يكون مخيم باين لودج ماونتين الصيفي متعة ومغامرة بلا توقف.

كان الشك الوحيد الذي يعتمل في ذهني متعلقًا بحقيبة النوم، وبرغم تأكيدات أبي إلا أنه لم يكن هناك حقيبة في منزلنا تناسب هذا المسخ، ومع أننا أبي وأخي وأنا جلسنا عليها لكننا فشلنا في جعلها أقل ضخامة، كانت تتحدى المد. كان من الأفضل الانتفاع بالمواد الصناعية التي حشيت بها حقيبة النوم هذه بطريقة أخرى، كأن تكون حواجز على الطريق السريع، ولكنني الآن كنت عالقة مع كينج كونج هذه، وليس هنالك ما يمكنني أن أضعها فيه. أخيرًا توصل أبي بعقلية المهندس إلى حل عبقري: كيس قمامة متين.

بعد أشهر قليلة، أخذني أبي إلى محطة الحافلات، وكأي طفل يذهب إلى مخيم بيات للمرة الأولى، ندمت على قراري. بذل أبي جهده لتهدئتي بإخباري قصصًا عن عامه الأول في أمريكا كطالب لمنحة فل برايت في تكساس أي آند إم. كان يتحدث بحب عن الباكستاني رفيقه في الغرفة والذي لم يعد يتذكر اسمه، لكن قصص أبي أوضحت جدًا حقيقة واحدة: لا أريد الذهاب إلى المخيم.

وصلنا إلى محطة الحافلات لنكتشف أن كل واحد من الأطفال الآخرين قد جلب صديقًا على الأقل، وكانت عائلتي قد انتقلت من وايتيير إلى نيوبورت بيتش منذ وقت قصير لذا لم يكن لدي أصدقاء في

Twitter: @ketab_n

أي مكان خاصة في محطة الحافلات هذه، ولتصبح الأمور أسوأ كان الجميع يحدقون بكيس القمامة السميك.

صعدنا إلى الحافلة أخيرًا، جلست وحيدة وتمنيت في سري أن يجلس إلى جانبي شخص لطيف ويصبح صديقًا لي لكن لم يجلس أحد، وحين انطلقت الحافلة أدركت أن كل الأطفال من حولي يقضون وقتًا ممتعًا، ملأت الضحكات والقهقهات الحافلة، وبعد قضاء ساعات على الطريق، نقر الولد الذي يجلس خلفي كتفي.

قال: هل أستطيع أن أسألك سؤالًا؟

- طبعًا!

- حسن، هل تنظرين إلى الأسفل كثيرًا؟

- لا، لماذا؟

- حسن، يشير أنفك إلى الأسفل فظننت أن ذلك لأنك تطيلين النظر إلى ذلك الأرض أو شيء من هذا القبيل.

انفجر الأطفال من حولي بالضحك عند سماعهم هذا.

بعد ساعات وصلنا إلى المخيم، كان باين لودج منزلًا معدلاً ذا طابقين، يسكن الأولاد طابقه السفلي والفتيات في الطابق الثاني. كانت هناك صفوف من الأسرّة الطبقية في غرفة البنات، كما كان هناك حمام واحد في الطابق تستخدمه كل الفتيات. لقد أزيل باب الحمام على نحو غريب، لذا فإن أي فتاة ترغب باستخدام المرحاض أو المغسلة يمكنها أن تدخل في حين أن هناك أخرى تستحم. وكوني أتيت من ثقافة محتشمة ومن أسرة أكثر احتشامًا فلم يسبق لي أن رأيت أحدًا عاريًا، حتى أمي، ما يعني

Twitter: @ketab_n

أن فكرة أن أحدًا ما قد يدخل إلى الحمام أثناء استحمامي بدت غير معقولة، فقررت عندها ألا أستحم هناك.

بدا لي أن هناك عشر فتيات لئيمات من أصل إحدى عشرة. وكانت ماري، الفتاة التي تنام في الطابق العلوي من سريري، الفتاة الوحيدة التي تتحدث معي أو بالأحرى تبكي. أحببتها على الفور ليس كصديقة بل كأحد يجعلني أبدو شخصًا طيبًا. كان يرافق ماري أخوها الأصغر ويلي وكانا يمضيان النهار كله في محاولات ليكونا في الفريق نفسه في كل الأنشطة، والليل كله في البكاء على فصلهما عن بعض. لم يسبق لي أن التقيت فعليًا بأخ وأخت يستمتعان برفقة بعضهما بعض بقدرهما، وسرعان ما اكتشفت أنهما لم يكونا يحبان كونهما معًا بل كانا يخافان من الآخرين. لقد كان كل منهما مادة للسخرية، وقد شعرت ماري بالمسؤولية تجاه ويلي لأن نظاراته التي تشبه قعر قنينة الكوكا كولا واستعداده للارتجاف جعلا منه فريسة سهلة لكل الأولاد. ماري نفسها لم تكن على هذه الدرجة من الهشاشة، كل ما يتعين على المرء فعله ليقلل دموعها أن يناديها بأي اسم كان. كان ماري وويلي مصدر راحة هائلة لي، ليس لأنهما كرها مخيم باين لودج ماونتين الصيفي بقدر ما كرهته أنا فحسب، بل لأنهما كانا عرضة لتنمر الجميع أيضًا. كنت أعرف أنني ألي ماري وأخاها في نظام اختيار الضحايا المفضلين لدى الأولاد اللئام، لكن هذين الاثنين بين بكائهما وارتعاشهما وتقيؤهما عند التوتر أثبتا أنهما هدفان مناسبان جدًا أكثر مما تمنيت أن أكونه. في الحقيقة لم أتعرض للتنمر، بل كان الجميع يتجاهلني كليًا حتى المرشدين. لولا نشيج ماري أمامي كل ليلة لكنت أقسمت أنني في منتجع للزن.

اتخذت قرارًا، باعتبار أنني لن أستحم هنا، أن أقلل احتمالات اتساخي

Twitter: @ketab_n

بالمشاركة في الأنشطة الفنية والحرفية، فأغفلت ركوب الخيل والتخييم الليلي الخارجي، ودروس الرماية والنزهات إلى المدافن الهندية، وكل نشاط دوّن في منشور المخيم. كنت أذهب كل صباح إلى مشغل المكرميات[14] لأصنع سلسلة مفاتيح جديدة.

في نهاية الأسبوع الأول، أعلن المرشدون أن المخيم سيعرض مسرحية بعنوان "عابث على السطح"، ويتعين على الجميع المشاركة. وزعت الأدوار على الأطفال وكان مطلوبًا منيلعب دور شبح الجدة. ورغم أن دوري كله سطر واحد، إلا أنه كان يجب أن أغطى من رأسي إلى أخمص قدمي بمسحوق التالك، وبدأت أشك أن تلك كانت مكيدة لدفعي للاستحمام.

في ليلة العرض بدأت إحدى المرشدات بوضع مسحوق التالك لكن سرعان ما واجهت مشكلة، فبعد أسبوع من عدم الاستحمام تراكمت طبقة زيتية على شعري وجسدي و أخذ المسحوق يتكتل فور سقوطه عليهما، ما جعلني أبدو كمن غاص في إناء من العجين بدلًا من أبدو كشبح.

أردت الاستحمام فعلًا بعد العرض لكن فكرة دخول إحدى الفتيات اللئيمات علي وأنا أستحم كانت أكثر مما أحتمل، بالإضافة إلى أنني حققت حالة من الخفاء ولا أظن أن أحدًا سيلاحظ مدى قذارتي. لم يتحدث أحد – عدا معلمة المكرميات بات– إلي أبدًا، لذا ليس علي أن أجازف باحتمال أن أتعرض للإذلال مقابل النظافة الشخصية.

(14) المكرميات: نوع من المنسوجات العربية التقليدية ووصلت إلى الفرنسية وغيرها من اللغات الأوروبية عبر التركية.

Twitter: @ketab_n

حل اليوم الأخير للمخيم، فارتديت القميص الوحيد النظيف الذي احتفظت به من أجل هذا اليوم، وحزمت سلاسل المفاتيح الاثنتي عشرة ولففت حقيبة النوم في كيس القمامة وانتظرت الحافلة. لم أكن قلقة حيال الوداعات الحزينة لأن هذا كان أسعد يوم لي في المخيم على الإطلاق، تبادلت العناوين مع بات فقط، ولم يكن لدي ما أقوله لماري لأن علاقتنا كانت قائمة على نشيجها وإصغائي، كنت أتساءل إن كان والدها سيغضب حين يعلم أنه دفع 1000 دولار للمخيم، وأن ولديه لم يفعلا شيئًا سوى البكاء. أنا على الأقل صنعت سلاسل مفاتيح وفي الأسبوع الثاني أثنت بات على الغرز التي أصنعها.

وصلت إلى محطة الحافلات لأجد أبي وأخي الأكبر فريد بانتظاري، صرخ فريد حين رآني:"رائحتك كريهة! ألم تستحمي أبدًا؟"أدركت فجأة فداحة الموقف. لم أغسل جسدي منذ أسبوعين، ولأنني فقدت حالة الخفاء التي حظيت بها في المخيم غمرني الإحراج والخجل فأجبت:"بلى، فعلت طبعًا!"

خلال رحلة العودة سألني أبي إن كنت قضيت وقتًا ممتعًا في المخيم، فقلت: لقد كان رائعًا. أعرف أنه أرسلني إلى المخيم متوقعًا حصولي على مرح بقيمة 500 دولار، ولم يكن لدي الشجاعة لأخبره الحقيقة، لذا بدلًا من حياكة سلاسل المفاتيح قضيت الأسابيع القليلة التالية أحيك قصصًا عن كل مغامراتي الرائعة. لا أعرف إن كان أبي قد صدقني لكني على الأقل اكتسبت سمعة أفضل من يصنع سلاسل المفاتيح في العائلة.

Twitter: @ketab_n

يمكنك أن تدعوني آل

لاس فيغاس هي البقعة المفضلة لدى أبي على كوكب الأرض، وكان علي، كطفلة، أن أحتمل "الإجازات" اللا نهائية إلى وكر الخطايا في الصحراء. كلما حلت إجازة لثلاثة أو أربعة أيام كان أبي يعلن بسعادة أننا "ذاهبون إلى لاس فيجاس!" كنت أكرهها، لكنها كانت رخيصة وكذلك كان أبي لذا انطلقنا إليها.

كانت الرحلة إلى لاس فيجاس تستغرق أربع ساعات، والطريق السريع المؤدي إلى أرض الميعاد هذه يخترق الصحراء، ما يعني أن مشاهدة المناظر من المقعد الخلفي لسيارتنا الشيفروليه تضاهي سحر متابعة عرض لصيد السمك. كنت أحسد أخويّ - اللذين كان كلاهما في الجامعة- لأنهما نجوا من هذه الرحلات.

كانت المراسم هي نفسها في كل مرة، إذ يتعين علينا أن نستيقظ في الخامسة صباحًا، وننطلق عند الساعة الخامسة والربع. في اليوم السابق لانطلاقنا يملأ خزان الوقود ويفحص المحرك وتحزم الحقائب وينظف الزجاج الأمامي، والفضل في ذلك كله لأبي. أما الجزء الأهم من المراسم فقد كان يتعلق بأمي التي كانت تحمل القرآن الكريم أعلى إطار الباب بينما نمر تحته واحدًا تلو الآخر. بالنسبة لوالديّ، كان هذا يضمن رحلة آمنة، ولأنهما يتمنيان رحلة دون أن يحصلا على مخالفات سرعة، أما أنا فقد كنت أراه أمرًا مزعجًا في حشر الدين بأمر له علاقة بلاس فيجاس، وهي مكان أثق أن النبي محمد لم يكن ليحبه أبدًا.

كنا عادة نقود لساعة واحدة قبل التوقف لتناول الإفطار في مطعم ديني. حماس أبي لهذا المطعم يشبه الحماسة الدينية، وقد كان يرى أن مطعم

Twitter: @ketab_n

ديني واحة نظيفة كل النادلات فيها ودودات. لم يعجبنا الطعام حقًا لكن ذلك بدا ثمنًا قليلًا علينا دفعه مقابل دورات مياه نظيفة في وسط الصحراء. بعد الإفطار نعود إلى السيارة وندير مكيف الهواء ونواصل القيادة، ولا نتوقف إلى أن نصل الفرع التالي من مطاعم ديني، فنتناول وجبة خفيفة ويقول أبي كم هو رائع أن تكون كل فروع ديني نظيفة جدًا بغض النظر عن موقعها، ويضيف بعدها "أمريكا بلاد رائعة".

حالما نصل لاس فيجاس نذهب فورًا إلى ستاردست، وهناك يذهب أبي إلى المكتب الأمامي ويسأل عن صديقه المميز، رجل طلب منه أن يدعوه آل. ورغم أن اللافتة تقول لا توجد غرف شاغرة، إلا أن آل العظيم سيدبر لنا واحدة. على أية حال كانت هذه العملية السرية تستلزم مصافحة بالأيدي مرفق بها ورقة نقدية من فئة خمسة دولارات. كان أبي يحب لحظة فرانك سيناترا تلك ويروي القصص دومًا عن التعاملات مع آل، فيمد حدثًا بخمس دقائق إلى قصة لساعتين، كنت أكره آل وتمنيت دومًا أن ينتهي به الأمر إلى السجن، لكنه كان- مثل أوراق اللعب المزينة بصور النساء العاريات- من ثوابت ستاردست. بعد سنوات سألت أبي لم لم يكن يحجز غرفة مسبقًا، فقال:"كان الأمر سيصبح مملا".

توجه أبي مباشرة إلى طاولات لعب الورق بعد أن وضعنا أمتعتنا في الغرفة. كان الجميع - عدا المقامرين- يعرف أن القمار لا يجلب الربح. آمن أبي دومًا أنه كان قريبًا جدًا من الضربة الكبرى، لكن بسبب حدث مفاجئ كأن يفوز أحد آخر، كان هو يخسر. كان الربح، مثل الخسارة،يزيد تصميمه على اللعب، وعند طاولة اللعب يصبح أبي متطيرًا على نحو غريب، ملقيًا باللوم لخسارته على أحداث ليس لها علاقة. لم يكن يجلس أبدًا إلى طاولة يجلس إليها من يضع قبعة لأن

Twitter: @ketab_n

تلك علامة حظ سيء، والشعر الأحمر كان إشارة حظ طيب لكن إن كان شعر امراة فقط، أما ذوو الشعر الأحمر من الرجال فهم دليل حظ سيء، والأشخاص الذين يتحدثون كثيرًا إلى جانب الصامتين على نحو غريب كانوا علامات حظ سيء، وكانت أحد أحب معتقداته السخيفة إليّ قوله إن عدم جلوس الأمريكيين إلى طاولة ما هو حظ سيء، ولم أستطع مقاومة الاقتراح عليه أن يبقى في المنزل، لأنه كان المصدر الأكبر لحظه السيء باعتباره أجنبيًا، ولم يقدر أبي أبدًا هذه الملاحظة.

بعد ساعات من وصولنا تعلن أمي أنه حان الوقت للبحث عن أبي، ولم يكن مسموحًا للقاصرين دخول ساحة القمار، لذا مثل الأقمار التي تدور حول الأرض كنا نطوف حول محيط الملهى بحثًا عن شعر أبي المتقهقر، وأثناء دورانا لاحظنا أن هناك علاقة بين الشعر المنحسر ولعب الورق، بالإضافة إلى العلاقة بين تسريحات الشعر المنتفخة القديمة الطراز و آلات البيع التلقائي.

وحين نراه تذهب أمي لإحضاره في حين أقف أنا قرب المدخل الرئيس، كان أبي يعتبر رؤيته لأمي تقترب لاصطحابه فألًا سيئًا.

يحين بعدها وقت البوفيه المفتوح مقابل 3.99 دولار، ولسوء الحظ نصغي أثناءه إلى قصص أبي في القمار. هذه القصص لا تتغير كثيرًا من رحلة لأخرى، وفيها الكثير من "كنت على وشك"، كرهت هذه القصص بقدر ما كرهت آل، لأنني اكتشفت أن لا أحد يغادر لاس فيجاس رابحًا.

يمثل البوفيه المفتوح، هذه الظاهرة الأمريكية، تمرين الصبر الوحيد الذي تبرع فيه عائلتي، ورغم أن أبي قد خسر للتو مئات الدولارات على طاولة اللعب، كنا نشعر أننا نقهر النظام بملء بطوننا بطعام أكثر مما دفعنا له فعليًا. يقول أبي:"هذا القريدس وحده يكلف أكثر من خمسة

Twitter: @ketab_n

دولارات" "انظرا إلى الحلوى! إنها تساوي وحدها ثمن البوفيه!" ونعبر أمي وأنا عن موافقتنا لما يقول. وبعد حشو أنفسنا حد الألم، ينتابنا شعور أننا استولينا على لاس فيجاس وكل ذلك مقابل 3.99 دولارات فقط!

ما جعل لاس فيجاس كريهة أكثر هو ذكريات الإجازات الحقيقية التي أمضيناها في الماضي، في إيران كانت "الإجازة" تعني الذهاب إلى البحر الأسود. كل صيف يسمح رب عمل أبي الشركة الوطنية الإيرانية للنفط لموظفيها بالإقامة في الفلل التابعة لها في محمود آباد لمدة أسبوع، ومحمود آباد هي مدينة على ساحل البحر الأسود، تستغرق الرحلة إليها يومين من عبادان. نتكدس خمستنا كل صيف في سيارتنا الشيفروليه، وتحرص أمي على إعداد شطائر كافية وجلب الخيار والفاكهة والكوكا كولا من أجل الرحلة الطويلة. كانت السعادة تغمرنا دومًا عند مغادرة عبادان في الصيف، لأن مناخها الصحراوي كان لا يطاق، وكلما اتجهنا شمالًا باتجاه طهران يبدأ الطقس بالبرودة ببطء، ويؤكد لنا أننا صرنا بعيدين وبعيدين جدًا عن منزلنا. كنا نصل طهران دومًا مساء ونقضي الليلة في منزل أقاربنا، ثم ننطلق ثانية في الصباح، حاملين شطائر وفاكهة طازجة بفضل الأقارب.

كانت الرحلة بين طهران والبحر الأسود واحدة من أجمل امتدادات الأرض التي رأيتها على الإطلاق. يعرض المشهد الوارف درجات من اللون الأخضر أكثر مما رأيته في أي مكان آخر، وكان الجزء الأكثر إثارة من الرحلة هي الأنفاق الكثيرة التي مكنتنا من عبور جبال ألبرز[15] للوصول إلى البحر الأسود، وكنا نعرف أننا شارفنا على الوصول بتغير الطقس، فكلما اقتربنا أصبح الهواء أكثر إنعاشًا و نعومة. كانت رؤية

(15) - سلسلة جبلية في إيران تمتد من جنوب أذربيجان وتحاذي بحر قزوين (البحر الأسود).

Twitter: @ketab_n

القرويين يتجولون حاملين الدلاء البلاستيكية الرخيصة وكرات الشاطئ وقلائد الصدف تعني شيئًا واحدًا، لقد وصلنا البحرتقريبًا، ولم يعد باستطاعتنا كتم حماسنا أكثر.

كانت الفلل التي نقيم فيها مقصورات مصفوفة على طول الشاطئ كأحجار الدومينو. كنا نقضي النهار على الشاطئ نبني قلاعًا رملية ونبحث عن الأصداف ونلعب مع الموج. كان والداي يسترخيان ويختلطان بالأصدقاء لاطمئنانهما أن الأطفال يلعبون في أمان . كنا نتناول الطعام في قاعة الطعام بنظام الكافتيريا، ويعود الجميع إلى الكافيتريا ليلًا لمشاهدة الفيلم اليومي. حين أتذكر ذلك تبدو لي إجازاتنا مثل مخيم عائلي ويشعر الجميع بالحزن للرحيل وكنا نسأل دومًا "كيف مر الأسبوع بهذه السرعة؟"

في أمريكا كنا نعيش على ساحل كاليفورنيا لكننا نادرًا ما نرتاد الشاطئ، فقد كان الماء باردًا جدًا والأمواج عالية جدًا. ولتوقنا للماء الدافئ قررنا في أحد الأعوام أن نذهب في إجازة إلى هاواي. حجز أبي للإقامة لأسبوع واحد في ويكيكي، وقال: سنقيم على الشاطئ تمامًا، وباعتبار أنني لم أذهب مرة إلى هاواي فقد توقعت رؤية فردوسًا استوائيًا للاسترخاء، مكان يشبه جزيرة جيليجان[16].

وصلنا إلى ويكيكي لنكتشف أن الغرفة "المطلة على المحيط" تعني أن نقف على شرفتنا ونرفع أعناقنا لنلتقط بقعة زرقاء في الزاوية البعيدة. وبين الأبنية العالية كانت هناك متاجر تعرض قمصانًا وأكوابًا ومناشف كلها تحمل عبارة "حصلت على إكليل ورد في هاواي". أينما ذهبت

(16) - مسلسل تلفزيوني يحكي مغامرات سبعة أشخاص يحاولون البقاء على قيد الحياة على الجزيرة.

Twitter: @ketab_n

كنت أرى منحوتات جوز الهند نفسها، والأطر المصنوعة من الأصداف نفسها، والقبعات نفسها وكلها مصنوعة في الفلبين. حاولت أن أسترخي لكن ويكيكي بدت مثل بقالة "سيفين إليفن" قرب البحر.

في السنة التالية قررنا أن نقضي الإجازة في كاواي وهي جزيرة في هاواي وصفها وكيل السفريات بأنها فردوس استوائي حقيقي. كان الوصف دقيقًا، فقد كان فندقنا ذو الطابق الواحد قائمًا في وسط غابة وارفة. تساقطت في يومنا الأول أمطار استوائية سريعة ظهر بعدها قوس قزح خلاب، وكانت الأزهار المرتجة -التي كات كبيرة جدًا وألوانها دافئة فبدت كالمزيفة- تزين النباتات حول فندقنا، لقد عثرنا على معتزَل الرب.

وجد والداي في يومنا الثاني أن كاواي مملة، إذ قال أبي: ليس هنالك ما يستحق النظر، ليس هنا سوى النباتات وقوس قزح، وأضافت أمي: وليس هناك متاجر، وبدلًا من البقاء أسبوعًا آخر، غادرناها في اليوم التالي.

قرر أبي في السنة التي تليها اصطحابنا إلى متنزه يوسيمايت الوطني[17] لقضاء أسبوع هناك، وكان عمي نعمة الله يقيم عندنا وقتها. حجز أبي مقصورتين وانطلقنا لنجرب طعمًا آخر للفردوس، وبعد ثماني ساعات وصلنا إلى وادي يوسمايت الجميل، وأخذنا نطلق صيحات الإعجاب لرؤية المشهد الفاتن. استكشفنا المنطقة المحيطة في يومنا الأول، وعبرنا جدولًا قريبًا، كان كل ذلك رائعًا إلى أن طلب عمي - الذي لا يتحدث الإنجليزية بل لا يميز صورة رأس دب بخط يخترقها

(17) - منتزه في كاليفورنيا يمر به نهر مرسيد وفيه الكثير من الشلالات.

Twitter: @ketab_n

- أن تترجم له اللافتات المنشورة قرب مقصورتنا، وشرح له أبي أنها تحذر المخيمين من الدببة التي تأتي غالبًا للبحث عن طعام، وحين سمع عمي وأمي بذلك قررا أن نغادر يوسيمايت على الفور، فقد كانت أمي مقتنعة أن الدببة تقف في صفوف خلف الشجيرات متحينة الفرصة لتناول طعامها في هذا البوفيه الفارسي المفتوح. اعترضت أنا قائلة: لا يمكننا المغادرة، لقد وصلنا للتو! لكن أمي كانت قد بدأت فعلًا بحزم الحقائب، وبذلت قصارى جهدي أن أقنعها: تقول اللافتات إن الدببة تجتذبها رائحة الطعام وليس البشر.

بعد ساعة كنا جميعًا في السيارة وقد انطلقنا إليالضواحي الخالية من الدببة.

بعد هذه الرحلة أعلن أبي أن مكانه المفضل لقضاء الإجازة - باستثناء لاس فيجاس- هو هنا على الأريكة أمام جهاز التلفاز، وقالت أمي إن أبي كان مملًا، أما أنا فقد قررت أن أسافر حول العالم بحثًا عن قوس قزح ودببة عندما أكبر، ولكن قبل هذا سيكون علي لقاء آل مرة أخيرة لأقترح عليه مكانًا رائعًا ليقضي الإجازة فيه، وسأقول له: ما عليك إلا أن تترك كميات من الطعام عليك خاصة حين تنام!

Twitter: @ketab_n

عن البعوض والرجال

يحب زوجي فرانسوا السفر كثيرًا. عندما التقيت به للمرة الأولى أبهجني بقصص عن أماكن عجيبة زارها: جزر المالديف وبالي وسيريلانكا، كما روى لي قصصًا عن جده اليوناني سافاس الذي سافر إلى بغداد ليؤسس أول مصنع للخبز المختمر في المدينة. بعد أسابيع من وصوله جرح نفسه جرحًا صغيرًا أثناء الحلاقة اليومية، والتهب الجرح الذي كان يبدو بسيطًا، ولم يكن البنسلين قد وصل بغداد بعد، فمات بعد أيام قليلة تاركًا خلفه زوجة وابنتين صغيرتين. واتباعًا للتقاليد المحلية، دفن سافاس في مقبرة للمسلمين. وبعد عدة ليال ذهبت جدة فرانسوا البلجيكية أوكتافي إلى المقبرة بعد منتصف الليل بصحبة رجلين أحدهما كان قسًا من الروم الكاثوليك وحفار قبور، لقد قامت بحفر قبر زوجها لتدفنه مرة أخرى في مقبرة كاثوليكية.

عاش سافاس وأوكتافي قبل قدومهما إلى بغداد في الكونجو، وهناك كان لدى أوكتافي جاموس صغير أثير، وكان هذا الكائن اللطيف يتجول في أنحاء منزلهما كحيوان أليف، لكنه مثل كل الجواميس كبر في النهاية وتحول إلى جاموس يدمر كل شيء، ولكونه أصبح مدجنًا فلم يكن من الممكن إعادته إلى الحياة البرية، لذ قررت أوكتافي إرساله إلى حديقة الحيوان في أنتويرب، وبعد وداع حزين، أرسلته مقيدًا في سفينة بخارية إلى بلجيكا. لكن عبثًا، لم تتلق حديقة الحيوان هذه الإضافة الجديدة، فقد تاق الطاهي في مكان ما بين الكونجو وبلجيكا إلى تناول يخنة الجاموس.

أخبرني فرانسوا أيضًا أنه ارتاد رياض الأطفال أول مرة في باريس،

Twitter: @ketab_n

واستدعت معلمته والديه بعد أسبوع لإبلاغهما أن ولدهما كان يظهر سلوكًا غير لائق، ولا بد من عرضه على طبيب نفسي فورًا. اتضح أن فرانسوا لم يكن قادرًا على الاحتفاظ بثيابه عليه في المدرسة، وكان على أمه أن تشرح أنه لم يكن معتادًا على ارتداء الملابس باعتباره أمضى سنواته التأسيسية في أفريقيا، وأنه سيتأقلم بمرور الوقت بالتأكيد.

أحببت كل قصص فرانسوا ولم أكن مضطرة لإثارة إعجابه بأي حكايات مدهشة، لأنه، بقدر ما كان مهتمًا، كوني إيرانية ولي اسم مثل فيروزة قد تغلب على كل قصصه إلى حد كبير. لم أكن متفقة معه، لكن من أنا لأفجر فقاعة الرجل الذي أفلحت إلى حد ما في إثارة إعجابه دون جهد مني؟ بين الحين والآخر كنت ألقي بعض القصص العابثة عن باعة الكافيار قرب البحر الأسود أو رائحة زهرة السلبوت في حديقة عمتي صديقة فيجنّ الرجل الفرنسي، وحين أخبرته عن اجتياح الضفادع للأهواز، طلبني للزواج.

كل شيء كان على ما يرام حتى بدأنا نخطط لشهر العسل، فقد أخبرني فرانسوا أنه يريد اصطحابي إلى "المكان الأكثر رومانسية على وجه الأرض"، وبدا ذلك جيدًا إلى أن أضاف: سنذهب إلى مكان كان قصرًا فيالسابق. هل كانت هذه حياتي حقًا أم أنني دخلت عالم شخص آخر عبر أخدود زمني ما، جريس كيلي ربما؟ ولكن كأي خيال (فانتازيا) دام هذا لثلاثين ثانية فقط، وكان ذلك عندما أخبرني فرانسوا أن هذه البوابة الرومانسية كانت في الهند. حاولت إخفاء صدمتي، لكن بالنسبة لي لا يمكن أن تكون "الهند" و"شهر العسل في الجملة نفسها. وبقدر ما أحب الموسيقى والأدب والطعام الهندي، إلا انني لم أشعر بحاجة للذهاب إليها في شهر العسل. كان شعوري تجاه الهند مثل شعوري عند

Twitter: @ketab_n

مشاهدة مغامرات جاك كوستو[18] حيث يقوم الغواصون باستكشاف الكهوف في أعماق البحار، حاملين مصابيحهم لإنارة الشقوق السوداء الحالكة لمجر أن يكتشفوا أن الكهف مزدحم بأسماك القرش والحبار العملاق. نعم إنه أمر يحبس الأنفاس ولكني سأكون على أريكتي. هل أرغب بارتداء بدلة غوص مبللة لأنضم إلى جاك في هذه المياه الباردة؟ لا شكرًا.

كان فرانسوا محبطًا جدًا لأن ردة فعلي على أسابيعه العديدة في التخطيط للرحلة كانت "هل تمزح؟" حاولت أن أشرح له أنه بالنسبة لي يجب ألا يعترض الإجازة أي صعوبات كالبعوض واللقاحات والتصريف السيء واضطراب المعدة على سبيل المثال لا الحصر، فقد عانيت من الاضطرابات الجسدية ما يكفي - باعتباري نشأت في جنوب إيران- لأبحث عن منتجع لطيف فعلًا. وفي المقابل كانت حياة الرفاهية التي عاشها فرانسوا في الضواحي الفرنسية قد جعلته يتحرق للمغامرة، بالنسبة لي كان الأمر الوحيد الذي يجعلني أتحرق هو لسعات البعوض التي حصلت عليها في عبادان. كانت الإجازة بالنسبة لأسرة فرانسوا تعني الذهاب إلى الفيلا النائية على شاطئ البحر التي يملكونها في اليونان حيث يجددون سمرتهم ومهاراتهم في التزلج على الموج، وكان يتخلل هذه الأنشطة صيد السمك أو البحث عن عن آثار قديمة حملها الموج إلى الشاطئ. أما بالنسبة لعائلتي كانت الإجازة تعني عادة الذهاب إلى منزل الأقارب والنوم على الأرض محشورة بين عدد من أبناء العمومة. استمتع فرانسوا بالسفر في أرجاء اليونان في حافلات متداعية، ياله من مقابل منعش للميترو الفارسي المنظم والمتوقع. كان

(18) - جاك كوستو: مستكشف وعالم بيئة وصانع أفلام وثائقية

Twitter: @ketab_n

علي أن أركب حافلة مشابهة للذهاب إلى المدرسة في الصف الرابع، ولم يكن ذلك طريفًا أو ممتعًا. كان السائق يكدس الأطفال بضعفي عدد المقاعد متجاهلًا قواعد السلامة، ولأنني كنت آخر من يقله كان علي أن أقف في الممرمحشورة بين الأطفال الآخرين مثل بيضة مضغوطة بشدة في علبة كافيار بيلوجا. ذات يوم تقيأت الفتاة التي تقف خلفي عليّ في الطريق إلى المدرسة وواصل السائق القيادة، وحين وصلت إلى المدرسة أخذت أبكي لكن المعلمة لم تسمح لي بالذهاب إلى المنزل. لقد أمضيت اليوم كاملًا بقيء جاف على ثيابي بينما سد كل الأطفال حولي أنوفهم.

في إجازات أخرى رأى فرانسوا المناظر الطبيعية في تايلاند وبالي، أما المناظر الوحيدة التي اخترنا رؤيتها فقد كانت وجوه أفراد الأسرة الذين يعيشون في مناطق أخرى. كانت أسرة فرانسوا تعتبر الحشرات الضخمة والرطوبة أمرًا مدهشًا، وكنا نعبد أولئك الذين اخترعوا المكيفات الهوائية والمبيدات الحشرية، لم نكن نسعى إلى الأنماط العجيبة من الإزعاجات لأنها كانت جزءًا من حزمة تأتي مع وطننا.

أذكر أنني حين كنت في الخامسة من عمري ذهبت إلى السوق في عبادان مع أمي واحتجت الذهاب إلى الحمام بشدة. وكانت الوحيدة المتوفرة هي حمامات "تركية" وتتألف من حفرة في الأرض، إن كان يمكن قياس الرائحة بالديسيبيل (وحدة قياس الصوت) فستكون هذه الحمامات مكافئة لصف من المقاعد الأمامية في حفلة روك صاخبة، ولا داعي للقول إنني لم أعتد علي أي منها. وإلى جانب تعديل مقياس احتمال المثانة تعلمت ألا أشرب شيئًا في صباح يوم الذهاب إلى السوق.

كنت أكره الحرارة والبعوض بقدر ما أحب العيش في عبادان، وإن

Twitter: @ketab_n

كان لأحد حصة في لسعات الحشرات في حياته، لا شك أنني حصلت عليها بعمر السادسة، كان أبي يقول لي دومًا أنني الشخص الأحلى لأن البعوض يلسعني أكثر من أي شخص آخر، وقد جعلني الحكاك المستمر والحرارة الطاغية أقدر بشدة اللمسات الحديثة مثل مكيفات الهوائية والأبواب الشبكية. كان أحد أول الأمور التي لفتت نظري حين قدمنا إلى كاليفورنيا هو غياب البعوض المبهج.

وبعد قضاء سنتين سعيدتين خاليتين من البعوض في وايتيير عدنا إلى إيران. ذهبت وأمي للعيش مع العمة فاطمة في الأهواز بينما ظل أبي للعمل في طهران. تقع الأهواز في جنوب إيران وهي مدينة تغرق بالتراب والغبار بسخاء. كان كل شيء يتحرك على الشوارع غير المعبدة سواء أكان البشر أم الحمير أم السيارات، وساعد ذلك في تحريك التراب من الأرض إلى وجه من يصادف مروره بالطريق نفسه. نادرًا ما تمطر هناك وإن حدث فإن التراب يتحول إلى طين والطين على الوجه مزعج أكثر بكثير من التراب.

كنت بطيئة في التأقلم مع محيطي الجديد الشاق جسديًا، وعندما بدأت أعتاد طعم الغبار في فمي حدث اجتياح للضفادع مشابه لما ذكر في الكتاب المقدس، فقد غطت الضفادع الصغيرة المدينة، والشوارع تتموج تحت غطاء من الضفادع. كان علينا قبل أن ندخل أي مبنى أن نمسح الطبقة اللزج من أحشاء الضفادع العالقة بأحذيتنا، ولا يهم مدى سرعتنا في إغلاق الباب الأمامي لبيتنا وفتحه، إذ ينجح خمسة او ستة ضفادع في القفز إلى الداخل. كنا نعثر دومًا على الغزاة لكن في أماكن غير متوقعة، ولم أعتد أبدًا على سماع أمي تصرخ :كيف وصل الضفدع إلى هناك؟ واستمر هذا لعدة أسابيع إلى أن اختفت الضفادع على نحو

Twitter: @ketab_n

غامض ولم تعد أحشاء الضفادع جزءًا من حياتي اليومية، حمدًا لله.

المرة التالية التي رأيت فيها ضفدعًا عن قرب كان في باريس في شهر العسل، وكنا نقيم فرانسوا وأنا في فندق جميل بنظام صرف رائع ودون بعوض، وهذه المرة لم تكن الضفادع تغطي أسفل حذائي بل بدلًا من ذلك كانت مغطاة بطبقة خفيفة من البقدونس وبجانبها الهليون، كانت بالتأكيد أفضل على هذه الشاكلة.

Twitter: @ketab_n

حرف الفاء

يعني اسم ابن عمي فاربود "العظمة"، وحين هاجر إلى أمريكا كان الأولاد كلهم ينادونه فارتهيد (أحمق)، وأخي فرشيد - الذي يعني اسمه المنوّر- صار اسمه فارتشيت (الغبي)، أما اسم صديقتي نيغار الذي يعني المحبوبة، فقد ترجم اسمها على نحو دقيق بأنها تلك التي يثير اسمها الشغب، وأخوها آراش (المعطي) لم يفهم في البداية لماذا يضحك الناس في كل مرة يلفظ فيها اسمه ويسألونه إن كان يعاني من الحكة.

كنا جميعًا -نحن المهاجرين- نعرف أن الهجرة إلى أمريكا ستكون حافلة بالتحديات، غير أن أحدًا منا لم يتوقع أن تكون أسماؤنا عقبة هكذا. كيف يمكن لآبائنا أن يتخيلوا أننا سينتهي بنا المطاف في بلاد تحتل الصدارة فيها الأسماء الأحادية المقاطع، بلاد يختصر فيها اسم ويليام إلى بيل وسوزان تصبح سو ويتحول ريتشارد بطريقة ما إلى ديك؟ أمريكا بلاد رائعة، لكن ليس فيها أحد اسمه فيه حرف زاي مالم يكن ممن يرتدون قناعًا ورداء الكاب، هل فكر الأمريكيون من قبل بالمدى الرائع للأصوات الحلقية التي يفتقرون إليها؟ حسن، هذا الأمر له علاقة بالجذور اللغوية، ولكني أؤمن أن هذه ستكون بلادًا أكثر ثراء إذا استطاع كل الأمريكيين أن يمارسوا بعض التمارين اللسانية ويتعلموا لفظ حرف الخاء، الصوت المرتبط عمومًا في هذه الثقافة بالبلغم، أو حرف الغين الصوت الذي يطلقه الممثلون عادة في نهاية مشاهد الخنق. هذا الأمر يشبه إضافة قطع جديدة إلى أدوات المطبخ، ناهيك عن القرفة وجوزة الطيب والهال والسماق.

وبعيدًا عن المقارنات المدهشة، أن يكون لك اسم أجنبي في بلاد جو

Twitter: @ketab_n

وماري هذه يعني مأساة في خزانة البهارات. حين كنت في الثانية عشرة من عمري قررت أن أجعل حياتي سهلة بإضافة اسم أوسط أمريكي، وكان هذا القرار دليلًا على أن تبسيط المرء لحياته على المدى القصير تعني تعقيدها أكثر على المدى الطويل.

اسمي فيروزة الذي اختارته أمي يعني التركواز بالفارسية، أما في أمريكا فكان يعني: غير قابل للنطق، أو أنا لن أتحدث إليك لأنني قد لا أحفظ اسمك ولا أريد أن أضطر لسؤالك عنه مرة تلو أخرى لأنك ستظنيني غبيًا أو قد تغضبين أو شيء من هذا القبيل. كان أبي بالصدفة يود تسميتي سارا، وكم أتمنى لو أنه ربح ذلك الجدال.

ومما عزز قراري في إضافة الاسم الأمريكي أنني كنت قد أنهيت الصف الخامس في وايتيير حيث يناديني كل الأطفال فيروشيوس. انتقلت عائلتي ذلك الصيف إلى نيوبورت بيتش، وكنت أتوق إلى بدء حياة جديدة، أردت أن أكون طفلة لها اسم لا يثير أسئلة من مثل متى ولماذا هاجرت إلى أمريكا، وكيف أمكنني أن أتحدث الإنجليزية دون لكنة، وهل أخطط للعودة، وما هو رأيي بأمريكا؟

اسمي الأخير لم يساعدني. لا يمكنني أن أذكر اسم العائلة قبل زواجي لأن:

- أبي أنا أكتب مذكراتي.

- رائع لكن لا تذكري اسم العائلة.

يكفي أن أقول إن اسم العائلة كان صعبًا وأجنبيًا - بأحرفه الثمانية واحتوائه على حرف الزاي وأربعة مقاطع- بقدر ما كان اسمي، وكان كلاهما مثل حائط قرميد متين. كان هناك استثناء واحد فقط لهذه القاعدة،

Twitter: @ketab_n

في بيركلي – وفيها فقط – كان اسمي يجذب الناس مثل انجذاب الذباب للبقلاوة، وكان أولئك عادة أشخاص لهم أسماء من مثل آماريلاس أو كريسانثيمام وأشخاص يقضون إجازتهم في كوستاريكا وأشخاص يوصف لهم العدس على أنه نوع من البرجر. قد لا يكون هؤلاء علية القوم في مدينة بكبسي[19] لكنهم لم يطلقوا أحكامًا.

عندما أعلنت لعائلتي عن رغبتي بإضافة اسم أمريكي، قابلوا ذلك بضحكهم المعتاد، ولم تكن سخريتهم أوكلامهم الطيب ليصدني عما أريد، بدأت أسألهم عن اقتراحاتهم، اقترح أبي"فيفي" ولو كان لي ميل نحو أسماء الدلال الفرنسية أو الفن الرخيص لاخترته، واقترحت أمي اسم "فرح" صحيح أنه أسهل من فيروزة لكن ما يزال إيرانيًا، وصحيح أن حجتها كانت مقنعة عدا أن فرح فاوست كانت في ذروة شعبيتها ولم أرغب أن يرتبط اسمي بامرأة تعلق صورها على جدران غرف نوم المراهقين. لم نستطع العثور على اسم أمريكي يبدأ بحرف الفاء، لذا انتقلنا للبحث عن اسم يبدأ بحرف الجيم الحرف الأول من اسم العائلة، ولا أدري لماذا قيدنا أنفسنا بالأحرف الأولى من اسمي، لكن ذلك كان معقولًا في تلك اللحظة، فربما كنا منطقيًا نستغل الدقائق قبل القفزة الكبرى. اخترت أخيرًا اسم جولي لبساطته بالدرجة الأولى. اعتقد أخواي فريد وفارشيد أن إضافة اسم أمريكي كان محض غباء، لكنهما أصبحا لاحقًا فريد وشين.

في العصر نفسه رن جرس بابنا، وقد كانت جارتنا وهي فتاة لطيفة بعمري اسمها جولي، فسألتني عن اسمي وبعد دقيقة من التردد قدمت نفسها لها على أنني جولي. قالت:"يا للمصادفة!" ولم أذكر لها أنني

(19) - مدينة في نيويورك

Twitter: @ketab_n

أصبحت جولي منذ نصف ساعة فقط.

وبهذا بدأت الصف السادس باسمي الجديد، اسمي السهل وأصبحت الحياة أبسط بلا حدود. أصبح الناس يتذكرون اسمي وهو شعور منعش كليًا. كانت الأمور تجري على ما يرام إلى أن قامت الثورة الإيرانية، فوجدت نفسي محاطة بحزمة جديدة من المشاكل، فلأنني أتحدث الإنجليزية بلا لكنة وكان اسمي جولي ظن الناس أنني أمريكية، وهذا يعني أنني سأطلع على مشاعرهم الحقيقية تجاه هؤلاء "الإيرانيين الحمقى"، كان الأمر أشبه بارتداء نظارات أشعة إكس التي تجعلك ترى الناس عراة، غير أن ما رأيته كان أكثر قبحًا من ملابس الناس الداخلية، لقد كشف لي أن هؤلاء الناس لن يقوموا بدعوتي أبدًا إلى منازلهم لو عرفوا أن اسمي فيروزة، فشعرت أنني مزيفة.

عندما دخلت الجامعة، عدت إلى استخدام اسمي الحقيقي، وسارت الأمور على ما يرام إلى أن تخرجت وبدأت بالبحث عن عمل. وبرغم أنني تخرجت مع مرتبة الشرف في جامعة كاليفورنيا/ بيركلي إلا أنني لم أحصل على مقابلة واحدة، وانتابني شعور بالذنب لأنني اخترت تخصص العلوم الإنسانية، غير أني بدأت أشك أن هناك مشاكل أكثر، وبعد ثلاثة أشهر من الرفض، أضفت اسم جولي إلى سيرتي الذاتية. سمّها صدفة، لكن عروض العمل بدأت تنهال علي، ربما كانت هي الصدفة نفسها التي تمنع الأفارقة الأمريكيين من الحصول على سيارة أجرة في نيويورك.

عندما تزوجت صار اسمي جولي دوماس، فتحولت من صاحبة اسم ينم عن العرق تمامًا إلى صاحبة أسلاف يرتدون القباقيب. واصلت عائلتي وأصدقائي غير الأمريكيين تسميتي فيروزة بينما يناديني زملائي

Twitter: @ketab_n

في العمل وأصدقائي الأمريكيون جولي. أصبحت حياتي عقدة كبيرة، خاصة حين يلتقي أصدقائي الذين يعرفوني كـ"جولي" بأصدقائي الذين يعرفوني كـ"فيروزة"، وكنت أشعر مثل تلك الشخصيات في المسلسلات الدرامية التي يكون لها توءم شرير، لا يمكن للاثنين طبعًا أن يكونا في الغرفة نفسها لأن الشخص الذي يجسدهما واحد، ممثلة متعثرة تضع شعرًا مستعارًا حين تؤدي دور أحد التوءم وتحلم بالحصول على أدوار أكبر وأفضل. لا يمكنني أن ألقي باللوم للفوضى التي كنت فيها على كاتب النص، فقد كان ذاك من صنع يدي.

قررت بعدها أن أحل العقدة مرة وإلى الأبد بالعودة إلى اسمي الحقيقي، حينها كنت أمًا أمكث في البيت لذا لم أكترث فعلًا إن كان الناس يذكرون اسمي أو يمنحوني مقابلات عمل، بالإضافة إلى أن أغلب من تعاملت معهم كانوا يرتدون الحفاضات وليس لهم سلطة لإطلاق الأحكام. كما كنت أسكن أيضًا في وادي السيليكون وهي منطقة مليئة بأشخاص يحملون اسم راجيف أو أفيشاي أو إنسوك.

بين الحين والآخر يأتي شخص ما بتغيير جديد وأتذكر مرة أخرى أنني مهاجرة لي اسم أجنبي. خضعت مؤخرًا لسحب دم من أجل فحص طبي، كانت غرفة الانتظار لمختبر التحاليل في عيادتنا الطبية القريبة في قبو البناية، وبغض النظر عن قدوم المرء باكرًا للحصول على موعد يجد أن أربعين شخصًا يسعلون ويصفرون قد وصلوا قبله. وعدا عن قراءة مجلة "جولف دايجست" و"بابيولار ميكانيكس"، ليس هناك الكثير مما يمكن فعله سوى تخمين عدد الأمراض المعدية المنتشرة في الغرفة عديمة النوافذ. مرة كل عشر دقائق كان يستدعى اسم ويأخذ الجميع بالبحث ليروا أي سعلة تتطابق مع الاسم. وبينما كنت أنتظر بصبر أخذت

Twitter: @ketab_n

موظفة الاستقبال تنادي:"فريتزي، فريتزي!" وأخذ الجميع ينظرون في الأرجاء ولم ينهض أحد، عادة إن كنت أنتظر أن يناديني أحد لا يعرفني سأجيب أي اسم يبدأ بحرف الفاء، وقد سبق أن نوديت فروزي، فريزي، فيروتشي أو فروز، أو مجرد آاااا، أنا أتأقلم جدًا. لكني مع ذلك لم أجب "فريتزي" لأنه ليس هناك - على حد علمي- تاء في اسمي، جربت موظفة الاستقبال ثانية:"فريتزي فريتزي دامب آس" وحين نهضت لهذه النسخة الأكثر فرادة لغويًا من اسمي، شعرت أن كل الأنظار تتجه إليّ، وأصبحت الغرفة هادئة لوهلة، كما لو أن كل هؤلاء المرضى قد جلسوا متحدين في دقيقة إكرام لأسمائهم.

عدا بعض الاستثناءات، وجدت أن الأمريكيين الآن أكثر استعدادًا لتعلم الأسماء الجديدة، بقدر استعدادهم لتعلم وصفات الطعام العرقية الجديدة. وهناك بالطبع ممن لا يرغب بالتعلم. إحدى الأمهات في مدرسة أولادي رفضت بعناد أن تتعلم اسمي "المستحيل" وبدلًا من ذلك قررت تسميتي "حرف الفاء". وقد نقلت مؤخرًا إلى نيويورك حسبما سمعت وقد تلتقي بمهاجر أو اثنين ومن يدري لعلها تفكر بترك بعض المساحة في خزانة توابلها.

Twitter: @ketab_n

واترلو

أبي رجل فخور بنفسه، فقد كان أول فرد من عائلته يدرس في أمريكا، وأول من حصل على منحة فل برايت، وبعد سنوات كان أول من يقرر الاستقرار في أمريكا بشكل دائم. ويعود الفضل إليه في أن إخوته وأسرهم قد هاجروا إلى كاليفورنيا الجنوبية، حيث يعيشون جميعًا ويبعد أحدهم عن الآخر مقدار نصف ساعة. كان دومًا يقول: أنا كريستوفر كولمبوس هذه العائلة.

ليس هنالك شيء جعل أبي فخورًا بقدر كونه مدرب السباحة للعائلة. في إيران يتعلم الناس السباحة بأنفسهم، إن تعلموها أساسًا. لم تتعلم أمي السباحة مطلقًا مثل كل نساء جيلها، ولا فعلت أربع من أخواتها الخمس ولا أخوها. كانت هذه هي القاعدة. أما أبي الرجل التقدمي فقد قرر أن على كل أبنائه وأبناء وبنات إخوته وأخواته أن يتعلموا السباحة. بنيت عبادان على يد البريطانيين لذا كان فيها الكثير من أماكن الترفيه التي لا تتوفر في غيرها من المناطق، كالنادي ذي حمام السباحة الكبير. ياتي أقاربنا من كل أنحاء إيران كل صيف ليقيموا عندنا، وبالتأكيد كان الوقت قد حان ليتعلم الأطفال السباحة. ومثل مقدم برنامج مسابقات يعلن المتسابق التالي كان أبي يقول: هذا الصيف هو دورك يا محمود.

يمتلك أبي سجل متابعة ممتاز وهو موضوع يحب الحديث عنه فيقول دومًا: لدي موهبة. كنا قد دربنا أنفسنا على الاستماع مرة بعد أخرى إلى وصفه للحظة المناسبة التي تعلم فيها كل ابن أخ أو بنت أخ السباحة والتوتر الأخاذ الذي يسبقها، "قال لي محمود: عمي كاظم لا أستطيع فعل ذلك، فقلت له: بلى تستطيع، ورفع ذراعه هكذا وبدأ يسبح مثل

Twitter: @ketab_n

سمكة، فقلت عندها:"لم تخبرني قبلًا أنك تعرف السباحة!" كان ينهي هذه القصص دومًا الحكايات نفسها بالقول: كان عليكم أن تكونوا هناك! وكنا جميعًا سعداء أننا لم نكن هناك. كانت القصص ممتعة لأول أربع عشرة مرة، لكنها تصبح بعد ذلك مكافئة لشرائح العرضلإجازة الجار التي تظهر كاتدرائيات فرنسا من كل الجوانب.لسوء الحظ لم يكن هناك أحد يمكن أن يضع حدًا لهذه القصص، فكل سباح جديد يمثل نصرًا والحديث عنه يجعل أبي يعيش لحظات المجد مرة تلو أخرى. اللمعان في عينيه والحماس في صوته والفخر على وجهه كلها بينت أن أبي لن يتوقف عن رواية قصصه.

لقد أظهر التاريخ لنا أن حتى أعظم الجنرالات قد يواجهون هزيمة في معركة، وهذا ما كتب مصيري، فقد كنت أنا واترلو لأبي.

كان لأبي المهندس منهجًا منطقيًا كليًا في تعليم تلامذته السباحة. فهو يشرح بطريقة منهجية كل العناصر الضرورية في السباحة. "رأسك يكون هكذا وهذا يجعلك تطفو وأقدامك تكون بهذا الشكل وهذا سيدفعك إلى الأمام، وذراعاك بهذا الشكل لتقودك. افعل ذلك كله معًا وهأنت تسبح!" سماعه يشرح الأمر بهذه الطريقة يجعل السباحة سهلة كخبز كعكة بيتي كروكر من الخلطة الجاهزة، عليك أن تضيف الماء فقط وهأنت تحصل على كعكة.

نجح المنهج العقلي مع كل طلاب أبي في السباحة، الذين كبر أغلبهم ليصبحوا – ليس بالصدفة- مهندسين. ومع ذلك احتجت أنا إلى شيء آخر، فلم أكن مهتمة بسبب طيران الطائرة، كنت أريد التأكد من أن الطيار قد حصل على قسط كافٍ من النوم. وفي تعلم السباحة كنت أرغب من التأكد أنني لن أموت. لم يفهم أبي تمامًا على أية حال دور القلق في

Twitter: @ketab_n

دروس السباحة الفاشلة خاصتي. فقد توصل أخيرًا إلى أنه لو صرخ أو قذف الشتائم ربما سأتعلم على نحو أسرع. "أنت كالصخرة! لا أمل منك! ماذا دهاك؟" ربما تفعل هذه الطريقة العجائب في الجيش لكنها لم تنجح معي. لدي الآن عقبتان علي تجاوزهما: الخوف من الماء، والخوف من أن أكون في الماء مع أبي.

بعد عدد من فصول الصيف من الدروس، وصلت بعمر السادسة إلى ألا أتعلم شيئًا، محققة سجل إخفاق في كل مرة لدى أبي. بإدراك متأخر، أعتقد أن قدرتي على تفويت كل فرص التعلم كشفت عن قوة داخلية حقيقية، رفض جاد في أن أكون كالآخرين، لكن البريطانيين لم يقدروا إصرار غاندي، ولم تقدر عائلتي إصراري.

قرر أبي أخيرًا أنه ليس علينا أن نكون في حوض السباحة فعليًا ليغضب مني لعدم تعلمي إياها، فقد صارت لديه ردة فعل بافلوفية نوعًا ما تجاهي، فإن استخدم أحدهم كلمة "السباحة" ينظر أبي باتجاهيبخليط من الخزي والغضب نظرة تقول: أتمنى لو أنني احتفظت بالإيصال. ولحفظ ماء وجهه فقد توصل إلى نظرية حول فشلي في تعلم السباحة فيقول دومًا: بنيتها كالصخر، لذا فهي تغرق. ولم يكن هذا صحيحًا تمامًا، فلم يحدث مرة أن تركت أبي في الحوض، وكنت أفضل بدلًا من ذلك أن أتشبث به مثل كوالا على غصن أوكالبتوس أثناء الزلزال. وكان إصراره لإزالتي عنه يضاهي – لكنه لا يفوق- إصراري على التشبث به.

على نحو حزين، توقف أبي عن الحديث عن دروسه العظيمة في السباحة، فقد عرف أنه ليس هناك قصة مثيرة للإعجاب يمكنها أن تضاهي هذا الفشل العظيم، أنا، وأعلن أخيرًا للعالم – الذي يتألف بالنسبة لنا من العمات والأعمام وأبنائهم- أن بعض الناس غير قادرين

Twitter: @ketab_n

على تعلم السباحة، وينهي حديثه بالقول: وفيروزة أحدهم.

عندما بلغت الثامنة ذهبنا إلى سويسرا لزيارة خالتي بروين، وكانت هذه الخالة تعتبر في عائلتي إلهة لأنها تمكنت، برغم كونها امرأة إيرانية من جيلها، أن تصبح طبيبة وتحصل على مهنة ناجحة في جنيف. تخطت المرأة الكثير من العقبات في حياتها لتحقق حلمها بحيث تستحق أن تنقش صورتها على الرخام. حقيقة أنها تعيش في سويسرا تضيف الكثير إلى جاذبيتها، فقد اعتبر الإيرانيون دومًا سويسرا أوج الحضارة: بلد صغير نظيف حيث لا يتعين على سائقي الحافلات أن يفتشوا التذاكر لأن الجميع أمين جينيًا. بالإضافة إلى أن سويسرا لم ترحب بالإيرانيين خصوصًا وهكذا يتشكل الانجذاب الذي ينتج فقط عن الرفض المتكرر.

أخبرت خالتي بروين أبي أنها ستعلمني السباحة، وقرر والداي تركي معها ذات مساء بينما كانت تمارس سحرها الطبي، لم يخطر ببالهما أنه ربما عليهما البقاء ومشاهدة درس السباحة. أخذتني خالتي إلى الطرف العميق من الحوض وهناك تركتني، هذه المراة المتعلمة تعليمًا عاليًا التي نشأت وأنا أعبدها على البعد. غرقت. ربما بسبب مهنتها كطبيبة أو ربما بسبب أنها لم تستطع مواجهة احتمال أنه سيتعين عليها أن تشرح لأبويّ أنها قتلت طفلتهما، قررت بروين التدخل أخيرًا. مضت دقائق قبل أن أبدأ برؤية النفق بالنور في نهايته والملائكة قادمة لأنضم إليها، ثم رفعتني خارج الماء.

سحبتني خالتي خارج الحوض، وحاولت جهدها تقليد الجنرال باتون[20] بطريقة رديئة، أعلنت أنني كنت ميؤوس مني، وعندما انضم

(20) - قائد عسكري في الجيش الأمريكي.

Twitter: @ketab_n

إلينا والداي قالت: إنها صخرة!

وصلت أنباء فشلي في أوروبا سريعًا إلى بقية أقاربي، وبهذا تأسست سمعتي كالفتاة العاجزة عن السباحة، وعلى نحو غريب كفاية، لم يشك أحد بمنهج خالتي في التعليم، فقد كانت في النهاية طبيبة في سويسرا.

منحتني تجربتي في الغرق الوشيك شعاعًا غير متوقع من الأمل، مثل زهرة برية تتفتح في أرض معركة: كانت عائلتي الآن مقتنعة تمامًا بعجزي عن السباحة، ولم يعد أبي يهينني بل كان يعاملني بشفقة لأنه كان يظن أنني أفتقر إلى الكروموسوم الضروري للطفو، وكانت شفقته تأخذني كثيرًا إلى محلات الألعاب وهذا يثبت أنني كنت أذكى من أبناء عمومتي بكثير، فقد حصلت على طقم شاي بثماني قطع بينما تعلمت قريباتي السباحة فقط.

معظم الثمار إن تركتها على الشجرة تنضج في النهاية وخاصة إن لم يصرخ بها أحد، وهكذا كنت أنا، فبعمر العاشرة أعلنتاستعدادي اخيرًا لتعلم السباحة، وكان لدي شرط واحد فقط أريد تعلمها في البحر وحدي، ونقلت بفخر قراري هذا إلى أبي الذي قال بعدما توقف عن الضحك:أنت لم تتعلمي السباحة في حوض، والآن تريدين الذهاب إلى المحيط لتغرقي؟

توجهنا ذلك الصيف إلى البحر الأسود لقضاء إجازتنا السنوية التي تدوم أسبوعًا، وبسبب التزامات العمل لم يتمكن أبي من الانضمام إلينا. أخواي الاثنان وأمي وعمتي صديقة وعمي عبدالله وأولادهما الأربعة الذين يجيدون السباحة بفضل أبي اتجهوا شمالًا إلى البحر الأسود. حين وصلنا ذهبت إلى الشاطئ مباشرة، وخطوت بضع خطوات في الماء ورفعتني الموجة اللطيفة وبدأت بالسباحة، بهذه البساطة.

Twitter: @ketab_n

عندما عدنا إلى عبادان أخبرت أبي بفخر بما حدث، ولم يصدقني فتوجهنا أبي وأنا مباشرة إلى حوض السباحة حيث شاهدني غير مصدق، وقال وهو يهز رأسه: أنت يا فيروزة طفلة غريبة. فقلت: كلا، بل لأنه ليس هناك من يصرخ بي في البحر.

بعد سنوات من ذلك عندما انتقلنا إلى نيوبورت بيتش، اكتشفت أن إحدى أعظم مباهج الحياة هي القفز من قارب إلى المحيط الهادي العميق الأزرق. كان هذا قبل أن أكتشف الغوص في مياه الباهاما الصافية والسلاحف و أسماك شيطان البحر تسبح حولي، وأشعة شمس المتوسط تشعل ظهري. ولكن رغم غوصي في معظم المسطحات المائية في العالم لم أنس تلك الموجة الأولى اللطيفة للبحر الأسود تلك التي رفعتني وأكدت لي أن الطيار حصل على قسط كافٍ من النوم.

Twitter: @ketab_n

أمريكا، بلد المجان

تجتمع عائلتي الكبيرة في منزل ابن عمي مرتضى في كل عيد شكر، وتحضر أمي طبقها التقليدي من القريدس بالكاري، وعمتي صديقة تحضر طبق الأرز بالفاصولياء مع لحم الضأن، وتحضر عمتي فاطمة البقلاوة المنزلية الصنع. يحضر الأقارب الآخرون كلهم أطباق فارسية مفضلة ونضعها جميعًا قرب الديك الرومي المحشو والمزين. ثم يمضي الجميع للاستماع إلى آخر أخبار العائلة، التي تعني عادة شائعات حول زيجات وشيكة. وحالما تنتشر الشائعات وتفندها بعد ذلك الأطراف المعنية، نشكر الله على حياتنا في أمريكا ولكل الحظ الطيب بعيشنا قريبين من بعضنا بعضًا، ثم نتحدث ع الديك الرومي.

- ليس للديك الرومي طعم.

- والزينة أسوأ.

- هل يحب الأمريكيون الديك الرومي؟

- لا أظنهم يفعلون.

في هذه الأثناء، تؤكل كل أصناف الطعام حتى الديك الرومي والزينة، ونتقاسم جميعًا التقليد الأمريكي بالإحساس بالامتلاء أكثر من الطائر، ثم يحين وقت الحلوى: البقلاوة والفاكهة والمعجنات وفطيرة اليقطين التي نقدمها مع الآيس كريم الفارسي بقطع من الكريمة والفستق المحمص والهال الفواح، يذكرنا الآيس الكريم الفارسي أن بلاد فارس كانت مرة إحدى أعظم إمبراطوريات العالم. أؤمن أن السلام في الشرق الأوسط يمكن أن يتحقق إذا أجرى القادة حواراتهم أمام طبق كبير من

Twitter: @ketab_n

الآيس كريم الفارسي، كل قائد يحمل ملعقته الفضية الخاصة، وستذوب الاختلافات السياسية مع كل لقمة.

أثناء عشاء عيد الشكر، يعبر أبي عن امتنانه لكونه يعيش في بلاد حرة حيث يمكنه التصويت، وكنت أشاركه الامتنان لنجاحيفي السعي وراء أحلامي وطموحاتي بعيدًا عن كوني أنثى. نشعر أقاربي وأنا بالفخر لأننا إيرانيون، لكننا نشكر الله كثيرًا على حياتنا في أمريكا، البلد الذي تسوده الحرية.

ولكن رغم أن عبارة "بلاد الحرية" تشير إلى الحريات الأساسية التي تجعل هذه البلاد أعظم ديمقراطية على وجه الأرض، إلا أنها يمكن أن تشير أيضًا إلى غزارة العينات المجانية المتوافرة في أنحاء هذا البلد العظيم. في بلدنا من يتذوق شيئًا قبل شرائه يسمى سارق السلع، لكن هنا يمكن للمرء أن يتذوق شيئًا ما دون أن يشتريه، ومع ذلك يتمنى له الموظف نهارًا طيبًا.

ذكر أبي قبل عدة أشهر أنه خرج لتناول الغداء مع أخيه نعمة الله، وفوجئت بذلك تمامًا لأن فكرة أبي عن تناول الطعام خارجًا تعني الذهاب إلى بيوت أخواته. عمتاي اللتان تعيشان في منازل متواضعة صغيرة بمطابخ صغيرة مستعدتان دومًا لتقديم الطعام لمن يمر بهما وقت الوجبة، وهذا مصطلح فضفاض لأنه يعني أي وقت بين وقت الإفطار وحتى موعد النوم قد يستغرق ساعتين، كرمهما وبهجتهما الحقيقية في إطعام الآخرين تثبت نظريتي في أنه كلما كان المطبخ متواضعًا وغير عملي حصل المرء على دعوات أكثر للقاء لتناول الطعام. أرني منزلًا فخمًا بمطبخ يعمل فيه خبير بالطعام، وسأريك عائلة تتناول الطعام في الخارج كثيرًا.

Twitter: @ketab_n

سألت أبي: أين ذهبتما؟

- "ذا برايس".

"ذا برايس" هو سلسلة من المتاجر الضخمة التي تبيع السلع بكميات كبيرة، فورق التواليت يأتي في حزم بست وثلاثين لفة، وصندوق كعك الموفين يحتوي 144 قطعة. وحسب علمي ليس هناك مطعم في "ذا برايس"، ولأني أصبت بالحيرة بحثت عن تفاصيل أكثر.

- ماذا أكلتما هناك؟ فأجابني: عينات مجانية.

هناك في "ذا برايس" الكثير من العينات، صفوف وصفوف من العينات اللانهائية. هل تتوق لتذوق بوريتو الدجاج المثلج الأحدث و تلك النقانق الصغيرة التي تقدم بفطائر صغيرة؟ ما رأيك ببعض من الحساء سريع التحضير أو شطائر الآيس كريم أو صلصة السباغيتي أو فطائر اللحم؟ كل هذا موجود هناك وكلها مجانية. قد يبلغ الكرم المحيرتقديم حصتين أو حتى ثلاث من الطعام. رأيت بعيني أناسًا يتجولون حول طاولة عينات السيدة فيلدز أكثر بكثير مما يستغرقه مضغ واحدة فعليًا والرحيل. أصبح لهؤلاء الأشخاص المجهولين -الذين يأكلون بلا خجل أثناء تجوالهم في المتجر- أصبح لهم وجه الآن: وجه أبي.

سألته: ماذا أكلتما حقًا؟

- لا أدري، كل العينات لها الطعم ذاته.

في ظروف طبيعية، لن يأكل أبي إنكيلادا سمك مثلجة على الطريقة الغربية، ولكن أعطه عينة مجانية وستسقط كل القواعد والأحكام وستعطل حاسة التذوق. والأمر نفسه ينطبق على الطعام المقدم في

Twitter: @ketab_n

رحلات الطيران، فحالما ينهي طعامه سيكون سعيدًا بالقضاء على وجباتنا،"ألن تأكل ذلك؟" يسأل مشيرًا إلى أي شيء رآه البقية منا لا يؤكل فيقول:"هاته". أبي هو حلم كل مضيفي شركات الطيران لأنه يسهل عملية جمع أواني الطعام بالقضاء على ما في كل صينية.

قبل بضع سنوات حجز أخي فرشيد لأبوي إجازة في اليابان على الدرجة الأولى، ولم يكونا معجبين باليابان بقدر إعجابهما بالطعام في الدرجة الأولى، وقد اعترف أبي مع ذلك أنه شعر بالغثيان بعد الرحلة وقال: لقد أكلت بلا توقف.

عندما عاد والداي من رحلتهما قدما لي - بالإضافة إلى هدايا أخرى- أربع عشرة علبة صغيرة من المربى، فسألت: من أين جلبتماها؟ فأجابتني أمي: من الطائرة، حصل كل واحد منا على علبتي مربى، فقلت غير راغبة في معرفة الجواب: حسن، وماذا عن العلب العشر الأخرى؟ أخذناها من المسافرين الآخرين الذين لا يريدون علبهم!

تخيلت مسافري الدرجة الأولى وهم يفرشون مناديلهم على حجورهم عندما فجأة تقول لهم أمي بلكنتها الشرق أوسطية الثقيلة: هل تريدون المربى؟ ويمكنها ببساطة أن تطلب جوازات سفرهم وسيناولها إياها المسافرون بكل سرور أو ليتخلصوا من أمي فقط، ومن العدل أن أفترض أن جيوب والديّ قد ملئت بغنيمة من مكعبات السكر وزجاجات الكاتشاب الصغيرة في الوقت الذي تحط فيه الطائرة، وستعرف المقصورة كلها أن والديّ يسافران عادة على الدرجة السياحية.

غريزة والـديّ في الجمع والمطاردة ليست مقتصرة على الهدايا الترويجية في الدرجة الأولى، لأنهم أيضًا يحصلون على مقابل ما دفعوا من مال في الدرجة السياحية. يعرف أولادي الآن أن زيادة من

Twitter: @ketab_n

جديهم تعني دزينة من أكياس الفول السوداني الخاصة بالخطوط الجوية الأمريكية، وكيف يحصلان على هذا العدد؟ لدى أمي نظام معين: أخبرهم أنني في زيارة لأحفادي وأنهم يحبون الفول السوداني. أظن أن هذا ينجح أكثر من قولهما الحقيقة: دفعت 150 دولار لهذا المقعد وأرغب أن أحصل على ما يكافئها من الطعام المجاني.

من الواضح أنه ليس والداي وحدهما من يعجزان عن مقاومة جاذبية وجبة مجانية. يقدم مطعم ديني أحد المطاعم الأمريكية المفضل لدى أبي وجبات أعياد الميلاد مجانًا، مفترضًا أن لا أحد سيتناول وجبة عيد ميلاده وحيدًا، فمن العدل توقع أن يجلب الشخص الذي يحتفل بعيد ميلاده معه عددًا من الأصدقاء الذين يدفعون، وبالطبع هناك استثناء لكل قاعدة اسمه كاظم.

ليس لدى أبي فكرة عن تاريخ ميلاده بالتحديد، فكلما ولد طفل في عائلته كان أحدهم يكتب ذلك في المصحف الذي تملكه العائلة، وقد اتضح خلل هذا النظام عندما أضاع أحدهم المصحف، واضطر أبي وإخوته إلى الاعتماد على ذكريات الآخرين لتخمين أعمارهم بالتقريب.

- ولد عام الطوفان ما يجعله في الخامسة والسبعين من عمره.

- لا، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. لقد ولد في العام الذي تعلمت فيه القراءة، وهذا يعني أنه في السابعة والسبعين.

- لا، ولد في العام الذي مات فيه كل الدجاج، إنه في الواحدة والسبعين أو الثانية والسبعين.

كان على أبي أن يختار تاريخًا لميلاده عندما كان سيهاجر إلى أمريكا، ولكونه رجلًا عمليًا فقد قرر أن يكون ذلك التاريخ 18 مارس، يوم ميلاد

Twitter: @ketab_n

أمي. وتصور بهذه الطريقة أن ملء الأوراق الرسمية سيكون أسهل لأنه سيتعين عليه تذكر تاريخ واحد. وكان نظامه جيدًا إلى أن بدأ صناع التسويق في مطاعم ديني بتقديم وجبات عيد الميلاد المجانية. يمر والداي بالتجربة نفسها في 18 مارس من كل عام، إذ تقول النادلة: أليس هذا رائعًا؟ تواريخ ميلاد متطابقة؟ هي أوسكار تعالي وانظري! ويضطر والداي عندها إلى تحمل الاستجواب في سبيل الحصول على وجبتهم المجانية من شرائح الدجاج المقلي.

- كيف التقيتما؟

- متى عرفتما أنكما مولودان في اليوم نفسه؟

- هذا أجمل شيء صادفته في حياتي.

وبدلًا من سرد الحكاية كاملة "لقد أضعنا المصحف الذي اعتدنا أن نكتب فيه تواريخ ميلادنا"، يكتفي والداي بالابتسام والأمل بأن تتركهما النادلة. قرر أبي أخيرًا أن يذهب إلى مطعم ديني وحيدًا في يوم ميلاده، ويتجنب بالتالي السيناريو كاملًا "أليس ذلك رومانسيًا أن تكونا ولدتما في اليوم نفسه؟"

عندما تقاعد أبي حظي بالكثير من وقت الفراغ. عادة ينمي التقاعد لدى الرجال شغفًا حقيقيًا مثل الجولف أو صيد السمك أو اكتشاف الكهوف. حين تقاعد أبي، أصبح ما كان سابقًا وقت فراغ أصبح الآن جنونًا طوال الوقت ويمكن وصفه بكلمة واحدة: الإقامة بمشاركة زمنية[21].

(21) - يعتمد نظام المشاركة الزمنية على تملك وحدة سكنية باسمك مدى الحياة تستخدمها لمدة محددة من كل عام.

Twitter: @ketab_n

ما زال والداي يعيشان في نيوبورت بيتش، وهي منطقة مرفهة يسكنها الأشخاص المسمرون محبو اليخوت ولاعبو التنس الذين لهم أسماء كفريتز وبينكي. لم يكن لوالديّ قواسم مشتركة مع أي من سكان المدينة، فلم يكونا غنيين ولا يمارسان الرياضة وأنا متأكدة أن أحدًا منهما لا يستطيع تهجئة كلمة "يخت"، لكنهمايشتركان مع جيرانهما في أمر واحد: رمزبريدي وهذا يعني المال. كان والداي مستهدفين بانتظام من المسوقين الذين يسعون لبيع أي شيء للمتقاعدين الأثرياء ظاهريًا، حين كان أبي قائمًا على رأس عمله كانت أمي تتخلص من إزعاج مندوبي المبيعات على الهاتف بإجابة موحدة تقولها بلكنتها الثقيلة: أنا الخادمة. وأي بريد يروج لأي شيء كان يرمى على الفور قبل عودة أبي إلى المنزل، لكن هذا كله تغير بعد أن تقاعد أبي. الآن يحيّي المهاجر المبتهج المتحمس أي مروّج يتصل بالمنزل.

إن الأشخاص الذين يسوقون للإقامة بمشاركة زمنية هم الأكثر مكرًا إذ يغرون ضحاياهم المستقبليين بأكثر من مجرد قميص مجاني أو فتاحة علب. فهم يقدمون كل شيء بدءًا من إقامة مجانية في فندق لطيف إلى عشاء مجاني أو قسيمة شراء بـ50 دولارًا، وكل ما عليك فعله هو حضور محاضراتهم التي هي أساسًا إعلانات تجارية طويلة دون توفر خاصية خفض الصوت. مندوبو المبيعات هؤلاء - المدربون أكثر بكثير من عملاء الاستخبارات الأمريكية واللحوحون أكثر من ترنيمة هير كريشنا[22]- يعرفون كيف يحاصرون فرائسهم الغافلة ويجعلونهم يوقعون على منح مدخرات حياتهم. في لحظة تكون تضحك بها مع مندوب المبيعات اللطيف وفي اللحظة التالية تصبح مالكًا لإقامة

(22) - ترنيمة دينية هندية من ستة عشر كلمة.

Twitter: @ketab_n

بمشاركة زمنية في دي موين.

بطريقة ما، نجا والداي من تجربتهما الأولى في الإقامة بمشاركة زمنية دون شراء أي شيء، لكن تكتيكات المندوب كانت قوية جدًا بحيث أقسمت أمي أنها لن تذهب ثانية. أما أبي- الذي كان طعم شريحة لحم الضأن ما يزال في فمه- فلم يكن مستعدًا للاستسلام، لقد تضايق أن أمي لم تكن ترغب بجعل الإقامة بمشاركة زمنية جزءًا عاديًا من سنواتهما الغاربة، فسألها:لم لا تذهبين وتستمتعين بوقتك؟ ربما يمكنك طرح السؤال نفسه على المرضى الذين يذهبون إلى طبيب الأسنان لمعالجة قنوات الجذور.

لندوات المشاركة بالوقت سمة إدمانية بالتأكيد، فحين عجز أبي عن إقناع أمي بالذهاب معه، قرر أن يصطحب عمي نعمة الله الذي يتمتع بميزة إضافية لأنه يتحدث الإنجليزية أقل مما تفعل أمي، وكان هذا جيدًا باعتباره عاجزعن فهم ما يقوله مندوبو المبيعات ولذا كان بمنأى عن توقيع أي خط منقّط، كل ما كان يهم عمي هو وقت تقديم الغداء المجاني.

استطاع أبي وعمي رؤية بالم سبرينجز مجانًا مرتين، "كل ما علينا فعله هو الاستماع لندوتين تستغرقان النهار كله، كان ذلك رائعًا!" كما استطاعا الذهاب إلى سان دييغو وسانتا باربارا والفضل كله يعود إلى ندوات المشاركة بالوقت، صحيح أنهما يتخليان عن عدة أيام من حياتيهما لكن عمي يقول: كنت أسجل عروض البرامج التي تفوتني على أشرطة فيديو! كلما شحذا مهاراتهما أصبحت استراتيجيتهما أبسط، كما شرح لي أبي:أذهب فقط لأخبرهم أنني لا أملك النقود وأخي لا يتحدث الإنجليزية.

Twitter: @ketab_n

قرر عمي نعمة الله أخيرًا، للأسف، العودة إلى إيران، فترك رحيله أبي دون شريك في الجريمة. برغم إصراره رفضت أخواته مرافقته لأنهن ذكيات جدًا بصراحة. أبي الذي لم يفقد الأمل أبدًا أعلن مؤخرًا أنه يحاول إقناع أمي لتمنح المشاركة بالوقت فرصة ثانية، قال لي: لو كانت تفهم قليلًا من الإنجليزية كانت ستستمتع بالندوات أكثر، في أثناء ذلك كان لديه وقت وافر لهوايته الأخرى، متابعة التلفاز، التي كانت، على عكس قيادة اليخت أو صيد السمك أو استكشاف الكهوف، مجانية تمامًا.

Twitter: @ketab_n

تعديل قانون الخنزير

إحدى الأطباق المفضلة لدى أبي هو لحم الخنزير، وقد يكون الأمر عاديًا إن كان اسمك بوب وتعيش في ألاباما، لكن إن كنت كاظم وتعيش في عبادان فسيكون إشباع نهمك للحم الخنزير تحديًا.

في أيام طفولتي كانت إيران ملكيةً يحكمها الشاه الذي كانت صوره في كل مكان، والتعبير الجاد على وجهه كان يعني أنه شخص مهم ذو أفكار مهمة. وكانت زوجته الجميلة فرح تقف إلى جانبه دومًا في الصور، مرتدية تاجًا كبيرًا مرصع بالجواهر الذي بدا أنه ليس مريحًا، لكنه نجح في جعلها تبدو أيضًا أكثر أهمية من شخص عادي يمشي في الشارع. كان لديهما أربعة أبناء يحسدهم الشعب الإيراني كله لما يحظون به من حياة كاملة، التي تعني مربيات يتحدثن الفرنسية، ودروسًا في التزلج وملابس فاخرة وافتراض السعادة الدائمة. لم أكن أكترث كثيرًا بالعائلة الملكية عدا أنني لاحظت امتلاكهم للكثير من المجوهرات الكبيرة. كان والداي على أية حال محبين كبيرين، فقد آمن أبي بشدة أن الشاه سيقوم بتثقيف إيران وتحديثها. وبعد دراسته الجامعية في تكساس عاد أبي إلى إيران مفعمًا بالتفاؤل الأمريكي، إذ يمكن لإيران أن تتقدم- حسبما يقول أبي- بفضل احتياطيها النفطي ووفرة العقول الذكية.

عندما كنت في الخامسة من عمري، قرر الشاه أن يزور عبادان لتدشين معمل للصناعات البتروكيماوية، وقد نظم موكب وصنعت منصة خاصة به، ولتتجنب الحشود الكبيرة قررنا أن نتجاوز الموكب مدركين أننا لن نرى شيئًا، على أية حال لم نكن مستعدين لتفويت الفرصة الوحيدة في الحصول على لمحة من التتواصل مع العائلة المالكة. ابتكر أبي خطة

Twitter: @ketab_n

بعقلية المهندس التي تسعفنا بالحل دومًا. في يوم حار لاهب - اليوم الذي سبق الموكب- ارتدت أمي ثوبها الذي يشبه ثوب جاكلين كينيدي بلا أكمام، وارتدى أخواي قميصانًا بأكمام طويلة وربطات عنق، واتجهنا بالسيارة إلى مكان الموكب في سيارة أبي الشيفروليه المكيفة. بديهيًا لم يكن هناك حشود مهللة ولا موسيقى ولا حتى عائلة مالكة، ولكن لم يكن شيء من ذلك مهمًا، فقد صعدنا المنصة المزينة المخصصة للشاه، وقد غطتنا المظلة التي وضعت لحماية الوجه الملكي من الشمس الحارقة، ابتسمنا والتقطت كاميرا أبي صورة للحظتنا الملكية.

كان سبب قدوم الشاه إلى عبادان هو إنتاج النفط اللانهائي، كانت هبة الطبيعة هذه نعمة ونقمة، مثل امتلاك حديقة تقع في المنطقة المجاورة كلها، فأنت تعرف أنه سيأتي أحدهم في النهاية لقطف أزهارك حين تكون نائمًا، وفي حالتنا كان البريطانيون قد جاؤوا من أجل النفط.

كان البريطانيون أول من اكتشف العوائد المالية الضخمة من الاحتياطي الكبير للنفط الإيراني، فناقشت شركة النفط البريطانية -و صوت النقود يرن في آذان مدرائها- اتفاقية مع الحكومة الإيرانية التي سمحت للبريطانيين بالتنقيب عن النفط وبيعه مقابل مبلغ صغير. في عالم مثالي، يمكن لأي معلمة روضة أن تعترض قبل توقيع أي وثيقة وتقول: انتهى وقت البريطانيين، سنعيد النقاش بعد القيلولة.ولكن للأسف، لم يكن هنالك معلمة تذكّر المشاركين بالمفهوم العالمي للعدالة، وقدم البريطانيون مفهوماً مختلفًا: الجشع. كانت الاتفاقية بين الشركة البريطانية للنفط وحكومة إيران مؤذنةً بكارثة.

لحسن الحظ، كان للاستغلال تاريخ صلاحية وقد استيقظ الإيرانيون في النهاية. في بدايات الخمسينيات من القرن العشرين أمم رئيس

Twitter: @ketab_n

الوزراء د.محمد مصدق النفط الإيراني، وأُجبر البريطانيون على مغادرة إيران. ولأنها لم ترغب بالرحيل ببساطة وخسارة الإوزة التي تبيض ذهبًا، اتحدت شركات النفط الأجنبية وقاطعت النفط الإيراني ما أدى إلى هبوط اقتصادي ضخم، وانهار الاقتصاد الإيراني خلال سنتين من بعد تأميم النفط، ثم حدث اضطراب سياسي، ومرة أخرى كانت إيران فاكهة ناضجة للاستغلال الأجنبي. هذه المرة أُبعد د. مصدق البطل الوطني وقد كان هناك قوى أجنبية تعمل في الكواليس. كرر التاريخ نفسه جزئيًا، وقد عادت شركات النفط الأجنبية إلى تسيير واستغلال إنتاج النفط الإيراني، وكانت إيران هذه المرة تحصل على حصة أكبر من العائدات كما كان لها سيطرة أكبر على عمليات استخراج النفط.

في الوقت الذي ولدتُ فيه في عبادان عام 1965، لم يكن هناك بريطانيون كثر يسكنون المدينة، ظل فقط قليل من الأجانب الذين كانوا جميعًا موظفين لدى الشركات المشغلة، وقد بدأت إيران أخيرًا بجني أكثر فوائدها من النفط.

استفاد سكان عبادان، بعد رحيل البريطانيين، من مدينة بناها مصممون بريطانيون أذكياء، فقد كان لدينا حمامات سباحة ونوادي وكل الخدمات الإسكانية المنتظمة، و بدت مدينتي مختلفة عن أي مدينة إيرانية أخرى.

وفرت بعض المتاجر في عبادان، لتموين المغتربين الأوروبيين، أطعمة أجنبية ومنتجات مدهشة مثل أوفالتين وألواح شوكولاتة الكيت كات ولحم الخنزير. وحتى بعد مغادرة البريطانيين ظلت أطعمتهم المعلبة والمعبأة في المتاجر كذكرى للعالم المدهش الذي يوجد خارج حدودنا.

حرم أبي أثناء دراسته الجامعية في أمريكا من الطعام الفارسي الذي يحبه، فليس هناك أطباق أرز بالزعفران ولا كباب الدجاج الطري ولا

Twitter: @ketab_n

لحم الضأن المنقوع بالخل مع يخنة الباذنجان. لكنه أظهر غريزة البقاء والتأقلم فكوّن ذوقًا لطعام الكافيتريا وبالتحديد للحم الخنزير و حلوى الجيلاتين. وبعد عودته إلى إيران وزواجه لاحقًا، أقنع أمي بإعداد حلوى الجيلاتين بشكل منتظم. كنت أحب ذلك الشيء المرتج لكني كنت أفضل أن أتناول مسحوقه على راحة يدي.

نهم أبي للحم الخنزير كان قصة أخرى على أية حال، ولم تكن أمي لتلمس هذا الشيء حتى بقضيب طوله عشرة أمتار، فقد كانت تمتعض حتى لسماع كلمة "جامبون" الكلمة الفرنسية التي كانت تستخدم في إيران للدلالة على لحم الخنزير. ليس لدي فكرة لم كانت ردة فعل أمي شديدة، كل ما أعرفه أنه كلما اشتهى أبي فطيرة لحم خنزير كنت أنا شريكته المختارة، وكان لي الشرف بذلك. فقد كانت الفرص لقضاء بعض الوقت مع أبي وحدنا نادرة جدًا، لذا كنت أفعل أي شيء لأحظى برفقته وحدي، حتى لو كان يريد السطو على بنك فسأقود السيارة عبر البوابة بكل سعادة.

على عكس المتاجر الإيرانية التي تعرض الخضار والفاكهة علنًا، كانت البقالات الصغيرة التي تبيع لحم الخنزير تغطي الأطعمة المحفوظة في علب وصناديق. كانت الصور تدل على المحتوى، رغم أنه ليس هنالك ديك في رقائق الذرة. كانت هناك مسحة من الغموض تحلق فوق المنتجات الأجنبية العجيبة التي يحمل كثير منها على العلب صورًا لأناس باسمين، لم يبد أي من هؤلاء إيرانيًا ما قادني إلى النتيجة الواضحة بأن هناك الكثير من الناس السعداء يعيشون في بلدان أخرى.

حالما نشتري لحم الخنزير كنا أبي وأنا نعود إلى المنزل نتقاسم حماس رجل الكهف الذي صاد الماموث المراوغ بنجاح. يبتعد أمي وإخوتي

Twitter: @ketab_n

عن المطبخ حين يحضر أبي بإتقان وجبته مع من الطماطم الطازجة والمخلل والبصل، ثم يجلس ليستمتع بكل لقمة وأنا أراقبه. يجعله تناول وجبته المفضلة من الجامبون بمزاج جيد ا ينتهي إلى سرد حكايات عن أمريكا وسنوات دراسته المثيرة. لم أطلب منه مرة تذوق لحم الخنزير ولم يعرض أبي علي ذلك، كان يرضيني أن أكون جزءًا من رحلة الصيد.

حين دخلت الصف الأول بدأت دراسة الإسلام مرة واحدة في الأسبوع، ودرسنا تاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام، وتعلمنا قصة النبي محمد والأئمة، كل القصص كانت رائعة إلى أن وصلنا إلى درس الأطعمة المحرمة، وكانت صدمة كبيرة أن أكتشف أن أبي سيكون مصيره في مكان سيء جدًا ولفترة طويلة، وفجأة لم تعد رحلتنا للحصول على لحم الخنزير ممتعة وبريئة، فهمت الآن لماذا لم تكن أمي تنظر إلى ذلك الشيء، كانت تحاول إنقاذ روحها.

عدت إلى المنزل ذلك اليوم محملة بمهمة أهم بكثير من واجب الرياضيات، كنت مصممة على تغيير مسار حياة أبي الأخروية.

حالما اقتربت سيارة أبي من المنزل جريت إليه وأخبرته عن المستقبل التعس الذي ينتظره إلى الأبد، فأطلق ضحكة مجلجلة، وبدأت أنا بالبكاء وحين رأى أبي دموعي جلس معي وقال: يا فيروزة عندما حرم النبي محمد لحم الخنزير، كان ذلك لأن الناس لم يكونوا يعرفون كيف يطهونه بشكل مناسب ومرض الكثيرون بعد أكله، والنبي الذي كان لطيفًا وكريمًا، أراد أن يحمي الناس من الأذى لذا فعل ما كان صوابًا في ذلك الوقت. لكن الآن يعرف الناس كيف يحضرون هذا اللحم بشكل جيد، لذا إن كان الرسول حيًا اليوم فلا بد أنه سيغير تلك القاعدة.

وتابع قوله: الذي يجعل منا أشخاصًا طيبين ليس ما نأكل، بل كيف

Twitter: @ketab_n

نعامل بعضنا بعضًا، هنالك أشخاص سيئون في كل دين وأن يكون المرء مسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا لا يعني ذلك شيئًا، عليك أن تنظري لتري ما الذي في دواخلهم، فهذا هو الأمر المهم الوحيد، وهذا هو التفصيل الوحيد الذي يهتم به الرب.

كنت في السادسة من عمري، وعرفت أنني قد خُصصت بأمر كبير ومهم جدًا، أمر أكبر بكثير من الجواهر على تاج الشاه، أكبر من حياتي الصغيرة في عبادان. قد تكون كلمات أبي مشينة لكنها مع ذلك كانت صادقة مطلقًا وكليًا.

في أثناء تفكيري سمعت أبي يقول: وعندما تكبرين يا فيروزة، سأجعلك تجربين شيئًا لذيذًا حقًا:الكركند المشوي.

Twitter: @ketab_n

جزيرة الكنز

كانت إحدى متع أبي حين نشأ في الأهواز الذهاب إلى السينما، ولو كان الأمر عائدًا إليه لكان أمضى طفولته كاملة أمام الشاشة الكبيرة، حالمًا بحياة بعيدة، لكن دخول السينما يتطلب تذاكر والتذاكر تكلف أموالًا.

كان جدي لأبي جواد يملك حقول قمح خارج الأهواز، حين تمطر ينمو القمح ويتوفر المال للذهاب إلى السينما، أحيانًا ثلاث مرات في الشهر، وفي موسم الجفاف الذي كان كثيرًا في مناخ الأهواز الجاف، يصبح المال نادرًا. كبر أبي وهو ينظر إلى الغيوم متأملًا أن تمطر.

كانت الأفلام تعرض في الخارج صيفًا لأنه لم يكن هنالك مكيفات هوائية، وكان هذا يعني أن أشخاصًا يحبون المغامرة مثل عمي محمد يمكنهم أن يتسلقوا الجدران العالية وأسطح البنايات ليشاهدوا الفيلم مجانًا. لم يستطع أبي الذي ورث جينات الحذر وطاعة القانون من العائلة، أن يستجمع شجاعته للانضمام إلى أخيه الأكبر في طيش مشاهدة الأفلام مجانًا، رغم أنه كان يتوق حقًا لمشاهدتها. أقنعه أخوه أخيرًا أن يعيش قليلًا وأن ينضم إليه على جداره المفضل لليلة لمشاهدة الفيلم، وانصاع أبي. في الوقت الذي كان كلاهما يتسلل بسهولة جاء رجل شرطة، فقفز عمي محمد فورًا وهرب تاركًا أبي المذعور مهجورًا مثل فرخعلى غصن عالٍ.

صاح رجل الشرطة بأبي كي ينزل وهو يلوح بعصاه، فأغمض أبي عينيه وقفز مرتجفًا على كومة من أحجار البناء، وهرب بعيدًا وهو ينزف طوال الطريق إلى المنزل. التهب الجرح العميق في ساقه بعد ذلك، وأُخبر أبي

Twitter: @ketab_n

أنه قد يفقد ساقه، وبعد ستة أشهر شفي الجرح تمامًا لكنه ترك ندبة ما تزال واضحة.

كانت دار السينما تعرض فيلمًا مختلفًا كل أسبوع، وكان من بينها أفلام مصرية تتحدث غالبًا عن اثنين محرومين من الحب بسبب والد لئيم أو جارة غيورة أو بسبب مرض أو موت أحد الحبيبين. كان أبي يكره هذه الأفلام المستدرة للدموع لأنه مهما حاول أن يقاوم يغادر دار السينما باكيًا. كانت أفلامه المفضلة هي أفلام الغرب الأمريكي التي ينتصر فيها الأخيار دومًا، كما أحب طرزان ذلك الفيلم ذو الشعبية الكبيرة الذي عرض لعدة أسابيع متتالية. كان الفيلم المفضل لديه على الدوام هو فيلم جزيرة الكنز بإنتاج عام 1934، وبعد مشاهدته هذا الفيلم قرر أن يعثر على كنز، شيء ما يغير مجرى حياته إلى الأبد، وهذا ما فعله.

لم يكن الكنز الذي عثر عليه مدفونًا، بل كان على جدار. كان ذلك ملصقًا يعلن عن مسابقة للفوزبمنح فل برايت، وكان أبي في ذلك الوقت في الثالثة والعشرين من عمره ويدرس الرياضيات والهندسة في عبادان. ملأ النموذج على الفور وبدأ يحلم بالدراسة في أمريكا. حطم أحد زملائه أحلامه عندما قال له إن منح فل برايت كانت فقط لأولاد أعضاء مجلس الشيوخ والأثرياء: لست تملك فرصة يا كاظم. كان أبي مستعدًا للتخلي عن أحلامه وينهي عملية تقديم الطلب، غير أنه كان قد استأذن من مديره أن يمنحه يوم إجازة للتقدم إلى امتحان فل برايت، وقد خشي أنه لو فوت الامتحان سيظن مديره أنه كذب ليحصل على يوم إجازة. لذا تقدم للامتحان ومعه المئات من المتعطشين للدراسة في الخارج، وحين أعلنت النتائج كان اسم أبي في أول قائمة الناجحين.

كان أبي مقتنعًا مع ذلك على أنه في النهاية قد يسقط اسمه ليمرر ابن

Twitter: @ketab_n

إحدى الأسر الثرية، وحين طلب منه أن يختار جامعة في أمريكا قال إن ذلك ليس مهمًا حقًا، كان يرغب فقط بمكان دافئ كالأهواز وفيه برنامج لتربية الحيوانات، لأنه افترض أن الحيوانات تتحدث اللغة نفسها في كل مكان حتى في أمريكا، وقال أيضًا إن يرغب بدراسة الهندسة.

بعد أشهر قليلة بُلغ ستة من زملائه أنهم قد حصلوا على منحة فل برايت.

انتهت صفوف أبي في الصيف وقبل وظيفة مهندس.

بعد شهر من ذلك، أثناء زيارة إلى مكتب البريد أبلغ الموظف أبي بوصول رسالة له قبل شهر وقد تعذر إيصالها إليه. فيما يبدو كانت الرسالة معنونة إلى المدرسة، وبما أن أبي لم يعد يدرس هناك لم يوصلها مكتب البريد. سلم الموظف أبي مظروفًا، كان ذلك رسالة قبوله في جامعة تكساس بفضل منحة فل برايت، بالإضافة إلى منحة دراسية من مؤسسة فورد. أوضحت الرسالة أنه قبل في تكساس بتاريخ محدد من أجل البرنامج التنويري الذي يستمر أربعين يومًا. نظر أبي إلى التقويم ليرى أن ذلك التاريخ قد حل الأسبوع الماضي.

ركض أبي مهتاجًا إلى مديره ليطلب منه إجازة لمدة خمسة أيام، ولأنه لم يسافر خارج إيران من قبل، فقد اضطر للذهاب إلى طهران للحصول على جواز سفر. لم يقدم استقالته من عمله لأنه خشي أن يكون خسر المنحة الدراسية لأنه فوّت اللقاء التنويري.

في طهران، اتجه مباشرة إلى إدارة الجوازات وسلم المدير بطاقة هويته، فقلبها المدير ثم أعادها لأبي قائلًا: آسف، هناك صفحة ناقصة. بالتأكيد لا بد أن تكون هناك صفحة ناقصة وهي صفحة الوفاة، فقال أبي:

Twitter: @ketab_n

لكني حي! دون جدوى، فقد أخبروه أن عليه التقدم للحصول على بطاقة جديدة وهي عملية تستغرق ثلاثة أشهر.

تحولت رحلة الأيام الخمسة إلى إقامة خمسة وعشرين يومًا في طهران، كان فيها أبي يجري بجنون من مكان إلى مكان ليسرد قصته للجميع، بأمل أن أحدًا يعرف أحدًا ما قد يكون قادرًا على تسريع العملية. قرر مدير لطيف أخيرًا أن يساعده، مانحًا إياه بطاقة جديدة في غضون أسبوع، وحصل بعدها على جواز السفر. كانت السفارة الأمريكية هي المحطة التالية حيث منح التأشيرة في غضون ساعات قليلة.

عاد بعدها إلى عبادان واستقال من عمله، وودع أخته صدّيقة وعائلتها دامعًا، ثم صعد إلى الطائرة المتجهة إلى تكساس، حين وصل إلى أوستن كان قد فوّت خمسة وثلاثين يومًا من اللقاء التنويري.

خصصت له غرفة ليقضي الأيام الخمسة الباقية مع طالب ياباني كان يرى الأمريكيين مفلسين أخلاقيًا، ولخمسة أيام كان على أبي أن يستمع لمواعظ شريكه في الغرفة حول مخاطر محيطهم الجديد المنفلت، وفي الليلة الأخيرة للقاء التنويري أثناء عشاء الوداع، لف أحد الطلاب الذي كان ثملًا تمامًا مفرش طاولة حول جسده ورقص بهياج على الطاولات، ثم أبعده المنظمون لكن أبي استطاع أن يميز هذا الرجل المجنون والهائج، لقد كان شريكه في الغرفة.

كان أبي يدرس في أيام الأسبوع طوال السنة الدراسية، أما في إجازات نهاية الأسبوع فقد كان يدرس أكثر، و كان خجله وقلة معرفته بالإنجليزية وتفويته اللقاء التنويري مجتمعة وصفة جيدة للوحدة. أثناء إحدى إجازات نهاية الأسبوع الطويلة اقتحم أحد طلاب منحة فل برايت غرفة أبي قائلًا إنه لم يعد يتحمل هذه الوحدة وإنه سيتخلى عن دراسته ويعود

Twitter: @ketab_n

إلى دياره، حاول أبي أن يثنيه عن ذلك، لكن بسبب لكنة كاظم الثقيلة و وموهبته الفريدة باللغة الأنجليزية، لا يمكن لأحدهم أن يخمن ما الذي يقوله، على أية حال، عاد الطالب إلى بلده.

لاحظ أبي بعد أيام قليلة مظروفًا كبيرًا باسم الطالب المسافر، وبالمصادفة كانت إحدى هوايات أبي المفضلة فتح بريد الآخرين. تضمن المظروف رسالة من مكتب فل برايت يعلم الطالب أنه يستطيع التحويل إلى أي جامعة يختارها، وأنهم سيوفرون له أسباب الراحة لضمان تجربة لا تنسى له، وهو ما أوحى لأبي بفكرة لامعة.

قرر أنه يريد التحويل إلى جامعة أخرى ذات بيئة أكثر حياة، لكنه لم يرغب بطلب التحويل مباشرة، بل أراد أن تقترح اللجنة ذلك عليه. لذا كتب بشكل جاد رسالة يصف فيها كم كان وحيدًا، فرد مكتب فل برايت فورًا لإبلاغه أنهم عينوا له مضيفة أمريكية ستأخذه في جولة في المدينة في إجازات نهاية الأسبوع، لكن ليس ذلك ما أراده أبي.

السبت التالي وجد نفسه يقف في بهو متحف الفن. من الواضح أن مضيفته ظنت أنه كطالب هندسة يمكن لأبي أن يطلع على شيء من الثقافة، ولم تكن تعلم أن الثقافة (البكتيريا) الوحيدة التي يهتم بها أبي هي تلك التي في اللبن الرائب. الذكرى الوحيدة لدي عن جولة عائلتي في متحف للفن انتهت بسؤال أبي:هل علينا أن ندفع كي ندخل هذا المكان؟

بعد ست نهايات أسبوع مثرية ثقافيًا اقتنع أبي أنه قلل من شأن مزايا الوحدة كثيرًا، كان قرار أبي واضحًا بعد أن منح الخيار بين قضاء الوقت مع امرأة لطيفة تنازلت عن إجازاتها لمهندس ما من بلاد ربما لم تسمع بها من قبل، أو قراءة نظريات عن ميكانيكا الموائع. أبلغ أبي مكتب فل

Twitter: @ketab_n

برايت أنه قد تعافى بفضلهم من شعوره بالوحدة.

قبل أسابيع من إجازة الربيع، سأل أحد أساتذة الهندسة أبي إن كان لديه أي خطط لقضاء إجازة عيد الفصح، ولم يخطط لذلك طبعًا، فدعاه الأستاذ إلى مرافقته هو وأستاذ آخر إلى برينستون/ نيوجيرسي. فبعد أن لاحظا شغف أبي بالرياضيات والهندسة ونزعته في البقاء وحيدًا لفترات طويلة، ظنا أنه يرغب بالانضمام إليهما، فوافق أبي سعيدًا متأكدًا أن ذلك سيكون أفضل بكثير من التجول في متاحف الفنون. قال الأستاذان لأبي خلال الرحلة الطويلة أنهما ذاهبان إلى لقاءصديق قديم. لقد حضرا محاضرة ألقاها هذا الرجل اللامع قبل سنوات وأرادا أن يزوراه ثانية.

وصلوا إلى نيوجيرسي بعد ثلاثة أيام، وفي اليوم التالي اتجه الأستاذان ومعهما أبي المنصاع لهما للقاء معلمهما، كان ذلك عام 1953.

كان لألبرت إينشتاين، حسب وصف أبي، عينان عميقتان حادتان، وكان يتحدث بطريقة متأنية ولطيفة. قدم أحد الأساتذة طالب منحة فل برايت الإيراني، فطلب آينشتاين من أبي أن يحدثه قليلًا عن برنامج فل برايت، والكلمة الأساسية هنا هي "قليلا". حدثه أبي عن تاريخ المنحة وكيف أن السيناتور فل برايت قد بدأها بعد الحرب العالمية الثانية كوسيلة لتعزيز التفاهم بين الولايات المتحدة والبلدان الأخرى. وقال كاظم إنه لم يكن ليصدق أن مدرسًا في عبادان سيقع عليه الاختيار لمنحة رفيعة المستوى كهذه، وأخبر آينشتاين أنه حلم دومًا بالدراسة في أمريكا، وكم كان كل شيء رائعًا! تلك كانت البداية فحسب.

فها هو أجنبي وحيد أمضى سنة كاملة أساسًا دون أن يتحدث إلى أي أحد، ولكنه قرر فجأة أن يطلق حصة سنة كاملة من الكلام أمام عبقري غير مرتاب. يمكن للمرء فقط أن يتخيل ما الذي كان يدور في ذهن

Twitter: @ketab_n

ألبرت آينشتاين المتقد حينها: لا تسأل عن فل برايت ثانية.

في اللحظة التي أنهى فيه مناجاته لنفسه، سأل أبي آينشتاين إن كان يعرف شيئًا عن إيران. لقد كان يبحث عن عذر ليتابع خطابه اللامع عن إنتاج النفط في إيران، في ماضيه وحاضره ومستقبله، لكن الله أنقذ ألبرت آينشتاين الذي أغضب كاظم دون قصد منه: أعرف عن سجادكم الشهير وقططكم الجميلة. وقد أنهت هذه الجملة المحادثة لأن أبي لم يكن يعرف ماذا قصد بقوله قططكم الجميلة، ولم يكن ليسأل عن ذلك. إن أراد أحدهم أن يثير إعجاب ألبرت آينشتاين فلا بد أن يتظاهر بأنه يعرف ما الذي يتحدث عنه العبقري، خاصة إن كان يتعلق بالبلد التي يمثلها هذا الشخص والفضل يعود لمنحة فل برايت. لذا قال أبي ما يقوله دائمًا عندما لا يكون لديه فكرة عما يتحدث عنه الشخص الآخر: نعم، نعم.

عاد أبي إلى تكساس رجلًا أكثر سعادة، فلقاؤه بألبرت آينشتاين أكد له افتراضه أن كل شيء ممكن في أمريكا، وأمضى الأشهر القليلة التالية في إنهاء دراسته استعدادًا للعودة إلى عبادان حيث كان يتوق ليشعر بدفء إخوته وحنانهم.

لقد عاد بأكثر من مجرد شهادة، لقد عاد بحلم جديد لم يعد فيه الكنز مدفونًا. حلم أن يعود يومًا ما إلى أمريكا مع أطفاله، وأن يحصلوا -أولاد ذلك المهندس من عبادان- على فرص التعليم نفسها التي يحصل عليها الآخرون حتى أبناء أعضاء مجلس الشيوخ والأثرياء، لقد كان حلمًا حظينا إخوتي وأنا بشرف تحقيقه.

Twitter: @ketab_n

عن الأقارب

يقال إن لغة الإسكيمو فيها أكثر من عشرين كلمة تعني "ثلج"، يبدو هذا منطقيًا بالنظر إلى أن الفرد العادي من ألاسكا يقضي حياته محاطًا بالثلج، منتبهًا إلى تفاصيل لم يلاحظها البقية منا.

تعلمت باعتباري أمضيت مراهقتي في نيوبورت بيتش الفوارق الدقيقة الكثيرة للـ"سمرة"، فقد عرفت الاختلاف بين السمرة الداكنة والسمرة الفاتحة والسمرة البرونزية والسمرة الجديدة، ولم يكن هناك أحد لديه سمرة الفلاح، وهي تظهر حد القميص والسروال القصير، والأسوأ من ذلك أنها سمرة مصنوعة، يمكن للمرء أن يكتسبها في مقصورة للتسمير، أما سمرة المتزلج على المياه فهي السمرة الأكثر طلبًا، لأنها تترافق مع الشعر الفاتح بفعل الشمس.

نظرًا لنشأتي في إيران، لم أكن محاطة بالثلج أو الأشخاص المسمرين، بل كنت محاطة بالأقارب. وليس بالغريب أن تحتوي لغتي الأم الفارسية على كلمات لتدل على الأقارب أكثر دقة من تلك التي تقابلها في الإنجليزية. فعمو تعني أخا الأب، أما أخو الأم فيقال له دايي، وزوج العمة شوهر عمه، وزوج الخالة شوهر خاله. أما في الإنجليزية فكل هؤلاء الرجال هم ببساطة "أعمامي"، كما أن هناك كلمة وحيدة في الإنجليزية تصف أبناءهم "أبناء عمومة"، في حين أننا في الفارسية لدينا ثمانية ألفاظ تدل على العلاقة الدقيقة لكل قريب.

عندما كنا نعيش في عبادان، كنا نعيش قرب أخت أبي الكبرى العمة صديقة، وأولادها الأربعة هم أبناء عمتي أي بسر عمه. تقضي عائلتنا كل دقيقة معًا وكنت دومًا أعتبر عمتي صديقة وزوجها العم عبدالله مثل

Twitter: @ketab_n

والدين آخرين لنا، ولأن العمة صديقة لم تنجب بناتًا فقد اعتبرتني ابنتها. كانت تمطرني دومًا بطبعها الدافئ والحنون بعبارات تبقى معي حتى بعد انتهاء زيارتنا بوقت طويل، فهي تقول لي دائمًا إنني ذكية وصبورة وإنها تتمنى لو كنت ابنتها. لم تنتقدني مرة بل أحبتني كما تفعل العمة.بالنسبة لي ما تزال كلمة عمه تستحضر شعور أن تكون مغلفًا بالحب.

لدى عمتي صديقة أيضًا حديقة جميلة مليئة بأزهار السلبوت والورود وأزهار أنف العجل والبسلي العطرة، كانت ديزني لاند حقيقية لحاسة الشم. كنا نذهب إلى منزلها لتناول الغداء كل جمعة، وفي الوقت الذي تملأ فيه روائح طبخها المنزل، كنت أذهب إلى الحديقة لأشم كل زهرة مرة تلو أخرى، ورغم ذهابي هناك أسبوعيًا كانت الحديقة تبدو لي مثيرة كل مرة كما لو أنها المرة الأولى.

عندما هاجرنا إلى أمريكا، لم أعد أستطيع شم تلك العطور ونسيت كل ما يتعلق بحديقة عمتي. لمحت أثناء تجوالي في متجر في بيركلي ذات يوم زهرة مألوفة على نحو غامض، فانحنيت واستنشقت رائحة البسلي العطرة لأول مرة منذ خمسة عشر عامًا، وفجأة عدت إلى عمر السادسة ثانية أركض وأطارد الفراشات في حديقة عمتي.

يأخذ الكبار قيلولة بعد تناول الغداء في منزل عمتي وأبدأ انا مغامرتي المفضلة في مكتبة العم عبدالله، شوهر عمه عبدالله، كان رجل كتب، رجل متعلم يستمتع بالتعلم لأجل التعلم، يتحدث العربية بطلاقة ويهتم بشكل خاص بالجذور اللغوية، وكان وحيدًا في تعطشه للمعرفة لأن الجذور الوحيدة التي تهتم بها عائلتي كانت البطاطا والفجل واللفت. وكنت أنا مع ذلك مفتونة باهتمامه بالكلمات، رغم أنني لم أستطع فهم شروحاته أبدًا. إن سألته عن معنى كلمة بالفارسية كان يشرح لي اشتقاقها

Twitter: @ketab_n

العربي، معطيًا أمثلة لا نهائية من الكلمات التي تتقاسم الجذر نفسه، ثم يناقش بعدها تطور الكلمة إلى شكلها الحالي ويستشهد باقتباسات من القرآن كمعيار جيد. حين ينهي عمي شرحه أكون قد نسيت سؤالي تمامًا، ومع ذلك كنت مسحورة تمامًا بشغف الكلمات لديه وحجم معلوماته.

دائمًا، كنت أتجه مباشرة في مكتبة عمي إلى الأعداد المجموعة من مجلة "ريدرز دايجست" التي كنت أحبها لسببين: لأنها صغيرة ولأنها تصل من أمريكا عبر البريد كل شهر. لم أكن أعرف كلمة إنجليزية لكني أحببت تصفح المجلات الصغيرة من الغلاف إلى الغلاف، محاولة اكتشاف ما تتحدث عنه مواد المجلة، وكنت أحرص دومًا على إعادتها بالترتيب الذي وجدتها عليه تمامًا خوفًا من أخسر امتياز دخول مكتبة عمي. بعد سنوات حين هاجرنا إلى أمريكا اشترى لي أبي اشتراكي الخاص بمجلة "دايجست ريديرز"، الحدث الذي ظل عظيمًا في حياتي أيام الطفولة.

تعيش عمتي صديقة والعم عبدالله الآن قرب والديّ في كاليفورنيا الجنوبية، ورغم أن منزلهما الآن فيه حديقة صغيرة، لكنهما نجحا في زراعة التين والرمان والليمون الحلو والأعشاب بوفرة يحسدان عليها، وما تزال عمتي طاهية رائعة، ولا يمكن أن تكتمل زيارة إلى كاليفورنيا الجنوبية دون أطباقها من الأرز مع العدس بالزعفران، ويخنة الباذنجان بلحم العجل، أو طبقها المميز من السلمون المشوي بالفرن والمحشو بالأعشاب المزروعة منزليًا. وما زالت عمتي اللطيفة تمطرني بعباراتها الحنون، لكنها أصبحت تقول لي كم أنا أم رائعة، وأشكرها أنا على ثنائها.

يعمل العم عبدالله مترجمًا، وهو عمل يسمح له أن يحيط نفسه بكلماته

Twitter: @ketab_n

التي يحبها، وقد توسع شغفه على أية حال ليشمل الحواسيب التي اكتشفها حين بلغ السبعين من عمره. هذا يعني أنه كلما زار زوجي، مهندس الحاسوب، كاليفورنيا الجنوبية فإنه يقضي ساعات مع العم عبدالله محاولًا استعادة الملفات الضائعة والمحذوفة.

يقول عمي دومًا: لا أعرف كيف حدث ذلك، ويذكره زوجي: عندما يسألك الحاسوب هل أنت متأكد من رغبتك بحذف هذه الملفات عليك أن تضغط لا، فيجيب عمي دائمًا: لكنه لا يسألني، إنها تختفي فحسب.

لعمتي وعمي أربعة أولاد محمد ومحمود ومهدي ومهرداد، كلهم متزوجون ولديهم أطفال. رغم أن أبي يعتبر أبناء وبنات إخوته أبناءه هو، وقد كان مقربًا من أبناء أخته صديقة تحديدًا لأنهم يعيشون قربنا في عبادان، ما منح الفرصة لأبي بهجة رؤية أبناء أخته يكبرون. كان يحب إعادة سرد قصص لا نهائية عن كل واحد منهم، مؤكدًا على ذكائهم وكياستهم وظرافتهم الفائقة. كنا نقول له: لقد سمعنا هذه القصة من قبل، لكن أبي لا يصغي إلينا أبدًا لأنه بإعادة سرد قصصه يستعيد اللحظات الأحلى في حياته، وكان أبناء أخته يحبونه بالمقابل.

إذا رغب والداي بقضاء إجازة جميلة فإنهما يذهبان لزيارة مهدي، وهو أستاذ جامعي في النمسا قائلين إنه يعرف كيف يجعلهما يقضيان وقتًا طيبًا، وإذا احتاجا إلى أي نصيحة طبية من أي نوع فإنهما يلجأان إلى محمود جراح العظام، أفضل جراح على الإطلاق كما يقولان، وإن رغبا بحسن الضيافة فإنهما يزوران محمود الذي يذكر كرمه ولطفه والديّ بحياتهما في عبادان، أما إذا رغبا بالتسلية فإنهما يختاران مهرداد دومًا ابنهم الثالث بشكل غير رسمي والأب الفخور بذوي الشعر الأحمر الوحيدين في العائلة، اللذين يقول عنهما والداي: يمكن أن يصبحا عارضين.

Twitter: @ketab_n

بعد الثورة الإيرانية، فشل أبي في العثور على عمل في كاليفورنيا الجنوبية فسكن مع عائلة مهدي أثناء عمله في كاليفورنيا الشمالية. شغل ابن مهدي الأكبر داريوس وأخوه الأصغر رايان غرفة واحدة، ليكون لأبي غرفته الخاصة. وبعد عشرين سنة من ذلك خصصنا زوجي وأنا غرفة لداريوس في منزلنا ليسكن معنا أثناء تدريبه في شركة حواسيب قريبة. قال لي عندما وصل: أظن أنه وقت السداد، فضحكنا جميعًا لذلك واثقين أن خيط الكرم واللطف في عائلتنا ليس له بداية أو نهاية، فقلت لداريوس: احرص على أن تحفظ غرفة في منزلك، سيأتيك أولادي يومًا ما.

عندما كانت جدة داريوس صديقة شابة، كانت حسبما قاله أبي أذكى الجميع، وبسبب تلك العصور لم تتمكن صديقة من مواصلة تعليمها بعد الصف السادس وتزوجت بعد ذلك بفترة قصيرة. كل إخوتها أصبحوا مهندسين وأطباء، واعتبر أبي هذا ظلمًا كبيرًا. كان يخبرني دومًا أنه لو تسنى لأخته أن تكمل تعليمها فستصبح أفضل طبيبة بينهم، ليس لذكائها فحسب بل لأنها كانت واسعة الحيلة أيضًا. يحب أن يحكي كيف أن دجاجات العائلة ماتت جميعًا ذاتسنةولم يعرف أحد السبب، وصممت صديقة على كشف العلة. بدأت بمراقبة الدجاجات عن كثب ولاحظت أنها تعاني صعوبة بالبلع، فشرّحت جثة إحدى الدجاجات ووجدت ورمًا في حلقها. بعد ذلك أخذت كل دجاجة ما تزال على قيد الحياة وأحدثت شقًا في حنجرتها وأزالت الورم وخاطت الشق ثانية ونجت كل الدجاجات.

كلما أخبرني أبي هذه القصة امتلأت عيناه بالدموع ويقول وصوته يخفت ويخفت: يا له من ظلم أن تحرم عقلًا كهذا من التعليم، ثم يضيف:

Twitter: @ketab_n

وأنت يا فيروزة ستدخلين الجامعة. لم يستطع أبي تغيير الماضي لكن الماضي غيره بالتأكيد، ويتابع بإصرار:لست أبالي إن لم تعملي بشهادة الجامعة لكن لا بد أن تحصلي على واحدة. لقد كان أوان دفع الثمن بالنسبة لأبي الذي كتب على ابنته أن تحصل على التعليم الذي حرمت منه أخته.

صار عمي الأكبر محمد طبيبًا، وهو أول طبيب في العائلة، وقد ساعد إخوته الأصغر منه ممكنًا إياهم من إتمام تعليمهم. كان لعمي مسيرة ناجحة في الأهواز وقد تمتع بحياة مرفهة حتى قيام الثورة الإيرانية، فهاجر هو وعائلته إلى أمريكا عام 1980 حاملين متاعًا قليلًا. لم تمكن إجازة محمد الطبية الإيرانية من ممارسته للطب في أمريكا، لذا كان عليه أن يسجل في دورات للإنجليزية والطب وأن يجتاز الامتحانات المطلوبة. في عمر الثامنة والخمسين، العمر الذي يفكر فيه معظم الأطباء بالتقاعد، تعين على عمي قضاء سنة كطبيب مقيم وقد كان الأكبر في المستشفى.

بعد إتمام تعليمه بدأ عمي يمارس الطب في كاليفورنيا الجنوبية منضمًا إلى صفوف المهاجرين الذين يعملون بجد لتحقيق الحلم الأمريكي. في النهاية تمكن من إيجاد أسلوب حياة يشبه الذي تركه في إيران نوعًا ما، وقد تمكن من شراء سيارة مرسيدس عليه أن يقودها بنفسه، على عكس ما كان عليه الأمر في إيران.

كان أبي يقول إن أخاه حقق الفخر للعائلة مرتين، المرة الأولى في شبابه حين أصبح طبيبًا، والثانية حين صار طبيبًا للمرة الثانية وهو بعمر كبير. عمي محمد هو قدوتنا في الصبر.

يعيش كل أعمامي وعماتي على بعد خمس عشرة دقيقة واحدهم عن الآخر، ولا يترددون في الاجتماع لأي مناسبة محتملة كأعياد الميلاد

Twitter: @ketab_n

ومناسبتهم المفضلة على المدى الطويل مسابقة ملكة جمال أمريكا. بلغ عمي محمد الثمانين مؤخرًا، الحدث الذي احتفلت به العائلة بحفلة ذات طابع من هاواي، وقد حضرون سبعون فردًا من العائلة يمثلون ثلاثة أجيال، ألقى عمي محمد خطابًا قائلًا إنه لن يتقاعد أبدًا فهللت العائلة.

يحضر أقاربي كل حفلات التخرج المملة مبتهجين بالإنجازات الأكاديمية لكل الأبناء والأحفاد. لا أحد يفهم خطابات التخرج، لكنهم جميعًا يذهبون للتصفيق والتهليل، فنحن - مثل كل الإيرانيين- نعتبر الدراسة الأولوية القصوى، دخل كل فرد في عائلتي الكبيرة تقريبًا الجامعة، الأمر الذي يجعل دموع الفخر والسعادة تنهمر من عيون الجيل الأكبر، الأمر الذي نأمل أن نواصله.

يحضر أقاربي أيضًا حفلات الانتقال إلى مسكن جديد و احتفالات رأس السنة والمواليد الجدد كلهم مجتمعين. مؤخرًا ابن عمي (بسر عمو) انتقل إلى شقة قرب جامعة كاليفورنيا ليبدأ دراسته في طب الأسنان، فأقام له والده حفلة انتقال حضرها خمسون فردًا من العائلة ليحتفلوا في شقته الصغيرة، لقد كانت رائعة قال أبي.

يأخذ أبي وإخوته بعضهم بعضًا إلى مواعيد الأطباء ويقلون بعضهم بعضًا من المطار، وإن ذهب أحدهم لإجراء الفحوصات يتصل الكل للاطمئنان. يعرفون أيهم مصاب بضغط الدم المرتفع وأيهم لديه حساسية تجاه منتجات الألبان، كما يعرفون الأكل المفضل لبعضهم بعضًا وغالبًا يستغلون هذه المعرفة لإغرائهم بالزيارة. "كاظم لقد أعددت الأرز باللبن" هي طريقة عمتي صديقة في دعوة أبي، وأخته الأخرى فاطمة لديها جملة فعالة بقدر مماثل حين تقول: كاظم لقد نضج التوت.

معًا، يشكل أقاربي تحالفًا يجسد حب العائلة الأصيل والمستمر،

Twitter: @ketab_n

التحالف الذي يساندهم في الأوقات الصعبة ويمنحهم أسبابًا للاحتفال في السراء. اشترى أبي وإخوته قبورًا معًا، لأنهم كما أخبرني أبي:لا نرغب بالانفصال عن بعضنا أبدًا. اشترى عمي، الطبيب الأكبر، قبره على تلة عالية بإطلالة على المحيط الهادي قائلًا:لطالما رغبت بإطلالة على المحيط.

أخبرت فرانسوا قبل زواجنا أن لدي قبيلة، طقم مجاني من سكاكين جينزو مع كل ما تشتريه، إن أمكن القول. قال فرانسوا إنه يحب القبائل، وخاصة قبيلتي، اليوم كلما زرنا أقاربي المغرمين جميعًا بزوجي، أدرك أنه لم يتزوجني برغم قبيلتي بل تزوجني بسببها. دون أقاربي لست إلا خيطًا، معًا نشكل سجادة فارسية متقنة.

Twitter: @ketab_n

أنا وبوب هوب

كتب الفيلسوف الأمريكي العظيم د. سوس[23] مرة عن شخص يدعى جرينش الذي لا يحب عيد الميلاد لأسباب غامضة. حاول د. سوس أن يتوغل في الذهنية غير الاحتفالية لهذا المخلوق المحيّر للعثور على سبب محتمل لعدم تحليه بروح عيد الميلاد:

ربما لأن رأسه لم يكن في مكانه تمامًا

ربما لأن حذاءه كان ضيقًا جدًا.

كانت هذه أسباب جيدة، لكن بالنسبة لي أرى أنه أغفل الإجابة الواضحة، ربما لأن جرينش كان مثلي مسلمًا، شخصًا استبعد من كل احتفالات العيد. تبدو المشكلة واضحة في التفسير الديني، فليس هنالك قافية يمكن أن تتناسب مع مسلم، فإن كنت يهودي على الأقل سيقال بأنك تشعر بالكآبة[24] أثناء عيد الميلاد، لكن بالنسبة لمسلم فليس هنالك ما يتلاءم معها.

حين كنت أعيش في إيران كانت معظم السكان لكن ليس كلهم مسلمين، وكان الإيرانيون اليهود والمسيحيون يمارسون شعائرهم بسلام. كنا عائلتي وأنا من عوام المسلمين مثل غالبية السكان، وكانت فكرة والديّ عن التدين تتمثل بالتبرع بجزء من دخلهما إلى الفقراء والامتناع عن أكل لحم الخنزير، وكانت النساء اللاتي يخترن تغطية أنفسهن من الرأس إلى بالشادور إما كبيرات السن أو القرويات، أما

(23) - تيودور سوس جيزل المشهور بدكتور سوس روائي ورسام كارتون أمريكي توفي عام 1991.

(24) تقول الكاتبة if you are jewish you feel blue-is ، وبنقلها إلى العربية اختلت القافية.

Twitter: @ketab_n

في المدن فقد كانت الإيرانيات يفضلن ارتداء ثياب مثل ثياب جاكلين كينيدي أو إليزابيث تايلور.

كان الدين إحدى المواد التي نتعلمها في المدرسة، ولم يكن مقتصرًا على الإسلام بل درسنا عن اليهودية والمسيحية والبوذية أيضًا، وكنا نتعلم أن نمارس شعائر الإسلام إلى جانب احترام كل الأديان. كان تعلم الإسلام إجباريًا لكل التلاميذ لكن ممارسته لم تكن كذلك، وقد كان الأطفال اليهود والمسيحيون في مدرستي يعفون من الدراسات الدينية الأمر الذي جعل البقية يحسدونهم عليه.

عندما انتقلنا إلى أمريكا، وجدت أن المدرسة كانت أكثر متعة هنا، فالواجبات المنزلية أقل وليس هناك مسائل رياضيات لا نهائية، وليس هناك حفظ للقصائد المشهورة. كنت أحب معلمتي السيدة ساندبيرغ، وكنت أحب فتيات الكشافة ومكتبة وايتبير العامة وألـواح حلوى "بترفينغر"، كنت أحب الهالوين وبرنامج "ذا برادي بنش" والألعاب المجانية في علبة حبوب الإفطار. لقد بدت لي الحياة في أمريكا سلسلة طويلة من الأعياد التي يحتفل بها بالمرح والشوكولاته.

لكن الضحك توقف حين حل عيد الميلاد، وكان الجميع يقيمون الحفلات ولم أدعَ إلى واحدة.

في إيران تعتبر العطلة الأكبر هي عطلة عيد النوروز أي رأس السنة، وبما أنها ليست عطلة دينية فإن كامل البلاد تحتفل بها كما تحتفل الولايات المتحدة بعيد الشكر. تبدأ دائمًا في اليوم الأول من الربيع، في وقت الاعتدال الربيعي، وهذا يعني أن النوروز يأتي بموعد مختلف كل عام، فربما يكون في 21 مارس عند الساعة 5:32 صباحًا في عام، وقد يحل 20 مارس عند الساعة 11:54 ليلًا في العام الذي يليه، كل إيراني

Twitter: @ketab_n

يعرف متى تحين لحظة الاحتفال تمامًا.

يسبق الأعياد عادة أسبوع من التحضيرات، إذ ينظف الجميع منازلهم جيدًا، ويشترون أو يخيطون ثيابًا جديدة ويخبزون المعجنات التقليدية، كما تعدّ طاولة احتفالية تدعى هفت سين[25] التي تتألف من سبعة أشياء تبدأ كلها بحرف السين، وتعرض إلى جانب أغراض أخرى ذات دلالة مثل مرآة و بيض ملون وسمكة ذهبية في حوض، وترمز هذه الأشياء إلى الصحة والتجدد والازدهار والخصوبة والأماني الشاملة المعتادة التي يتبادلها الناس في رأس السنة. وعلى عكس أماني رأس السنة الأمريكية التقليدية، ليست هنالك أمنيات في رأس السنة الفارسية حول خسارة 10 باوندات أو الحصول على جسد رشيق.

تغلق معظم الشركات والمتاجر في النوروز وتصبح الشوارع مهجورة. يزور الناس أقرباءهم-لاثني عشر يومًا منذ الاعتدال الربيعي- بدءًا بالأكبر سنًا، وحين يزار كل كبار السن يبدؤون هم أنفسهم بزيارة من يصغرونهم. في كل بيت تقدم صينية من الحلويات المعدة منزليًا مع أمنيات العام الجديد، ويحصل الأطفال على الهدايا المالية وكلها أوراق نقدية جديدة. أظن أنه منذ بدء موجة الهجرة إلى أمريكا بعد عام 1980 لاحظت المصارف في أمريكا زيادة مفاجئة في الطلب على الأوراق النقدية المطقطقة في شهر مارس.

لكن عندما سافرنا إلى أمريكا عام 1972، فقد النوروز معناه، ولم نعد نشعر بالحماس المتزايد لليوم العظيم، ولم نعد نرى الناس يغسلون

(25) طاولة تعرض عليها سبعة أشياء تبدأ بحرف السين في الفارسية وهي سبز (القمح) ويمثل التجدد، سمنو (البودنج) للرفاه، سنجد(ثمار الزيزفون الجافة) للحب، سير (الثوم) للطب، سيب (التفاح) للصحة والجمال، سماق للون شروق الشمس، سركه (الخل) للتقدم في العمر والصبر.

Twitter: @ketab_n

ستائرهم، ويشترون الثياب الجديدة أو يكنسون فناءات دورهم. لم نعد نتهيأ للضيوف المفاجئين، فقد تلاشت روائح المعجنات القادمة من كل مطبخ، وتبددت الخزامى الأرجوانية التي تزين كل منزل، وراح الغرباء الذين يتمنون لنا "نوروز مبارك" سنة سعيدة، وذهبت الإثارة مع الريح.

حاولنا في أمريكا جاهدين أن نحتفل بالنوروز، لكن ذلك كان تحديًا، ولأنه لم يكن عطلة أمريكية فقد كان الجميع إما في العمل أو في المدرسة. يصعب عليك أن تتحلى بمزاج الاحتفال حين تأتي عطلتك الوطنية في وقت ما بين تمرين لكرة القدم و موعد عند طبيب الأسنان. على أية حال، هنالك عدد أكبر من المهاجرين الإيرانيين في أمريكا اليوم، وقد أصبح الاحتفال بالنوروز أكثر متعة، وأنا واثقة أننا سنسمع قريبًا عن تخفيضات في متجر مايسيز بمناسبة النوروز.

يعد عيد الميلاد في أمريكا ملك كل العطلات، وأن تستبعد من الاحتفال به كان يعني التجربة الأقصى لانتمائك لأقلية. حين كنت مراهقة اعتدت أن أتعاطف مع أصدقائي من اليهود، وكنا نتحدث سويًا عن تحرقنا ليوم 26 ديسمبر وكرهنا لسماع أغاني الميلاد في كل مكان، وتوقنا لتخبز لنا أمهاتنا كعك العيد مرة. رغم أنني كنت أستمتع بالشكوى مع أصدقائي اليهود، إلا أنني لم أكن مقتنعة أن بإمكانهم أن يشعروا تمامًا بألمي، فهم بالنهاية لديهم الحانوكا الذي رغم اختلافه كليًا عن عيد الميلاد، إلا أنه يشمل الطعام والثياب والهدايا والأضواء. في منزلي، يمكن لديسمبر ببساطة أن يكون أغسطس لأنه بالتأكيد لم يكن هنالك أي مظهر للأعياد، وقد كانت عطلة الميلاد طويلة، عطلة طويلة مملة.

في إيران، نزور الأقارب في أوقات الفراغ، أما في أمريكا فإننا نشاهد التلفاز في هذه الأوقات. كان عيد الميلاد بالنسبة لنا يعني أمسية نقضيها

Twitter: @ketab_n

مع بوب هوب أو جون دينفر أو برنامج سوني وشيرأو توني أورلاندو ودون[26] أو أي شخص مشهور آخر لديه إصدار حول عيد الميلاد. لم نكن ننتقي، فإن كان التلفاز مدارًا كنا نشاهد ما يعرض. كان والداي معجبين بشكل خاص بحلقة بوب هوب السنوية الخاصة بعيد الميلاد، الذي يستضيف دومًا النجمة بروك شيلدز، ورغم أنهما لا يفهمان نكات بوب هوب إلا أن أبي كان يضحك مع صوت الضحكات، ويسأل بعدها: ماذا قال؟ هكذا كنت أمضي ليلة عيد الميلاد؛ أترجم نكات بوب هوب إلى الفارسية، النكات التي لن يفهمها والداي بأي لغة. بالنسبة لأبي، كان بوب هوب طبعًا أكثر من مجرد كوميدي فقد كان رجلًا محترمًا يرتدي بزات فاخرة وله مظهر رائع، ويستطيع أن يكون خفيف الظل دون أن يتوتر، أظن أن أبي يتمنى سرًا لو كان هو بوب هوب.

اعتبرت أمي بروك شيلدز بثيابها الكثيرة المختلفة في كل حلقة تجسيدًا للكمال، ولم أستطع أن أفهم لمَ لم تمر بروك، التي كانت في مثل عمري، بمرحلة مراهقة محرجة، تمنيت لو كنت بروك شيلدز، وكذلك فعلت أمي.

كنا نتابع، بين الفقرات الغنائية والراقصة، الإعلاناتاللانهائية لكل الهدايا المجانية الرائعة التي لن نحصل عليها، ونخطط لتخفيضات ما بعد عيد الميلاد، فهي الاحتفال الذي يوحد كل الأديان.

يتمنى الناس لنا خلال شهر ديسمبر باستمرار "عيدًا مجيدًا" بطريقة آلية، فإن قلنا إننا لا نحتفل بعيد الميلاد سمعنا "عيد حانوكا سعيد"

(26) - برامج تلفزيونية أمريكية.

Twitter: @ketab_n

بطريقة مبتهجة، سمنا سكروج[27] لكننا لا نحتفل بهذا أيضًا. نسأل دائمًا: إذن بم تحتفلون؟

- لاشيء.

- ما دينكم؟

- الإسلام.

هناك قليل من الأشخاص الشجعان الذي يسألون أكثر، وهم عادة من الأكاديميين أو سكان بيركلي، لكن المواطن العادي على أية حال يبتسم قائلًا: أوه، ثم يغادر.

عندما تزوجت بكاثوليكي أصبحت حاملة لبطاقة عضوية نادي عيد الميلاد، والآن في كل ديسمبر نسحب أنا وأولادي شجرة إلى منزلنا، مخلفين آثارًا من إبر الصنوبر فقد تحتاج الشجرة للعثور إلى طريقها للعودة من حيث أتت. نزين الشجرة بزينة تحتل نصف مساحة خزانتنا، ونأكل كعك عيد الميلاد الذي يساعدنا على النمو في الروح ومحيط الخصر ونقرأ قصص العيد التي تجعل أطفالي يطرحون أسئلة من مثل: لماذا لا يجلب سانتا الألعاب لبعض الأطفال في حين أنك أخبرتنا يا أمي أن كل الأطفال طيبون في سريرتهم؟

أحب الاحتفال بعيد الميلاد رغم أنني أكره أن أنظف إبر الصنوبر من كل مكان، أحب رؤية أطفالي وهم يعدون الأيام حتى يوم 25 ديسمبر، العد التنازلي الذي يصبح أصعب كل عام، أتذكر أنني حين كنت أنتظر

(27) - سكروج شخصية في مسرحية لتشارلز ديكنز بعنوان ترنيمة عيد الميلاد، وهو رجل بخيل يزدري عيد الميلاد.

Twitter: @ketab_n

النوروز لأسبوع كنت أشعر أنني أنتظره إلى الأبد، ومثلما كان أبي يؤكد لي أن النوروز على الأبواب، كنت أنا أقول لأولادي أن عيد الميلاد سيحل قبل أن يدركوا ذلك.

رغم أنني أصبحت كبيرة جدًا لأؤمن بوجود سانتا كلوز، إلا أنني في العمر المناسب لخبز كعك عيد الميلاد، فكيف سيكون العيد دون كرات البوربون وكعك الزنجبيل وحلوى الفدج؟ لست متأكدة أيها أحبه أكثر، النكهات أم الروائح لكن بكل الأحوال كلها تذكرني بحماس النوروز. تفوح من مطبخي في أيام عيد الميلاد روائح الزنجبيل والشوكولاته والقرفة. أما المطبخ قبل النوروز في طفولتي فقد كانت تفوح منه روائح الهال والفستق المحمص وماء الورد، وفي كل غرفة معيشة إيرانية كانت رائحة الخزامى تعلن قدوم النوروز وبداية الربيع. في أمريكا تملأ شجرة الميلاد منزلنا برائحة الصنوبر الواضحة، العطر الذي يرتبط لدي باحتفالات الشتاء.

بعيدًا عن حبي لعيد الميلاد أجد نفسي منهكة جدًا في نهاية شهر ديسمبر، فالعيد بعماله الأقزام وأيائله الطائرة أكثر تعقيدًا من النوروز بكثير، فبين أعمال الطبخ والتنظيف أحاول جاهدة أن أجيب أسئلة أولادي الكثيرة، وأن أشرح لهم كيف يستطيع سانتا إيصال الكثير جدًا من الهدايا في ليلة واحدة فقط، وكيف ينجح في ألا يتعثر بإنذار السرقة في بيت أحدهم، وكيف أن سانتا لا يشعر بآلام في الظهر رغم أنه رجل عجوز ويضطر لحمل الكثير من الأشياء.

في أوقات كهذه، أحن إلى الأيام الخالية البسيطة، عندما كان عيد الميلاد يعني مشاهدة بوب هوب يغني إصداره لأغنية "وايت كريسماس"، بينما نغوص أنا ووالداي في الأريكة بملابسنا الصيفية في جو نيوبورت بيتش

Twitter: @ketab_n

الدافئ.

اليوم، في كل ليلة عيد حين يكون الأولاد قد ناموا أخيرًا، والصحون قد غسلت والحطب في الموقد يلفظ أنفاسه الأخيرة، لا أستطيع منع نفسي من التفكير ببوب هوب وأتساءل إن كان يدرك أنه كان في بيت طفولتي أكبر من سانتا كلوز، فقد كان السيد هوب -على عكس الرجل ذي اللحية- يدخل المنازل كلها، ورغم أن والديّ لم يفهما أيًا من نكاته، لكني فهمتها كلها، وقد كانت مضحكة باللغتين الفارسية والإنجليزية، لذا شكرًا لك يا سيد هوب وعيدًا مجيدًا للجميع، طابت ليلتكم جميعًا.

Twitter: @ketab_n

أجري وأجري وأجري[28]

في عام 1977، كان الشاه وزوجته سيزوران أمريكا للقاء الرئيس المنتخب حديثًا جيمي كارتر. كان القليل من الإيرانيين يعيشون في أمريكا حينها، وقد دعي هؤلاء للذهاب إلى واشنطن العاصمة للترحيب بالشاه، وستتكفل الحكومة الإيرانية بكافة النفقات.

قبل أبي الدعوة، أما أخواي فقد قالا محاولين انتقاء ألفاظهما: هل أنتم مجانين؟ ألم تسمعوا عن المتظاهرين ضد الشاه، سيضربونكم بلا شك، لا تذهبوا.

لم يفهم أخواي إغراء عبارة"رحلة مدفوعة التكاليف" تمامًا.

بعد أسابيع، كنا أنا ووالداي متحمسين لزيارتنا الأولى لعاصمة البلاد، ونحن نشرب عصير البرتقال الطازج في مقاعد الدرجة الأولى. كان يفترض بنا، خلال إقامتنا لثلاث ليالٍ، أن نحضر فعاليتي ترحيب بالشاه، أما باقي الوقت فقد كان ملكًا لنا. وعدني أبي أن يأخذني إلى متحف واحد على الأقل، وتحمست أمي لرؤية المواقع المشهورة.

وصلنا إلى بهو الفندق الذي سنقيم فيه لنجده مزدحمًا بالإيرانيين، ولكونهما لم يعتادا رؤيةالكثير من مواطنيهم في مكان واحد بدأ والداي بالاختلاط بحماس، ليتعرفوا على أصدقاء لأصدقائهم وليتذكروا زملاء منسيين منذ زمن، وحين اتجهنا للعثور على غرفتنا شعرنا كما لوأننا مجموعة من الأطفال في رحلة ميدانية.

---

(28) - العنوان بالإنجليزية: I ran I ran ، ليكون لها معنى مزدوج إيران (البلاد) والجملة المؤلفة من الفاعل أنا والفعل ركضت باللغة الإنجليزية.

Twitter: @ketab_n

كانت سلة الفاكهة ستبدو لفتة لطيفة، لكن بدلًا عنها وجدنا منشورًا ترك تحت الباب يقول:

"أحبائي المغرر بهم

لستم سوى دمى في يد الشاه الفاسد، وسنلقنكم درسًا لن تنسوه. الموت للشاه. الموت لكم".

جعد أبي المنشور ورماه بعيدًا قائلًا: لنرَ ما الذي سيقدمونه في بوفيه العشاء.

اصطفت ست حافلات في اليوم التالي أمام الفندق لتأخذنا إلى حديقة مقابلة للبيت الأبيض، وقدمت لنا أعلام إيرانية لنلوح بها عند وصول الشاه، وقبل أن نغادر بلحظات صعد أحدهم إلى حافلتنا وقدم نفسه على أنه محامٍ يعمل لدى الحكومة الإيرانية وقال لنا: إن هاجمكم أحد، فحاولوا من فضلكم التقاط صورة له، فسيكون هذا مساعدًا جدًا.

وصلنا إلى البيت الأبيض لنجد مجموعة من المتظاهرين المقنعين يحملون لافتات تندد بالشاه وحكومته، فقال لي أبي مؤكدًا: لا تقلقي، إنهم على الطرف الآخر من الشارع.

مقابل المتظاهرين بنيت منصة لمؤيدي الشاه، وكان المتحدثون يتبادلون الأدوار لإلقاء الخطابات حول أمجاد إيران، وقد كنت سعيدة حين وجدت الحديقة قد بذرت بأعلام إيران الصغيرة، وطلبت من والديّ أن يساعداني في العثور على ثلاثين منها قائلة إنني سأسلمها للآنسة كروكيت في حصة الدراسات الاجتماعية.

اتجهنا أمي وأنا إلى آخر الحديقة، بينما ذهب أبي إلى الأمام للبحث

Twitter: @ketab_n

عن مزيد من الأعلام، وبعد دقائق قليلة سمعت أبي يقول: انظرا كم وجدت منها. كان يحمل غنيمته غير أن صوته قد غطاه صوت واحد وعشرين طلقة تحية تعلن وصول ليموزين الشاه، وبدأ الناس بالتهليل لكن ذلك لم يكن مبهجًا تمامًا. لقد قطع المتظاهرون الطريق، وكانوا يندفعون نحونا ملوحين بالعصي المدقوقة بالمسامير، وكان الناس يجرون ويصرخون. وغطت الدماء والإيرانيين الجرحى الحديقة بدلًا من الأعلام، وأخذنا أنا ووالداي نجري ونجري ونجري.

عثرنا على حافلة فارغة فصعدنا إليها غير مكترثين بوجهتها.

آسف يا جماعة، قال سائق الحافلة متشدقًا: عليكم جميعًا أن تنزلوا من هذه الحافلة لأنها خارج الخدمة وأنا في استراحة.

عثرنا على رجل شرطة عبر الشارع يمتطي حصانًا، فقلت له: عفوًا، نخشى أن نتعرض للضرب، هل يمكنك أن تأخذنا إلى الفندق؟

ربما انضم هذا الرجل إلى قوى الشرطة بسبب الزي الأنيق أو أنه أراد وظيفة تتيح له ركوب الخيل. نظر إلينا وقال: آسف، هذا ليس عملي.

عثرنا على حافلة أخرى، فصعدنا إليها على الفور، سألنا السائق: هل تحملون تذاكر؟

- ما قيمتها؟

دفعنا واحدًا وعشرين دولارًا وجلسنا في مقاعدنا عندما بدأت الحافلة بالتحرك، لم يكن لدينا أدنى فكرة عن وجهتنا. سمعنا صوتًا مسجلًا:

محطتنا التالية ستكون نصب إبراهام لينكولن الذي بني تكريمًا للرئيس السادس عشر للولايات المتحدة. سترون على الجدار الشمالي لهذا

Twitter: @ketab_n

النصب المهيب كلمات من خطاب جيتسبيرغ[29]: "قبل سبع وثمانين عامًا جلب آباؤنا...."

ثلاث ساعات وأربع معالم تاريخية وسيارة أجرة واحدة لاحقًا ثم وصلنا الفندق، كان البهو مزدحمًا بالناجين المضمدين الذي يتبادلون القصص المخيفة، وعند رؤيته لكل هؤلاء الجرحي، عاد أبي ليطلب من أمي ألا تذكر أننا كنا في جولة سياحية: سيكون من المعيب أننا كنا نقضي وقتًا ممتعًا في حين كان الآخرين يتألمون، وقبل أن أقول لأبي إن الجولة لم تكن ممتعة، بادر صديق كانت ذراعه مضمدة أبي بالكلام قائلًا: أين كنتم أنتم الثلاثة كل هذا الوقت؟كنا سنبدأ الاتصال بالمستشفيات. تنهد أبي وقال: حسن، كان علينا أن نمشي.

ومثل قصة مكتوبة على شكل أجزاء وجدنا منشورًا آخر ينتظرنا في غرفتنا:

أعزائي المغرر بهم الجبناء

سنقضي عليكم

لم يعد تصور بوفيه العشاء كافيًا لإبقائنا في العاصمة، وأعلن أبي: انتهى الأمر، سنغادر.

بعد ست ساعات وجدنا أنفسنا في الدرجة السياحية في طائرة مزدحمة ونجلس في ثلاثة صفوف مختلفة، لكننا كنا نشعر بالحماس للعودة إلى البيت.

استدار أبي إليّ حينما أقلعت الطائرة وصاح من على بعد أربعة صفوف

(29) - خطاب جيتسبيرغ: ألقاه لنكولن أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، ويعد من أكثر الخطابات شهرة.

Twitter: @ketab_n

أمامي: لم يكن الأمر بهذا السوء يا فيروزة، تعرفين كم تحبين الأماكن التاريخية، حسن لقد رأينا مجموعة منها. ثم تابع قائلًا: إلا أنني نادم على أمر واحد.

فصحت : وما هو؟

- لم يكن علي ترك كل الأعلام، أنا واثق أنه كان لدي ما يكفي طلاب صفك كلهم.

- لا بأس، يمكننا العودة دومًا.

Twitter: @ketab_n

الإيرانيون لا يمكنهم التقديم

بدا أبي في عمر السابعة عشر بالعمل لدى الشركة الوطنية الإيرانية للنفط كموظف طالب، وقد تمكن من الصعود في السلم الوظيفي ليصبح في النهاية مدير مشروع أول. وقد أوصلتنا تجربة حياته مع مصافي النفط إلى أمريكا، حيث عمل كممثل لشركة النفط الوطنية الإيرانية، مشرفًا على العقود الأمريكية لبناء مصفاة نفط في أصفهان، وبعد ثلاثين عامًا من العمل مع الشركة نفسها لم يخامر أبي الشك حول أمانه المستقبلي.

ولكن بقيام الثورة الإيرانية، انقلب عالم أبي رأسًا على عقب، فقد أوقف بناء المزيد من مصافي النفط في إيران وبين عشية وضحاها استغنوا عن خبرة أبي، ورغم أن شركة النفط الوطنية الإيرانية قد عرضت عليه مناصب أخرى في إيران إلا أن أيًا منها لم يكن في دائرة اهتمامه. طلب أبي بكثير من التردد أن يحصل على التقاعد المبكر وكان له ما أراد على مضض.كان أبي واثقًا لما يملك من إمكانات أنه سيعثر على عمل في الولايات المتحدة.

وجد أبي عملًا خلال أسبوعين كمهندس في شركة أمريكية، وفي الوقت الذي كان يستقر فيه في عمله الجديد، احتجزت مجموعة من الأمريكيين في طهران كرهائن في السفارة الأمريكية، فسُرح أبي من عمله.

كنا نجلس كل مساء أمام التلفاز لنشاهد الأخبار ونتابع التطورات في قضية الرهائن، وانتظرنا لأربعمئة وأربع وأربعين ليلة. كانت الكراهية الصريحة تكبر لدى كثير من الأمريكيين في كل يوم يمر، ولم تكن الكراهية موجهة لمختطفي الرهائن فقط بل لكل الإيرانيين، ولم تقدم

Twitter: @ketab_n

وسائل الإعلام مساعدة. فتحنا الجريدة المحلية يومًا لنقرأ العنوان الصادم: إيراني يسطو على محل بقالة. هناك الصالح والسيء في إيران كما في أي بلد آخر، ولكن بدا الأمر كما لو أن كل وضيع صادف أن يكون إيرانيًا حصل الآن على دقائق الشهرة الخمس عشرة.

بدأ البائعون ببيع الكثير من القمصان والملصقات التي تقول:أيها الإيرانيون، عودوا إلى بلادكم و مطلوب إيرانيون للتدرب على الرماية. تزايدت الجرائم تجاه الإيرانيين، يسمع الناس لكنة أمي الثقيلة فيسألوننا من أين أنتم؟، ولم يكونوا يبحثون عن وصفة ورق العنب المحشو طبعًا. أصبح الكثير من الإيرانيين فجأة أتراكًا أو روس أو فرنسيين.

مازادمنالقلقالجمعيللعائلة إيقاف راتب أبي التقاعدي من إيران، ، فقد أبلغته الحكومة الإيرانية أنه من الآن فصاعدًا إن أراد ان يحصل على راتبه التقاعدي المكتسب بمشقة، فعليه أن يذهب إلى إيران كي يستلمه بنفسه، والأسوأ من ذلك أن قيمة الراتب قد هبطت إلى أدنى مستوياتها بسبب الاضطرابات في إيران.

وجد أبي نفسه في عمر الثامنة والخمسين عاطلًا عن العمل وبلا آمال، فلم يكن أحد راغبًا بتوظيف إيراني، عاد أبي إلى إيران لبيع ممتلكاته، وتمكن خلال ثلاثة أسابيع من بيع بيتنا بعشر ثمنه سابقًا، واشترى زميله سجاداتنا الفارسية الكبيرة الأربع عشرة بمبلغ 1300 دولار، وباع واحدة منها بمبلغ 15000 دولار بعد أشهر قليلة.

كانت المفارقة الأكبر ربما في موجة كراهية الإيرانيين تكمن في أن الإيرانيين كجماعة من بين المهاجرين الأعلى تعليمًا والأكثر نجاحًا في هذا البلد، فقد جعلت أخلاق العمل والشغف به منا مواطنين مثاليين تقريبًا. لم يسألنا أحد عن رأينا إن كنا نرى وجوب احتجاز الرهائن، ومع

Twitter: @ketab_n

ذلك كان كل إيراني في أمريكا يدفع الثمن، كما لو أن ولدًا واحدًا يبصق فيعاقب الصف بأكمله.

بالنسبة لأبي كان أن يعامل على أنه مواطن من الدرجة الثانية أمرًا صاعقًا فعلًا، فإن أرادوا تصميم ملصق للمهاجرين فسيكون كاظم الاختيار الأمثل، والدليل على ذلك شغفه بالتصويت.

حين أصبحت مواطنة أمريكية في الجامعة، استدعاني أبي ليسألني إن كنت سأصوت في الانتخابات القادمة، فقلت: إن كان لدي وقت. عندها قال لي أنني ربما لا أستحق أن أكون مواطنة، فأي مهاجر يأتي إلى هذه البلاد ويصبح مواطنًا ولا يصوت عليه فقط العودة من حيث أتى بحسب رأيه.

قلت له محاصرة إياه: ماذا عن الأمريكين المولودين هنا ولا يذهبون للتصويت؟ فأجابني: لا بد أن يرسلوا لستة أشهر إلى بلاد لا تعرف الديمقراطية، عندها سيصوتون.

أخبرت أبي أن برنامج "اشحنوهم خارجًا" لم يبد ديمقراطيًا جدًا بالنسبة لي، وأنه ربما من ضمن الحريات في هذا البلد حرية أن تكون لا ماليًا.

ألح علي، وصوتّ.

لكن تلك لم تكن النهاية، إذ يتصل بي أبي بعد كل اقتراع ليسألني لمن منحت صوتي، وبعد عدة مكالمات هاتفية أدركنا أن اختياراتنا يلغي أحدها الآخر ببساطة، كنا نقف على جانبين مختلفين في كل القضايا، وتعلمت حينها ألا أكشف خياراتي لأبي وبدلًا من ذلك كنت أذكره بأن العملية الانتخابية عملية سرية، ولهذا يضعون مقصورات بدلًا من، أن

Twitter: @ketab_n

يرفع الناس أيديهم مثلًا في قاعة تصويت عامة ليخبرهم شخص مثل أبي أنهم مخطئون.

يقول أبي بسخط دومًا: حسن، أنت تصوتين دومًا للأشخاص الخطأ، الحمدلله أن أمك ليست مثلك.

أما مراسم اقتراع أمي فحكاية أخرى تمامًا. فهي، مثل معظم الأمريكيين، لا تدرك تمامًا النظام السياسي الأمريكي. أنا واثقة أن الأمريكي العادي يسهل عليه تسمية أزواج إليزابيث تايلور السابقين أكثر من، تسمية أعضاء مجلس الشيوخ مثلًا، ولتصبح الأمور أكثر تعقيدًا لم تكن أمي تتقن الإنجليزية بما يكفي لتعرف أكثر، وهنا يأتي دور أبي.

يجلس أبي على الأريكة، حالما يستلم كتيب التصويت عبر البريد، حاملًا قلمًا بيده ويقرؤه من الغلاف إلى الغلاف، فيضع خطوطًا ودوائر ويكتب في الهوامش. إن لم يكن يعرف كيف يصوت لمسألة ما فإنه يبحث عن دليل من رجال الشرطة أو الإطفاء، ففي عالم أبي يرتدي هؤلاء قبعات رعاة بقر بيضاء. إذا كانت نقابة رجال الإطفاء المحلية ترى أن رفع الضرائب لبناء صالات للرقص النقري أمر جيد، فسيكون الأمر جيدًا بالنسبة لأبي أيضًا.

حين يقرر أبي بمَ سيصوت لكل القضايا، يمارس عندها الديمقراطية برشة من الاستبداد لإحداث توازن جيد، فيقول لأمي إن عليها التصويت، ونادرًا ما تناقش أمي خيارات أبي، وعندما تفعل يجيبها بواحد من آرائه النمطية: كل من يمتلك عقلًا يقول إن عليك التصويت بلا. (يحدث أنني صوتّ بنعم)

في عام 1980 ورغم إخلاص أبي الثابت للعدالة والحرية، كان ما

Twitter: @ketab_n

يزال أجنبيًا بلكنة اقترنت بعد الثورة الإيرانية بأمور سيئة، فقد عومل كشخص عليه أن يحزم أمتعته ويعود، ولكن إلى أين؟

عاد كاظم إلى أمريكا بعد أن باع ممتلكاته في إيران، وبدأ ثانية بالبحث عن عمل. الآن لم يعد يتقدم بطلب التوظيف لشركات أمريكية، وتقدم في النهاية إلى شركة نفط كبيرة في المملكة العربية السعودية، وكان هذا يعني الانتقال إلى مكان آخر لكن لم يكن أمامنا خيار سواه. أوقف والداي كل بطاقاتنا الائتمانية وأخذت مدخراتنا المتواضعة بالنفاد بسرعة. بعد أسبوع من المقابلات والمفاوضات عرض عليه منصب مدير تنفيذي وجهز العقد للتوقيع. كان أبي مفعمًا بالأمل للمرة الأولى منذ تسريحه، وقبل توقيع الأوراق النهائية طلب المحامي جواز سفره باعتباره من الوثائق المطلوبة للعمل خارجًا. عند رؤية الجواز الإيراني شحب وجه المحامي وقال: أنا آسف جدًا، لكن حكومة المملكة لا تقبل الإيرانيين في هذا الوقت، كنا نظنك عربيًا.

استأنف أبي بحثه عن العمل، وقد عثر على إعلان في ذا وول ستريت لمنصب مدير تنفيذي مع شركة نفط نيجيرية، فقدم فورًا وعين خلال أسبوعين، وبدا هذا العمل براتبه العالي والاحتمالات غير المحدودة لتوسعه فوق تصورنا.

كانت مهمة أبي الأولى أن يذهب إلى نيوجيرسي ويفاوض على شراء مصفاة نفط بمبلغ 400 مليون دولار، وحين انتهى من ذلك أرسل إلى تكساس لشراء مصفاة أخرى، كان متحمسًا لاستخدام خبراته ثانية.

اكتشف أبي بعد عودته من مهماته أن صك الراتب الأول والوحيد قد رفض، وأبلغ أنه حدث تأخير بسيط في إرسال الأموال من نيجيريا وأن الثاني سيعوض نقص الأول، ولم يكن أمامه خيار آخر سوى مواصلة

Twitter: @ketab_n

العمل.

وصل أبي إلى المكتب بعد أيام قليلة ليجد حشدًا من الصحفيين الذين يبحثون عن معلومات حول قصة مثيرة. فيما يبدو كان مالك الشركة رجلًا قد أبعد عن الولايات المتحدة ذات مرة لكنه عاد تحت اسم وهمي، فحزم أبي أمتعته من المكتب وغادر.

أطلق سراح الرهائن أخيرًا، ولم يكن هنالك - بالإضافة لهم ولعائلاتهم- من هو أسعد من الإيرانيين الذين يعيشون في أمريكا.

عثر أبي على عمل، بعد تحريرهم بفترة قصيرة، في شركة أمريكية بمنصب كبير المهندسين، كان راتبه يبلغ نصف ما كانا يتقاضاه قبل الثورة، لكنه كان مع ذلك سعيدًا جدًا لينهض ويذهب إلى العمل كل يوم.

لم يشتك أبي أبدًا أثناء تجربته القاسية، وظل دومًا الإيراني الذي يحب بلده الأم ولكنه أيضًا يؤمن بالمبادئ الأمريكية. قال مرة إنه يشعر بالحزن لأن الناس هنا يكرهون شعبًا كاملًا ببساطة بسبب تصرفات البعض، ويا لها من خسارة أن تكره، كان يقول دومًا، يا لها من خسارة.

Twitter: @ketab_n

عن الفتيات والمال

بلغت سن المراهقة مع قيام الثورة الإيرانية والاضطرابات المالية لعائلتي على خلفيتها. أوقف والداي البطاقات الائتمانية في العمر الذي كانت فيه زميلاتي في الفصل يكتشفن محل أحذية نوردستورم، ولم يزعجني أنني لم أكن مواكبة للموضة، لكني خشيت ألا أتمكن من دخول الجامعة، كنت بحاجة لبعض الأموال.

لم تكن احتمالات العمل بالنسبة لمن هم في الرابعة عشر وردية أبدًا، لذا لجأت إلى الحل الاحتياطي القديم: مجالسة الأطفال. سرعان ما أدركت أن أجر دولار في الساعة لن يوصلني إلى أي شيء. بعض من أصدقائي الأكثر حظًا جالسوا أطفال عائلات لأقل من ساعة أو حصلوا على دولارين إضافيين، أما أنا فقد كان ينتهي بي الأمر دومًا مع أناس يصلون المنزل بعد منتصف الليل ليلة السبت ويقضون خمس عشرة دقيقة في حساب ما يدينون به لي بالضبط :خمس ساعات واثنتا عشرة دقيقة يساوي خمسة دولارات و.. ما ناتج قسمة اثني عشر على ستين؟ حوالي عشرين سنتًا أو أنها ثلاثون؟ انتظري، أنا بحاجة إلى ورقة...

وبعد أن جالست أطفال كل العائلات البخيلة في المدينة، وقعت في النهاية على موقع الكنز، فقد أخبرتني معلمة الفرنسية في مدرستي الثانوية عن عائلة باريسية انتقلت إلى هنا حديثًا وتبحث عن جليسة أطفال تتحدث الفرنسية. وعلى الرغم من أن لغتي الفرنسية في ذلك الوقت كانت محدودة بالسؤال فيما إذا كان جاك في حوض السباحة مع آن، لكني وافقت. عرفت أن العائلة لديها طفل واحد، ابنة في الثامنة من العمر وأنهم يعيشون في بيغ كانيون وهو مجمع سكني مسور يسكنه

Twitter: @ketab_n

الكثير من الأغنياء.

وصلت حاملة آمالًا عالية وقاموسًا فرنسيًا، وبعد أن أخذاني في جولة في منزلهم الكبير ورأيت تمثال بوذا البالغ ارتفاعه عشرين قدمًا، سألني الأب إن كانت خمس دولارات في الساعة تناسبني. من الواضح أن هؤلاء القوم لم يسألوا عن الأجر المعتاد لجليسات الأطفال، وإن لم ينوّرهم بوذا ذو العشرين قدمًا فمن المؤكد أنني لن أفعل.

ليس هنالك حفاضات ولا طبخ، فتاة في الثامنة من العمر فقط ستخلد إلى النوم بالتأكيد بسهولة وخمس دولارات في الساعة، كان ذلك فوق تصوري لكني كنت أعرف أنه حقيقي لأنه إن كان هناك من يستحق استراحة فهو أنا.

حالما غادر الوالدان ألقت الفتاة بنفسها إلى جانبي على الأريكة الجلدية الأنيقة وبدأت على الفور بعناقي وتمسيد شعري، ولم أرغب أن أكون فظة معها في بداية هذا العمل المربح، لذا ابتسمت لها وحاولت فك ذراعيها، وكلما حاولت إنقاذ نفسي أكثر كانت تتشبث بي بشكل أقوى، لم أكن أعلم أن الفرنسيين حنونون جدًا.

قضيت نصف ساعة في مصارعة الفتاة حين أطفئت المصابيح في غرفة المعيشةآليًا وأضيئت الخزائن الزجاجية على امتداد الجدران من الأسفل، مضيئة مجموعة إضافية من تماثيل بوذا. شعرت أنني الملك توت عدا أنني كنت على قيد الحياة ومحتجزة في ضريح مع كوالا مخبولة. برغم كل ما فعلت، لم أتمكن من إبعاد الطفلة عني، رفضت الذهاب إلى النوم ورفضت تناول العشاء كما رفضت أن تتزحزح، أدركت فجأة وأنا محاطة بثلاثين بوذا يراقبوني لمَ كان هؤلاء القوم كرماء جدًا مع جليسة الأطفال.

Twitter: @ketab_n

عندما عاد الأهل بعد ثلاث ساعات وجدا ابنتهما تشخر على الأريكة، فقد غطت في النوم أخيرًا ولم أجرؤ على تحريكها لئلا تستيقظ. من الطبيعي أن يغضب الوالدان لذلك ولكن ليس هذان. يبدو أنهما شعرا بالراحة حين هربا من ابنتهما لساعات قليلة. سلمني الأب عشرين دولارًا وسألني إن كنت متفرغة ليلة الغد، لم أعرف كيف أقول: لن أعود إلى هذا المكان الغريب ولا بأي ثمن بالفرنسية، لذا اكتفيت بالقول إن علي الدراسة لاختبار.

أقنعتني الساعات الثلاث المؤلمة في مجالسة الكائن المتشبثأن أنسحب من هذا الميدان، وقررت أن أجرب رعاية المنزل وهو مجال عمل أسهل بكثير قد يكون مربحًا، فأخبرت كل أصدقائي وجيراني ليس بتفرغي في الإجازات كلها فحسب بل بخبرتي الجيدة في رعاية النباتات أيضًا، وهذه الأخيرة لم تكن حقيقية كليًا لأنني لا أملك نبتة ولم أعتن بواحدة من قبل، ولكني افترضت أنه إذا كانت التربة جافة يجب ريّها.

كان عملي الأول سقاية النباتات الداخلية التي تملكها عائلة على بعد بضعة شوارع من بيتنا، كنت أقود دراجتي إلى منزلهم في صباح الاثنين قبل الذهاب إلى المدرسة وأبدأ بري كل النباتات حسب تعليماتهم تمامًا. فجأة سمعت موسيقى تنبعث من إحدى غرف النوم في الطابق العلوي، فتجمدت في مكاني، وقفت حاملة المرش بيدي غير قادرة على الصراخ أو الحركة. بعد عدة دقائق وضعت المرش أرضًا وخرجت على أطراف أصابعي ببطء من المطبخ وهربت من الباب الأمامي، واستطعت بالكاد ركوب دراجتي للعودة إلى المنزل وأنا أرتعد.

كان أبي في إيران يحاول بيع ممتلكاتنا وعرفت أن أمي لن تكون مساعدة لي، فكرت بالاتصال بالشرطة، ولكن من أين لي أن أعرف

Twitter: @ketab_n

إن كان قد سرق شيء ما؟ بالإضافة إلى أنني لم أعرف كيف سأتصل بالعائلة، فقررت ألا أفعل شيئًا. خطر لي بعد أيام قليلة أن كل نبتاتهم قد ذبلت، فقررت بعد أن استحوذ علي الشعور بالذنب أن أجازف بحياتي وأدخل المنزل ثانية. قدت دراجتي إلى منزلهم حاملة محراك مدفأتنا، وحينما فتحت الباب الأمامي صحت: ابق هذا الكلب خارجًا يا أبي، لا أريده أن يعض أحدًا، أنت تعرف كم هو لئيم.

جريت داخل المنزل وصببت الماء على كل النبتات بأسرع ما أستطيع حتى تلك النبتات التي كانت التعليمات تنص على سقايتها "برذاذ خفيف"، وواصلت حديثي مع أبي المتخيل فصرخت: أمسكه من لجامه.

حين عادت العائلة بعد أيام قليلة أخبرتهم أنه ليس عليهم أن يدفعوا لي، فقد جئت إلى المنزل مرتين فقط لأنه ربما كان هناك لص في منزلهم الاثنين الماضي يستمع إلى الموسيقى في غرفة النوم بالأعلى.

سألت الزوجة: متى كنت هنا؟

- السابعة وخمس عشرة دقيقة صباحًا.

فردت: لقد سمعت ساعة المذياع. دفعت لي المبلغ كاملًا لكنها لم تطلب مني أن أرعى منزلها ثانية.

بعد ذلك بوقت قصير طلبت مني عائلة أن أرعى قططها لعشرة أيام، لم يسبق لي أن امتلكت حيوانًا أليفًا عدا السمكة الذهبية التي نشتريها كل عام في السنة الفارسية الجديدة، لكني قبلت العمل.

كان لديهم أربع قطط كاتشب و ماسترد (خردل) ومايو (مايونيز)

Twitter: @ketab_n

وريليش (مخلل)، كان علي أن أدرك ألا أتعامل مع أناس يسمون قططهم بأسماء المنكهات، لكن الفطنة سمة مكتسبة.

قدت دراجتي إلى منزلهم في يومي الأول وفعلت كل ما طلبوه مني، فقد أفرغت الصندوق الصغير وفتحت علب طعام القطط التنة ووضعت مغرفتين من الطعام الجاف وملأت إناء الماء. لم ألعب لأن مثل كل المنازل التي تجتاحها القطط لم يكن هذا محرضًا للحواس. لاحظت بينما كنت أغادر أن الباب المؤدي إلى الفناء مفتوح على مصراعيه، فأغلقته وأقفلته.

عدت في الصباح التالي وكررت الروتين نفسه، وكانت القطط تموء أكثر من البارحة بشكل ملحوظ، فظننت أنها كانت جائعة. أصبح مواؤها أعلى في اليوم التالي كما أنها كانت تصرخ بشكل متقطع.

كانت صرخاتها المتقطعة في اليوم الذي يليه مصحوبة بقفز على الأثاث، فظننت أنني لو لعبت معها ربما تهدأ قليلًا، لكن المشكلة كانت أنني كلما اقترب من إحداها فإنها تقوس ظهرها وتزمجر. لم يسبق لسمكتي الذهبية أن فعلت ذلك، لكني مع ذلك كنت قادرة على فهم الرمز العالمي الذي يعني:سأقتلع عينيك.

أمضت هذه السنوريات المرحة اليوم العاشر وهي تدور في أنحاء المنزل تصرخ وتخدش، فأوعزت سلوكها الغريب إلى غياب أصحابها اللطيفين.

اتصل بي مالكو القطط تلك الليلة وصرخت بي الأم: لماذا أغلقت باب الفناء؟

- أغلقته لأنه كان مفتوحًا.

Twitter: @ketab_n

- وكيف تتوقعين أن تتمكن القطط من التمرن؟

- لكني ظننتها قططًا منزلية.

- الفناء هو ملعبها، ألم تلاحظي سلوكها؟ لقد دمرت قططي ذهنيًا!

- لست مضطرة للدفع لي.

دفعت لي لكنها لم تطلب مني رعاية منزلها ثانية.

حصلت على العمل التالي بفضل صديقتي كريس، التي أخبرتني أن أحد جيرانها الأثرياء الذي صادف أنها أم أحد مصممي الأزياء المشهورين، كانت تبحث عمن ينظف لها أدواتها الفضية، وكانت تدفع ستة دولارات في الساعة. كما أخبرتني كريس أن هذه المرأة التي سأدعوها السيدة شيبو حفظًا لخصوصيتها، أن هذه المرأة قدرت أن هذا العمل يكلف على الأقل عشرين دولارًا في الساعة.

قدت دراجتي إلى منزلها، ووصلت بسرعة عند الثامنة في صباح يوم أحد مشمس. أخذتني السيدة شيبو إلى طاولة الطعام التي وضعت عليها كومة من الأدوات الفضية مكدسة بارتفاع ثلاثة أقدام. وبالنظر إلى البقع السوداء يمكنني القول إن آخر مرة نظفت فيها هذه الأدوات كانت في الزمن الذي كان الناس يستخدمون فيه الخيول والعربات للتنقل، وأعطتني دهانًا كريه الرائحة وعددًا من المناشف.

- هل لديك زوج من القفازات البلاستيكية يمكنني استخدامه؟

- لا، فقد يفسده الدهان.

لو كانت حياتي قصة فيلم كتبها شخص أكثر ذكاء مني لكنت نهضت

Twitter: @ketab_n

وذهبت إلى المنزل، ولكن ليس قبل التوقف لفترة كافية لإخبارها أن تصميمات ابنتها كانت مريعة. لكني في الواقع نهضت وأخبرتها أنني ذاهبة إلى المنزل لجلب زوج من القفازات.

قدت دراجتي إلى المنزل بسرعة وعدت حاملة قفازات أمي لغسل الأواني. بدأت العمل ودون أخذ استراحة فركت بشدة باذلة جهدي ألا أستنشق الأبخرة الضارة، نظفت كل جزء من كل شوكة وملعقة وسكين وطبق جبن وملعقة الشاي المثلج وسكين تقطيع وشوكة لتناول المحار، ناهيك عن القطع التي حيرتني استخداماتها تمامًا. ورتبت كل القطع المتشابهة وأخبرتها أنني انتهيت.

لا أصدق أنك انتهيت،صاحت وهي تحدق بالقطع اللامعة، اعتدت سماع ذلك من معلماتي في المدرسة، لكني افترضت أن إعلان الدهشة هذا سيعني بقشيشًا ضخمًا.

قالت السيدة شيبو مخرجة لفة من الأوراق المالية: حسن، لنر، أنت هنا منذ ساعة وعشرين دقيقة لذا خذي ثمانية دولارات. فذكرتها أنها قالت إنه عمل بعشرين دولارًا. فأجابت: ليس معك يا عزيزتي، لم تستغرقي وقتًا طويلًا في ذلك.

كان علي أن أرمي بضع شوكات محار عليها، لكن بدلًا من ذلك شكرتها وقدت دراجتي إلى المنزل. كانت محقة في أمر واحد، لقد أفسد الدهان القفازات.

عرفت من خلال صديقتي مارلين أن دار السينما المحلية كانت تبحث عن مساعدة لفصل الصيف، فعينت للعمل في مقصورة الوجبات حيث كنت مسؤلة عن بيع كل أنواع الأطعمة التي لا بد أن تقدم معها قسطرة

Twitter: @ketab_n

شريانية مجانًا.

كان البوشار يباع بأربعة أحجام صغير ومتوسط وكبير وكبير جدًا. خلال فصل الصيف طلب ثلاثة أشخاص فقط الحجم الصغير من البوشار، كانوا أوروبيين ويبدو أنهم جاؤوا لمشاهدة الفيلم. كان أغلب الزبائن يشترون الحجم الكبير جدًا الذي كانت علبته تصل إلى حجم مغطس طفل رضيع. كانت الطلبات نفسها دومًا: ضعي الزبدة في الأسفل وفي الوسط وفي الأعلى من فضلك، ولا تتركي بقعة جافة. لم أر أحدًا يستهلك هذا القدر من الطعام حتى أقاربي حين ينهون صيام شهر رمضان الكريم.

كان بهو الصالة مليئًا بملصقات تقول إن الزبدة التي نستخدمها حقيقة، اقترحت على مديري بالنظر إلى حجم مبيعاتنا النشطة من البوشار أننا قد نتمكن من تحسين مبيعات النقانق بحملة مماثلة "نقاقنا معدّة من أمعاء حقيقية"، لكن أفكاري رفضت تمامًا مثلما رفضت أفكار جاليليو.

كان الشراب الأكثر رواجًا ذلك الصيف هو تاب، وهو صودا بلا سكر طعمه كطعم القصدير السائل، ولسوء الحظ كانت آلة شراب التاب معطلة دومًا ولم نكن نقدم مشروبات أخرى للحمية. فبعد تحضير بوشار من الحجم الكبير جدًا وبكمية إضافية من الزبدة يطلب معظم الزبائن شراب التاب بالحجم الكبير، وهنا تسوء الأمور؛ فيصرخون بي: ماذا؟ الآلة معطلة؟ ثم يطلبون رؤية المدير كما لو أن الآلة ستعمل من خلال الإلحاح فقط. ويحرضني دافع ما على تنويرهم: انظروا، إنكم على وشك استهلاك ألف سعرة حرارية من الدهون لذا فإن مشروب الحمية لن يكون ذا تأثير كبير، هل يمكنني أن أقترح عليكم تناول بعض الأمعاء؟

علمني هذا الصيف في دار السينما أمرًا واحدًا: علي أن أبحث عن عمل

Twitter: @ketab_n

بأجر جيد، ويفضل ألا يكون عملًا في بيع العناب. عملت في سلسلة من الأعمال بعدها لكن أيًا منها لم يكن بأجر جيد، ولم تكن جهودي في ادخار الأموال مثمرة جدًا.

كان أبي يقول لي باستمرار وهو يراني أحاول أحاول ادخار المال كم كان يشعر بالأسى لعجزه عن مساعدتي في دفع تكاليف الجامعة. كان يمضي أيامه في التألم من عجزه عن توقع الثورة والانهيار الاقتصادي الناتج عنها، وأصبحت لازمته: كان علي بيع كل شيء وجلب المال إلى أمريكا منذ وقت طويل.

حين اقترب وقت دخولي الجامعة عثرت على موهبة بدلًا من بيع البوشار أو تلميع الأدوات الفضية. بدأت بكتابة مقالات للحصول على منحة دراسية، كتبت المقال تلو الآخر عن حياتي وأحلامي وأهدافي، كتبت عن التطوع للعمل كمهرجة في مستشفى للأطفال، كتبت عن كوني مترجمة لأمي، وعن رغبتي في دخول الجامعة منذ أن كنت طفلة صغيرة، وكتبت عن عمتي صديقة التي كان يجب أن تدخل الجامعة لكن بدلًا من ذلك كان عليها أن تتزوج في عمر الرابعة عشر.

بدأت الأموال تنهمر.

Twitter: @ketab_n

اسمي نويل

ذهبت صباح ذات أحد أثناء سنوات دراستي الثانوية إلى جامعة كاليفورنيا في إيرفين للمشاركة في مسابقة للخطابة الارتجالية برعاية إيليانس فرانسي وهي مدرسة للغة الفرنسية. أعطينا أنا وعدد من طلاب الجامعة والثانوية ساعة واحدة لتحضير خطاب بالفرنسية بعنوان المسؤولية في التقنية، وكانت الجائزة الأولى قضاء شهرين في إيليانس فرانسي في باريس.

كنت أدرس الفرنسية منذ الصف السابع، وتحت رعاية معلمتي في الثانوية السيدة بولينغارن، التي تدعى لو بولك بحنان، أصبحت طليقة اللسان تمامًا. يسألني زملائي في الثانوية كيف تمكنت من تعلم اللغة بسرعة، وكنت أقول لهم دومًا إن ذلك له علاقة بعجزي عن القيام بحركة العجلة أو رمي كرة السلة أو التحرك بالمزلجة. عوضني الله بطريقة ما.

تعين على كل المتسابقين، ليتأهلوا للمسابقة، أن يوقعوا على تصريح يفيد أنهم لم يقضوا أكثر من أسبوعين في بلد ناطق بالفرنسية وأنها لم تكن اللغة الأم لأهلهم. كانت فرنسية والديّ محدودة بعدد من الكلمات التي تسللت إلى الفارسية مثل ميني جيب (التنورة القصيرة) بيجودي (لفافات الشعر) أباجور(المصباح الجانبي) وكوب دي أتات (انقلاب). كانت الكلمة الفرنسية الأكثر استخدامًا في إيران هي كلمة شيك(أنيق) الكلمة التي تصف بدقة ما لم نكنه.

كانت اللغة الوحيدة المسموعة في منزلنا بالإضافة إلى الفارسية هي الشوشترية وهي نسخة من اللغة الفارسية القديمة يتحدثها أبي وعائلته، الذين تعود أصولهم إلى مدينة تاريخية تدعى شوشتر في جنوب إيران.

Twitter: @ketab_n

قبل حوالي 1750 سنة قاد الملك شابور الأول الفرس في قتال ضد الإمبراطور الروماني فاليريان، وبعد أن انتصر الفرس بالمعركة أسروا المهندسين الرومان واقتادوهم إلى شوشتر ليبنوا لهم السدود والنواعير والقنوات الاصطناعية ونظامًا للسقاية ما يزال معظمه يعمل حتى اليوم. لو تسنى لوالت ديزني رؤية شوشتر مرة لكان قد ابتكر "آنشينت لاند" لتنضم إلى فورنتير لاند وفانتازي لاند.

تعكس اللغة الشوشترية، بغزارة رموزها الحيوانية والنباتية، الحياة الزراعية البسيطة لساكنيها، فالكثير من الألفاظ التي توجد في الشوشترية لا توجد في الفارسية مثلًا (بشكل) التي تعني روث الحيوانات المدوّر كروث الماعز والخراف. وعندما يبدو شخصان متشابهين تصفهما عمتي صديقة بأنهما مثل نصفي بشكل. وتستخدم عمتي فاطمة للتعبير عن شيء قيّم في الحياة مثلًا شوشتريًا يقول: أي هدية من صديق حقيقي هي ذات قيمة حتى وإن كانت قشرة جوز فارغة.

ومن العدل القول إن الشوشترية المنسابة في منزلي لم تمنحني أي لمحة عن اللغة الفرنسية، بل علمتني أن الناس يتحدثون بصوت أعلى ويضحكون أكثر بلغتهم الأم، كما أثبت لي أبي وإخوته. كما أنها دربت أذني عليالكنات وورطتني في النهاية بالمتاعب.

رغم أنني كنت أصغر المشاركين في مسابقة الخطاب الارتجالي، إلا أنني حزت المرتبة الأولى، وقوبل هذا بالشك لأسباب أجهلها. فيما يبدو ظن البعض أن لكنتي الباريسية كانت حقيقية جدًا على أن أكون أجنبية، وقرر اثنان من لجنة التحكيم، مستلهمين ألمعيتهم من المفتش

Twitter: @ketab_n

كلوزو[30] ربما، أن يجريا بعض التحقيقات.

بدأ والداي بعد المسابقة بتلقي مكالمات هاتفية باللغة الفرنسية، وقد أصبحت جزءًا منتظمًا من حياتنا نوعًا ما رغم أنه غير مبرر؛ يرن الهاتف ويرد أبي أو أمي قائلين: انتظر انتظر من فضلك... فيروزة. فألتقط السماعة لأجد أحدًا من إيليانس فرانسي يطرح سؤالًا أو تعليقًا تافهًا.

- أود التأكد من تهجئة اسم عائلتك.

- أود تهنئتك بشكل شخصي.

- هل قرأت شيئًا لكامو؟ إنه كاتب رائع.

جعلت هذه المكالمات الفرنسية والديّ المتوترين أساسًا أكثر قلقًا، فيسألاني دومًا: لماذا يواصلون التحدث إلينا بالفرنسية إن كانوا يعرفون أننا لا نتحدثها؟ لم يكن لدي جواب، فافترضت فقط أنهم ينسون ذلك، وعبرت أمي عن رأيها أخيرًا قائلة: لا أحد يفهم إنجليزيتهم، وهم يعرفون ذلك.

بعد عيد ميلادي السابع عشر بأسبوعين، كنت في الطائرة متجهة إلى باريس. كان من المفترض أن أصل قبل يومين من العيد الوطني للثورة الفرنسية "يوم الباستيل". لم أكن متحمسة إلى هذا الحد من قبل في حياتي كلها، وكنت أتحرق شوقًا للقاء عائلتي المضيفة، ولتناول خبز الباجيت الحقيقي، ولإقامة صداقات مع الفرنسيين، كان هذا سيصبح أفضل صيف في حياتي، صيفًا قد يخطر للمرء أن يصنع فيلمًا عنه. حالما

(30) - شخصية المفتش في سلسلة النمر الوردي، جسدها في معظم أفلام السلسلة الممثل البريطاني بيتر سيلرز.

Twitter: @ketab_n

وطئت قدمي أرض مطار باريس قبض علي رجلا شرطة.

لم أكن أعلم أن السفر بجواز إيراني قد يمنحني معاملة خاصة. وجد هذان الرجلان أنه من الغريب، بعد ثلاث سنوات من الثورة، أن تسافر فتاة إيرانية في السابعة عشر من عمرها وحدها وتبقى في باريس مدة شهرين. فرويتلهم في غرفة صغيرة بلا نوافذ بأسلوب كاليفورنيا الجنوبية المرح قصة المسابقة وفوزي ومدى لهفتي لرؤية اللوفر والذهاب إلى المقاهي وتناول الكريب على ناصية الشارع.

فسألاني: ألا تعرفين أحدًا في باريس؟ هل أعطاك أحدهم أي مواد لتوزيعها؟ كيف تستطيعين التحدث بالفرنسية بهذه الطلاقة وأنت مجرد طالبة تعلم الفرنسية؟

من الواضح أن هؤلاء القوم يظنون حياتي أكثر إثارة مما هي عليه. بعد الإجابة على كل أسئلتهم كان علي أن أعاني في رحلة البحث عن أمتعتي، كانت حقيبة ثيابي، التي لها حجم تابوت تقريبًا، استعارة من عمتي صديقة، كانت قد استخدمت في السابق لنقل سجادتين فارسيتين كبيرتين وطقم سماور كامل من إيران.

بدأ رجلا الشرطة بتفتيش ملابسي والهدايا الكثيرة التي جلبتها لعائلتي المضيفة، وحين وصلا إلى دمية ميني ماوس المحشوة وجدا أنهما اكتفيا فأغلقا حقيبتي وتمنيا لي بأدب إقامة سعيدة.

بعد لقائي باللجنة المرحبة، بحثت في المطار عن شخص يحمل لافتة كتب عليها اسمي، وحين وجدتها رحبت بي قائلة: أين كنت؟ فشرحت لها أنني كنت إيرانية والأمور تستغرق وقتًا أطول بالنسبة لنا.

قبل قدومي إلى باريس راسلت العائلة المضيفة مرة واحدة، لأحدد

Twitter: @ketab_n

نوع الهدايا التي سأجلبها بشكل رئيس. كان ميشيل وكريستين صحفيين يعملان في جريدة ليبراسيون وهي جريدة يسارية. لديهما طفلة عمرها ستة أشهر. تخيلت نفسي أمضي الليالي في نقاشات تنويرية على مائدة من الطعام الفرنسي المعد منزليًا، "مرر لي صلصة البارنيه من فضلك وأخبرني ثانية يا ميشيل ما رأيك بنتائج الثورة الصناعية على فرنسا في القرن التاسع عشر؟"

حين وصلنا أعطيتهما الهدايا: كتاب عن كاليفورنيا، ونسخة موقعة من الإصدار المحدود لصورة مدينة الألعاب في جزيرة بالبو، وقمصان من نيوبورت بيتش والبقلاوة وبسكويت الشوكولاته المعدة منزليًا ودمية ميني ماوس الكبيرة. وحين فتح مضيفاي كل الهدايا، أبلغتني لي كريستين بابتهاج أنهم مغادرون صباح اليوم التالي إلى الريف لقضاء فصل الصيف كاملًا، وأعطتني مفاتيح الشقة ودلتني على موقع أقرب متجر يعمل على مدار اليوم، عندها فعلت كما يفعل أي شخص يحترم نفسه، طلبت منهم الذهاب معهم لكن كريستين رفضت.

أصبح من الواضح لي أنه لن يكون هناك تبادل ثقافي مع هؤلاء القوم، التبادل الوحيد الذي أبديا اهتمامها به هو تبادل العملات بينهما وبين مكتب التأجير.

كانت شقة ميشيل وكريستين الصغيرة الواقعة في شارع دي توربيجو مزدحمة بالكتب والمجلات، كانت أرفف الكتب تملأ كل الغرف، من الفن الياباني إلى الأدب الروسي إلى أعمال دانتي وجويس، كانت هناك كتب حول كل الموضوعات عدا حسن الضيافة طبعًا. لو أنني لم ألتق بميشيل وكريستين وأقمت في شقتهما فقط لكنت أحببتهما.

تكدست في الحمام الصغير أعداد ثلاث سنوات من زوم وهي مجلة

Twitter: @ketab_n

صور تعرض صور الصدر بكل الوضعيات لكن بطريقة ذكية. في مادة حول اختفاء قبائل أفريقيا صُور السكان المحليون إلى جانب صف من العارضات القوقازيات عاريات الصدور يرتدين أقنعة أفريقية. وليس هناك طريقة لتصوير زهوربروفنس البرية أفضل من تلوين بعض العارضات عاريات الصدر باللون الأرجواني ووضعهن بين الزهور. كانت الإعلانات أيضًا تنهج الطريق نفسه، ففي إعلان للقهوة جلست عارضة سوداء على تل من حبوب البن وكانت العارضة وحبات البن عاريات.

خلال السنوات التي درست فيها الفرنسية، كان كل كتاب قرأته يتحدث بالتفصيل عن اليوم السعيد الذي لا ينسى المعروف بيوم الباستيل، والموكب الذي يعبر الشانزيليزيه والألعاب النارية والفرح العام والذكريات الحميمة التي يولدها هذا الحدث. أدركت حين كنت جالسة وحدي في الشقة بعد يوم من وصولي أنني سأقضي هذه العطلة الهامة وحيدة في شقة صغيرة بعيدًا عن الاحتفالات، وبما أنني لا أعرف أحدًا في باريس قررت أن أسأل حارسة المبنى لأرى إن كان لديها أي أفكار.

تكون حارسات البنايات عادة، بحسب ما جاء في الكتب التي أملكها عن الثقافة الفرنسية،سيدات كبيرات في السن يعشن وحيدات في الطابق الأرضي من البناية، وقد صُورن دائمًا بهيئة مسترقات النظر من خلف ستائر الدانتيل لرؤية الرائح والغادي من سكان البناية، يمكن للمرء أن يسأل الحارسة عن البريد أو مفتاح ضائع ولا يسألها أبدًا عن مشورة اجتماعية، لكني كنت يائسة.

قرعت الباب وسررت بترحيب نويل، امرأة بدينة مرحة في بداية الأربعينيات، شرحت لها أنني وصلت إلى باريس قادمة من كاليفورنيا،

Twitter: @ketab_n

وكنت أبحث عما يمكن فعله في يوم الباستيل. وحين سمعت كلمة كاليفورنيا ابتهجت أكثر، "كاليفورنية" قالت بحماس، ولم أرغب بإحباطها بالإشارة إلى أنني كنت "إيرانية"، لذا اكتفيت بالابتسام فقط. كانت تود معرفة إن كنت أسكن قرب هوليوود أو إن كنت أعرف بعض المشاهير، فقلت لها أنني أعيش على بعد ساعة من هوليوود ، وحول المشاهير كنت أفكر بإخبارها أن أبي ينحدر مباشرة من سلالة النبي محمد، لكني كنت أعرف أن هذا ليس ما تبحث عنه.

أخبرتني نويل أن أقابلها ليلة الغد لنذهب سويًا إلى الشانزيليزيه، وقالت إنها لا تستطيع الانتظار، وكذلك كنت أنا.

في المساء التالي ارتديت قميص هاواي وسروال جينز وحذائي الضخم الجديد من أديداس الذي اشتريته من أجل الرحلة. قرعت باب نويل، لكن المرأة التي أجابتني لم تكن تشبه الحارسة التي قابلتها الليلة الماضية في شيء.

كانت نويل متشحة بثوب أحمر منسوج ضيق أظهر امتلاءاتها الكثيرة، كانت تقويرة الرقبة الغائصة بالكاد تغطي صدرها الضخم الذي توقعت فيكلنفستستنشقهأن يظهر ويشاهد الموكب معنا.

مشينا إلى محطة المترو التي تقع على بعد ثلاث بنايات، لافتين انتباه كل رجل مخيف في مدينة الأضواء. بما أن نويل كانت تهتز وترتج خطر لي ألا نذهب إلى الموكب خاصة بعد أن حصلنا على واحد.

جلسنا أثناء رحلة المترو الطويلة محاطتين بصنف من الرجال ارتبطوا لدي بشاحنات بلا نوافذ وعليها ملصقات كثيرة تقول "إن رأيت الشاحنة تهتز فلا تجرؤ على الاقتراب". على عكسي كانت نويل مولعة بلفت

Twitter: @ketab_n

الانتباه، رغم أنها، مرحى لها، لم تتحدث إلى أي من الرجال. كانت مشغولة جدًا بسؤالي عن كاليفورنيا وعن رجال كاليفورنيا بشكل خاص، أخبرتني أنها انتقلت مؤخرًا من الريف إلى باريس بحثًا عن عريس، لكنها أصيبت بخيبة كبيرة من الرجال، فقد كانوا جميعًا متزوجين تبعًا لقولها. فوجئت لأعرف أن لديها معايير بالحد الأدنى لأن ثوبها وكعبها العالي كان يوحي أن أي شخص يمتلك طقمًا من كروموسوم X وكروموسوم Y سيفي بالغرض.

وصلنا الشانزيليزيه بعد عشر دقائق تقريبًا من بقية سكان غرب أوروبا، فدرنا نويل وأنا في محاولة للعثور على بقعة جيدة، لكن أينما ذهبنا كل ما استطعنا رؤيته هو رؤوس الناس، كنت أظن أنه ليس هناك أسوأ من تخفيضات ما بعد عيد الميلاد في نوردستروم لكني كنت مخطئة بالتأكيد.

بدأ الموكب وانتهى ولم أر شيئًا.

شققنا طريقنا نويل وأنا نحو محطة المترو بعد انتهاء الاحتفال، لنجد أن الصفوف الأربعة عشر من الناس نفسها الذين كانوا يقفون أمامنا في الموكب كانوا الآن أمامنا في صف أمام القطار. همست نويل: ليست مشكلة، لنبحث عن سيارة أجرة. كانت فكر البحث عن سيارة أجرة جيدة، لولا أن كل السائقين قد أخذوا إجازة هذه الليلة، ربما كانوا يقفون أمامنا في الموكب. وبعد أن مشينا ستة أحياء اقترحت نويل أن نمشي باقي الطريق إلى المنزل. كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

من عادتي ألا أبقى مستيقظة بعد الساعة العاشرة ليلًا، وكان هدفي أثناء المرحلة الثانوية أن أبقى مستيقظة لمشاهدة البث المباشر من برنامج ليلة السبت، ولم أفلح في ذلك أبدًا. ولم يكن والداي مضطرين للقلق حيال إمكانية تورطي بتعاطي المخدرات والكحول أثناء دراستي الجامعية

Twitter: @ketab_n

لأنني سأكون في الدورة الثالثة من نوم حركة العين السريعة في الوقت الذي تبدأ فيه الحفلات.

كما أنني أيضًا مثار تعليق أصدقائي بسبب افتقاري لحس الاتجاه ما يجعلني ضحية الاختطاف الأنسب ولا يحتاج الأمر لتغطية العينين. خذني إلى أي مكان ولن أستطيع العثور على طريق العودة، ولذا كانت المفارقة أن أجد نفسي في مدينة أجنبية أحاول جعل طريقي نحو البيت طريقة لتجاوز موعد النوم.

أمضيت الطريق كله أعقد صفقات مع الرب: إن أوصلتني إلى المنزل لن أطلب منك شيئًا بعدها أبدًا، وأثناء أحاديثي مع الله كنت أسمع نقرات كعب نويل، نوع من شفرة مورس، تقودني إلى شارع دي توربيجو، عندها لم يعد هنالك ما نقوله أو بالأحرى لم يعد لدى نويل ما تقوله أكثر عن الرجال، فلم يكن لدي ما أضيفه حول الموضوع باعتبار أنني كنت، لنقلها بلطف، متأخرة التورد ما أثار خيبتها.

بدأت المدرسة بعد أيام قليلة، وقد كانت الصفوف مثل يوم الباستيل خيبة كبرى. كان كل المدرسين في أوائل العشرين من عمرهم، ولم يبد أي منهم مهتمًا بالتعليم. ربما كانوا مستائين من كونهم عالقين في باريس في فصل الصيف، وهو الموسم الذي يخلي فيه الفرنسيون العاصمة. أمضت إحدى المدرسات الوقت كله في ملاطفة الرجال في الصف متجاهلة النساء تمامًا. وجعلتنا أخرى نترجم كلمات أغاني جاك بريل وهو مغنٍ مشهور تبدو أغانيه مناسبه للفيلم الغنائي الانتحار، أمضينا ساعات في العمل على الأغاني بينما جلست مدرستنا شاردة. لم تنصف ترجمتي الإنجليزية الأغاني، لكن مرة أخرى كان لدى المدرسة أسلوبًا في التدريس يقضي بعدم التدخل، الأسلوب الذي ترجمته بالجلوس في

Twitter: @ketab_n

الزاوية متذكرة -ربما- صيفًا قضته في مكان ما. غير أنها ساعدتنا مكرهة لمرة واحدة حين لم يكن في أي من قواميسنا مرادف لكلمة عامية تعني عاهرة، مع الاعتذار للسيد بريل أصبحت ترجمة أغنية "جيف":

لا يا جيف، لست وحيدًا

توقف عن البكاء هكذا أمام الجميع

لأن شقراء مزيفة خدعتك ثانية

لا يا جيف، لست وحيدًا

لكني أخجل من رؤيتك تبكي بلا حياء أمام الجميع

لأن عاهرة تافهة خرجت من حياتك

ثم انتقلنا إلى أغنية فرناند وهي أغنية جنائزية

التفكير بأن فرناند ميت

التفكير بأن فرناند قد مات

والتفكير بأنني الوحيد الذي بقي في الخلف

والتفكير بأنه الوحيد في الأمام

هو وكأس البيرة الأخير

أنا في ضبابي

وهو في قبره

Twitter: @ketab_n

وأنا في صحرائي

في نهاية هذه الأغنية تمكنا من تصريف الفعل يموت بكل الأزمنة.

لو أنني حظيت ببعض الصداقات أثناء دروس الفرنسية الكئيبة لكنت على الأقل أسعد بدرجات قليلة من جيف أو فرناند. لسوء الحظ، كان الطلاب في صفي أكبر مني سنًا، وكان معظمهم مهاجرين وصلوا حديثًا ويناضلون لتعلم الفرنسية، ولم يكن هؤلاء الناس يتوقون إلى العثور على المكان المفضل لدى جيرترود شتاين[31]، بل كانو يتوقون للعثور على عمل. كان الأشخاص الممتعون القليلون الذين رأيتهم سيغادورن خلال ثلاثة أيام للذهاب إلى مكان آخر، ليس هنالك - عدا بائعي سلاسل المفاتيح قرب برج إيفل- يبقى فعليًا في باريس في الصيف.

كان الجانب المشرق للشهرين اللذين أمضيتهما وحيدة أنني أصبحت أتحدث الفرنسية بطلاقة، ولأن لدي الكثير من وقت الفراغ فقد تمكنت من رؤية كل متاحف المدينة. وقد عوضت النقص الثقافي لسنواتي الستة في كاليفورنيا الجنوبية في هذا المكان.

أما الجانب المظلم لصيفي فقد كان في إدراكي أن بهجة عمر السابعة عشر - حتى في باريس- أمر مبالغ فيه، وكنت أتساءل إن كان الصيف قد أنبأني بما ستكون عليه بقية حياتي، ربما قدر لي أن أحيا وحيدة حيث لا تأتي المسرة الوحيدة من رفقة البشر بل من الكروسان، قد ينتهي بي الأمر يومًا ما بالإيمان أن كلمات جاك بريل كانت راقية.

بعد عودتي إلى كاليفورنيا بأشهر قليلة وصلتني رسالة من نويل تبلغني

(31) - ناقدة فنية وأدبية أمريكية قضت معظم حياتها في باريس وجعلت من منزلها صالونًا أدبيًا يرتاده كبار كتاب العصر وفنانيه.

Twitter: @ketab_n

فيها أنها انتقلت إلى نيو كالدونيا حيث -حسبما تقول- يبلغ معدل الرجال بالنسبة إلى النساء خمسة لواحد. تذكرت لطفها في اصطحابي إلى الشانزيليزيه في يوم الباستيل لتحقيق واحد من أحلامي. من الواضح أنها ظنتني من سكان كاليفورنيا الحقيقيين وأنني أعرف بول نيومان أو شير، لكن كي يتحقق لها حلمها بالمقابل تمنيت بإخلاص أن تلتقي بالسيد ميرفيلو ينتظرها في جزيرته الصغيرة على المحيط الهادي.

لو أراد أحدهم إعداد فيلم عن صيفي في باريس لن يكون فيلم الحياة المؤثر الذي أملت به، بل بالأحرى سيكون أبيض وأسود مليئًا باللقطات القريبة للحواجب المعقودة وفتات الكروسان، ولن يكون هنالك أغنية بل صوت أبواب المترو تفتح وتغلق مرة بعد أخرى. وفي مقابل هذه الخلفية من ارتياع المراهقة لا بد أن يكون هناك رمز، تمثيل للثقة التي تأتي مع النمو الروحي والثقافي القادم. سيكون هذا بالتأكيد مصورًا بشكل فعال بتوزيع حصيف لعارضات عاريات الصدور في الخلفية.

Twitter: @ketab_n

حفل الزفاف

بدأ زواجي بكذبة كبيرة دسمة، فقد اخبرت والديّ أن عائلة فرانسوا كانت سعيدة بخطبتنا.

كنت مضطرة لذلك، ففي الثقافة الإيرانية يوافق الأب على الزواج فقط إذا تأكد أن زوج المستقبل وأسرته يعشقون العروس، وليس هناك مجال لإغفال هذا التفصيل، فإن كان هناك مشكلة مع أسرة العريس، انس الأمر، ستفك الخطبة وننتقل إلى الخاطب التالي.

عندما بدأت مواعدة فرانسوا، صرحت أمه أنني لن يسمح لي أبدًا بوطء منزلها، كان هذا قبل أن تلتقيني.

كان لدى فرانسوا قبل اللقاء بي حبيبة دامت علاقته بها لفترة طويلة، وحسب الروايات كانت شخصًا ذكيًا ومتفوقًا لكنها كانت يهودية، فقد كان دينها يشكل معضلة إلى أن بدأ فرانسوا بمواعدتي، إذ لم تكن الحبيبة اليهودية سيئة في النهاية مقارنة بي أنا المسلمة. سألت فرانسوا مرة إن كان هناك امرأة قد يواعدها تغضب أمه أكثر مني، فقال: حسن، امراة سوداء شيوعية ثنائية الجنس ستزعجها فعلًا.

كان لوالديّ ردة فعل مختلفة كليًا تجاه فرانسوا. كانوا قد سمعوا عنه في إجازة صيف سنتي الثالثة في الجامعة، بعد ستة أشهر من لقائنا، كنا نعرف أنا وفرانسوا خلال خمسة أشهر ونصف منها أننا سنتزوج غير أننا لم نخبر أسرتينا بذلك. بالنسبة لي أخبرت أهلي ببساطة أنني ألتقي شخصًا وأريدهم أن يتعرفوا به.

كانت المواعدة مثل مسابقة الرودیو وتربية سمك التراوت مفهومًا

Twitter: @ketab_n

أجنبيًا تمامًا بالنسبة لوالديّ، فهما لم يواعدا أحدًا مثل كل إخوتهما وأخواتهما، بل رتب أفراد العائلة زواجهما. تلقت أمي ثقافتها عن المواعدة من مسلسل أيام حياتنا (ذا دايز أوف أور لايفز)، وخاصة من علاقة هوب وبو المضطربة، ولم يكن الأمر مختلفًا بالنسبة لأبي.

أصر والداي عند لقائهما الأول بفرانسوا على اصطحابه إلى المطعم الفارسي الأفضل في لوس أنجلوس، فطلب أبي طبق المقبلات الذي تناوله فرانسوا بشهية سائلًا أمي عن المكونات:

– هل هذا هو السماق؟ هل هذا هو الخيار الفارسي ذو القشر الرقيق؟ هل تصنع جبنة الفيتا من حليب الضأن؟

حين انتهت المقبلات اختار فرانسوا الطبق الأغنى بالمحتويات في القائمة، السلطاني، مجموعة من كباب الضأن والبقر والدجاج على تل ضخم من الأرز. وصل طلبه وكان يبدو كما لو أن أحدهم قد شوى للتو حديقة حيوانات كاملة، فأكل فرانسوا وأكل وأكل، فسألني أبي بالفارسية إن كان يأكل دائمًا بهذا الشكل، وقالت أمي بالفارسية إنها تأمل ألا يشعر بالغثيان بعدها، وكان فرانسوا خلال ذلك يتابع الأكل.

لم يكن هناك حبة أرز واحدة على صحنه البيضاوي الكبير حين انتهى من طعامه، فقالت له أمي إنه محظوظ للأنه يستطيع تناول طعام يكفي ثلاثة أشخاص دون أن يزداد وزنه. كان فرانسوا عاديًا رغم أنه يفوقني وزنًا، وكان هذا يحقق لي واحدة من أمنيتيّ في رجل المستقبل، أما الأخرى فكانت ألا يكون مهتمًا بمشاهدة البرامج الرياضية على التلفاز إطلاقًا، وقد تحققت هذه في فرانسوا أيضًا.

لقد طلب فرانسوا الحلوى على نحو لا يصدق، قائلًا إنه لا يستطيع

Twitter: @ketab_n

تخيل تجاوز المثلجات بماء الورد والفستق، عندها تمنيت إن كان سيتقيأ ألا يفعل ذلك في سيارة أبي.

حين وصلنا المنزل سألت فرانسوا لمَ تناول هذا القدر من الطعام فقال: أعرف أن الشرق أوسطيين يحبون تقديم الطعام للآخرين وأحببت أن أترك انطباعًا جيدًا لدى والديك، لكني بحاجة للاستلقاء الآن.

أعجب والداي بفرانسوا فعلًا، ولم يكن ذلك بسبب شهيته تجاه الطعام الفارسي، بل للطفه، ولأنني كنت أحبه.

تمنت أمي دومًا أن أتزوج بطبيب إيراني، رجل يمكنها التحدث إليه دون مترجم، رجل سيعتبرني أهله أفضل ما حدث في حياة ابنهم. وقد تمسكت بحلمها هذا بثبات ظانة أنني بمجرد بلوغي أواخر سنين المراهقة فإنني سأصبح الابنة الإيرانية التي تنتسب بها، الابنة التي ستترك لوالديها طواعية أمر اختيار زوج المستقبل.

منذ قدومنا إلى أمريكا كنت أعتبر أمي مصدرًا للإمتاع، فقد كانت امرأة تحتاج لغتها الإنجليزية إلى ترجمة بالإنجليزية، امرأة تضع غورديز في دفتر الهواتف تحت حرف "ج" أي جيران، ومصففة شعرها باتريشيا تحت الحرف "أ" ليكون رقمها في الصفحة الأولى. لقد حضرت اجتماعًا واحدًا لأولياء الأمور خلال سنوات دراستي بأكملها ولم تفهم كلمة واحدة. كلما طلب مني إحضار وجبة خفيفة لاجتماع نادٍ ما كانت أمي تريد إعداد لفائف جبنة الفيتا مع الحبق، أو شله زرد (حلوى الأرز باللبن مع الزعفران)، حلوى صفراء فاقعة تصنع بإضافة الزعفران، وكنت أقول لها دومًا: انسي الأمر، متمنية أن تستطيع تعلم إعداد كعك الشوفان الهش، كانت أمي، بعامية المراهقين الأمريكيين، خارج التغطية.

Twitter: @ketab_n

قد يكون الناس الذين نعرفهم جيدًا هم أكثر الأشخاص الذين يفاجئوننا. حين عرفت أمي أنني أنوي الزواج بفرانسوا قالت سيكون بمثابة ابن ثالث لي، ومسحت الدموع عن وجهها. في تلك اللحظة وضعت أمي جانبًا كل ما تعرفه هي وجيلها عن الزواجودخلت عالمًا جديدًا تختار فيه البنات أزواجهن، لقد أصبحت رائدة.

كان أبي سعيدًا لأنني سأتزوج، وباعتبار أن لديه ابنة واحدة فقد سر كثيرًا لأن فرانسوا طلب إذنه للزواج بي. أخبرني فرانسوا لاحقًا أن أبي أثناء إلقائه لخطابه "أرجوك اعتن بابنتي جيدًا" ظل يحاول إدخال خاتم خطبتي في إصبعه، "حرصت على تأكيد أنني لم أكن أتقدم لخطبته" قال فرانسوا.

بدأنا بإعداد قائمة المدعوين حين أصبحت ترتيبات الزفاف رسمية، وقرر والدا فرانسوا الحضور رغم الشكوك الأولية حول ذلك.

وافقت أخت فرانسوا رقم 2 أيضًا على حضور حفل الزفاف، أما جدته لأمه التي يحبها ويعتبرها مثله الأعلى فقررت عدم الحضور. ورفضت أخت فرانسوا الكبرى الحضور قائلة إنه من المستحيل أن تكون في المكان نفسه مع أمها أو الأخت رقم 2، وامتنع الصهر رقم 1 – الذي يعرفه فرانسوا منذ أن كان في السابعة – عن القدوم قائلًا إن أهل زوجته قد حرموه من الميراث فعليًا ولذا من المستحيل أن يحضر. ورفض الصهر رقم 2 أن يأتي ربما بسبب لم يكن هناك ما يكفي من دواء الحموضة ميلانتا في العالم، ولم تدعَ خالة فرانسوا لأنها وحماتي قد تنازعتا على قطعة أرض في اليونان قبل عشرين سنة وترفضان التحدث إلى بعضهما، كما لم يدعَ أحد من أبناء خالته الأربعة ولم أسأل عن السبب أبدًا. رفض عمه وعمته الحضور وكذلك فعل أبناءهما، أما جدته لأبيه فقد قررت أن

Twitter: @ketab_n

تأتي ما يعني زيادة على المدعوين إلى حفل الزفاف من طرف فرانسوا البالغ عددهم أربعة.

كانت عائلتي، على النقيض من عائلة فرانسوا، تعد الخطط للمناسبة السعيدة. واجه والداي مثل سانتا كلوز قائمة طويلة من الأسماء، فقد كان هذا الزواج الأول لواحد من أبنائهما ولم يكونا يرغبان بنسيان أحد. كانت طاقة استيعاب قاعة الاستقبال 165 شخصًا، وتلك مشكلة لأن عدد العمات والأعمام والخالات والأخوال وأبنائهم وأحفادهم يبلغ 98 شخصًا. عانى والداي في إعداد قائمة المدعوين متذكرين كل أصدقائهم في عبادان، وأصبحت "لا يمكننا أن نستبعدهم" لازمتهما الدائمة. لم أكن أعرف نصف المدعوين. "أريد أن أعرف من هم آل عباس ولِمَ تدعوانهم؟" " لقد دعونا إلى حفل ابنتهم العام الماضي، ثم إنهم في أستراليا ولن يأتوا". لكنهم حضروا الحفل وجلبوا معهم قريبتهم.

في كثير من المرات كانت الدعوات توجه باسم السيد والسيدة لتعود إلينا بخبر أن ستة أشخاص سيحضرون، وبما أن حفل زفافنا سيقام في الصيف قرر ضيوفنا الذين يستضيفون هم أنفسهم أشخاصًا آخرين أن يحضروهم معهم، لقد دعونا 140 شخصًا، قبل 163 الدعوة وحضر 181.

قررنا فرانسوا وأنا أن نقيم زفافنا في الكنيسة الكاثوليكية وعلى المراسم الفارسية التقليدية أيضًا، كان الجزء الأصعب هو العثور على قس يوافق على إقامة قداس في زواج مختلط. اتصل فرانسوا بعدد من الكنائس وكانوا يخبرونه دومًا أن عليه التوجه إلى الكنيسة التي ينتمي إليها. دخل فرانسوا الكنيسة مرات محدودة في حياته، لقد كان كاثوليكيًا بقدر ما كنت مسلمة.

Twitter: @ketab_n

قررت أن أتصل بالكنيسة الكاثوليكية في منطقتي نيوبورت بيتش، اتصلت وأخبرت القس أن عريسي رجل فرنسي لكننا نأمل أن نتزوج في كاليفورنيا الجنوبية حيث تعيش عائلتي، وأخبرته أنني لم أدخل كنيسة من قبل لأنني مسلمة، ولكن لو كنت كاثوليكية لارتدت كنيسته لأنها كانت الكنيسة الكاثوليكية في منطقتي. فقال: حسن.... تابعت قائلة: أنا شخص لطيف جدًا، يمكنني أن أكون كاثوليكية أو يهودية أو ما شئت، كل الأديان تحث على الأمور نفسها جوهريًا ويمكنني الانسجام مع أي منها.

فقال: حسن هذه ليست تمامًا....، فقاطعته: ما أقصده أنها تعمل كلها للهدف نفسه.

ربما عرف القس أنه ليس هناك وسيلة أخرى لإنهاء المحادثة لكنه وافق على لقائي.

اتضح لي أن الأب كريستوفر رجل لطيف ومستنير ويمتلك حس دعابة رائع، وافق على تزويجنا، بالرغم من أن زواجنا لن يتضمن المناولة، لأنها من الشعائر الكاثوليكية. كان علينا أن نلتقيه مرات كثيرة لنقاش الحياة الزوجية والدين، كما توجب علينا ارتياد معتزل أقيم في دير هدفه إعدادنا لتحديات الزواج. ذكر أحد المتحدثين في اليوم الأول محاضرة عن المشاكل الفريدة التي يواجهها الزواج المختلط، فحضرت لأجد أن المقصود بـ "الزواج المختلط" ليس اليهود أو المسلمين، بل البروتستانت أو الأورثوذكس وغيرهم ممن يؤمنون بالمسيح لكن بتفاصيل مختلفة.

كان التخطيط للاحتفال الفارسي أو العقد الجزء الأكثر سهولة من زفافنا، فمنذ أن هاجرت عمتي صديقة والعم عبدالله إلى أمريكا كانا

Twitter: @ketab_n

يعيشان على ترجمة الوثائق الرسمية و العمل ككاتب بالعدل، كان العم عبدالله يدير مراسم العقد وهو عمل سمح له بالاستفادة من معرفته العميقة بالعربية والقرآن، والأهم من ذلك كان هذا العمل يعني أن عمتي صديقة سيكون لها سبق معرفة أي زواج وشيك على بعد أميال.

تقام شعائر العقد تقليديًا في منزل العروس ويقتصر الحضور على العائلة والأصدقاء المقربين. كان من بين الضيوف أيضًا معلمتي في الصف الثاني الابتدائي السيدة ساندبيرغ، ولأن شقة أهلي كانت صغيرة دًا فقد سمح لنا عمي علي والعمة ليندا باستخدام منزلهم. كان هذا اختيارًا مناسبًا لأن عمي علي كان أول فرد من العائلة يتزوج بامرأة غير إيرانية، فقد التقى بليندا الممرضة الشقراء حين كان طبيبًا متدربًا في أمريكا. في البداية كان هناك قلق كثير حول اختياره، ورغم أن أحدًا منا لم يسبق له أن التقى بليندا إلا أنه كان من الواضح لنا أنها لا تعرف كيف تعد طعامًا فارسيًا، فما الذي سيحدث للعم علي؟ هل سيستطيع رجل إيراني أن يعيش حياته بلا أرز البسمتي ويخنة لحم الضأن؟

لم تصبح ليندا طاهية بارعة للطعام الإيراني فحسب بل تعلمت أيضًا الطبخ الإيطالي وصارت مضيفة مثالية. استطاعت تحقيق ذلك أثناء عملها بدوام كامل لمساعدة علي في إكمال تدريبه الطبي، واليوم تتساءل العائلة عن الذي كان سيحل بعمي دونها، ويتفقون جميعًا على أنه محظوظ.

احتجنا أثناء تحضيرنا للعقد إلى السفرة وهي مفرش محاك يدويًا تقليديًا لها حجم شرشف السرير، وترتب عليه العائلة أطباق الطعام والأغراض التي تحمل كل منها دلالة ما.

على رأس السفرة توضع المرآة والشمعدان لترمز إلى النقاء والحب،

Twitter: @ketab_n

تتوارث الأسر الإيرانية هذه الأغراض جيلًا بعد جيل. أبي الرومانسي البائس باع أدواتهما بعد زواجهما، وكان هذا بعد أن قرر بيع خاتم زواج أمي بفترة قصيرة ليتمكنا من قضاء أسبوع إضافي على البحر الأسود.

انتهى بنا الأمر إلى استئجار السفرة والمرآة والشمعدان من امرأة إيرانية التي كان لديها تجارة رائجة من خلال تأجير لوازم شعائر العقد. الهجرة إلى أمريكا بالنسبة لكثير من الإيرانيين كانت تعني الاضطرار للتخلي عن المرايا الكبيرة والشمعدان وتركها في الوطن، وبهذا ولدت عمل تأجير اللوازم الفريد من نوعه.

على السفرة أيضًا هناك تشكيلة من الحلويات؛ اللوز المغطى بالسكر والبقلاوة وبسكويت الأرز، وكل هذه الأصناف تعدها الخالة دوردونه، وهي فعليًا ليست خالتي، بل عمة زوج ابن عمي مرتضى، لكنها دخلت قلوب الجميع بمخبوزاتها حتى زوجي الذي يناديها "خالة". كانت تأتي إلى منزلنا كل يوم لمدة أسبوع قبل الزفاف من أجل جلسات الخبز الماراثونية ليمتلئ بيتنا بشذى ماء الورد والزبدة والمكسرات المحمصة.

بالإضافة إلى الحلويات هناك اللوز المغطى بالسكر والجوز اللذان يرمزان إلى الخصوبة، وطبق من العسل رمزًا لحياة حلوة. أما طبق جبن الفيتا والأعشاب والخبز الرقيق فتجسد السعادة والازدهار، واخيرًا نأتي إلى شجرة خشبية صغيرة نقش على كل غصن منها حبات من الفجل وهي لا تمثل شيئًا إلا أنها كانت جميلة.

بدأ الحفل ونحن فرانسوا وأنا نجلس مقابل المرآة ويحتشد الكل حول السفرة محاولين إيجاد بقعة جيدة للرؤية. بدأ العم عبدالله خطابه بالفارسية وقرأ آيات من القرآن الكريم بالعربية ثم ترجم كل شيء إلى الإنجليزية، وحين كان يفعل ذلك رفعت القريبات قطعة من القماش

Twitter: @ketab_n

فوق رأسينا وفركن قطعتي سكر معًا، كان ذلك يعني أمطار السعادة في حياة الزوجين.

حين سئلنا أخيرًا إن كنا نرغب بالزواج من بعضنا بعضًا، يتعين على العريس أن يجيب بنعم على الفور، أما العروس فيفترض بها أن تأخذ وقتها الحلو وتسبب قليلًا من قلق اللحظة الأخيرة للعريس وأسرته. حين سألني عمي إن كنت أوافق على الزواج بفرانسوا لم أقل شيئًا فصاحت عائلتي بالجواب التقليدي: لقد ذهبت لقطف الأزهار، فكرر عمي سؤاله ثانية ولم أقل شيئًا فصاحت العائلة: لقد ذهبت لتجلب ماء الورد، فسألني عمي للمرة الثالثة وعندها أجبت بنعم، وهلل الجميع حين أعلننا عمي زوجًا وزوجة.

عندما أتصل بوالديّ في المنزل أتحدث عادة إلى أمي أولًا، وحين أطلب أن أكلم أبي أسمعه يقول في الخلفية: أخبريها أنني ذهبت لقطف الأزهار، وإن حدث وكنت مستعجلة أطلب من امي أن تخبره أن يوقف هراءه ويلتقط السماعة، عندها أسمعه يقول لها أخبريها أنني ذهبت لجلب ماء الورد. كان يعتبر ذلك مسليًا جدًا.

بعد انتهاء مراسم العقد تبادل الجميع القبلات والعناق ثم تبادل الجميع القبلات والعناق أكثر. وبعدها بدأ الجميع بالتقاط الصور، ويحتشد الكل في صور الكل، استغرق التقاط الصور بضع ساعات اشتكى خلالها فرانسوا من أن وجهه بدأ يؤلمه لكثرة الابتسام، ثم أضاف: ولم يقبلني هذا العدد من الناس في يوم واحد من قبل.

يصعب إبعاد الإيرانيين عن تقليدهم في العناق اللامنتهي والقبل على الوجنتين، فالنساء يقبلن النساء، والرجال يقبلون النساء، والرجال المشعرين يقبلون الرجال الضخام. يجد الأجانب والرجال تحديدًا هذا

Twitter: @ketab_n

التقليد مزعجًا، وبما أن الفرنسيين أيضًا يقبلون على الوجنة مرتين لم يكن فرانسوا مذعورًا تمامًا من حشد الأقارب الذين ينتظرون منحه قبلة، لكنه اشتكى من أن قبل بعض الأقارب كانت أكثر رطوبة مما يحتمل. أعرف بعض الأمريكيين الذين لم يكن لديهم معرفة بطقس التقبيل هذا، كانوا يودون الهرب من أقرب مخرج عند رؤية عم إيراني مغضن يقترب بذراعين مفتوحين. حتى بعد مراسم الكنيسة حين يفترض بالجميع الخروج من الكنيسة بنظام وهدوء بدأ أقاربي شعائر تقبيل وجعلونا نبدو كما لو أننا لم ندخل زفافًا كنسيًا من قبل، وهو ما كان حقيقيًا.

كان الجزء الأصعب في حفل زفافي العثور على موقع نقيم فيه الاستقبال. تبدأ الأعراس الإيرانية عادة في العاشرة مساء وتنتهي في الثانية صباحًا، وهذا يجعلنا نستبعد كل النوادي والأماكن الخارجية، كما يجب تقديم الطعام الإيراني وهذا يجعلنا نستبعد كل الفنادق التي تكسب معظم أرباحها من تموينها الخاص. كانت ميزانيتنا صغيرة فاستبعدنا كل المواقع ذات المناظر الطبيعية أوالموظفين الناطقين بالإنجليزية.

انتهى بنا الأمر إلى إقامة استقبالنا في مطعم هندي صيني قرب المطار. بدأ هذا المكان كمطعم هندي، لكن المبيعات كانت بطيئة، فأضاف المالكون – مظهرين إصرار المهاجرين حقًا- أطباقًا صينية. يمكن للمرء في هذا المكان أن يطلب دجاج تندوري أو سلطعون فو يونغ، حساء العدس أو حساء كرات السمك، وحيث تجد صلصة الصويا وصلصة التشاتني. ذكرني المطعم بمحل باكستاني للسجاد أعرفه في كاليفورنيا الشمالية الذي بدأ ببيع ، بالإضافة إلى السجاد، قطع حواسيب مستعملة وأضاف مؤخرًا الفلافل. أفترض أنه بعد عدد من السنوات ستكون إزالة الشعر بالشمع جزءًا من مجموعتهم.

Twitter: @ketab_n

كان مدير المطعم رجلًا هنديًا طويلًا ببطن متدلٍ، كان البطن الكبير جميلًا على بوذا ولكن ليس على هذا الرجل، وزيادة في جاذبيته كان بياض عينيه بلون صفار البيض ومحاطًا بدم محتقن دومًا، كان يكن لهذا الرجل أن يكون ممثلًا في حرب النجوم بسهولة.

في ليلة زفافي وقف أمام باب المطعم المغلق قائلًا سأسمح لكم بالدخول فقط إن أعطيتموني أربعمئة دولار إضافية نقدًا الآن، لم يكن لدى أبي الذي كان أصغر حجمًا من المدير بكثيرخيار آخر مع اقتراب وصول الضيوف. لسوء الحظ أو ربما لحسنه، لم أسمع بذلك إلا بعد أسابيع من الواقعة، ومن المناسب القول إن صراخ العروس وصياحها لن يكون مناسبًا لذكريات يوم العمر.

كان استقبالنا حفلة إيرانية نمطية بكثير من الموسيقى ومساحيق التجميل والطعام الرائع. حين دخلنا فرانسوا وأنا نهض الجميع وهللوا، ومررنا بكل الطاولات لتلقي العناق والقبلات والأماني بمستقبل سعيد. كانت عمتي صديقة تسير خلفنا وتنثر قطعًا نقدية ذهبية مزيفة فوق رأسينا. في فارس القديمة كان الذهب المنثور حقيقيًا. كان الجميع يعرف حتى النادلين أنها عملات مزيفة، الجميع عدا أخت زوجي التي أمضت الأمسية تجمعها بجنون.

حين حان وقت الأكل، كنا أول الصف يتبعنا الأب كريستوفر (قال لنا: هذا استقبال لا يمكنني تفويته) كانت الوليمة تتألف من الطبق التقليدي من الأرز بالجزر الحلو واللوز والزعفران والدجاج، الأرز بالفاصولياء مع لحم الضأن، يخنة الباذنجان يخنة الأعشاب وورق العنب المحشو وسلطة الطماطم والخيار والأعشاب. طلب والداي أيضًا حملًا مشويًا كاملًا.

Twitter: @ketab_n

يؤمن الفرس، مثل الرومان والإغريق قبلهم، بذبح حمل عند حدوث أمر جيد، كان يفترض بهذا الطقس أن يطرد الشر. فالزواج و عروض العمل والسيارات الجديدة والمواليد الجدد يرافقها دومًا هذا الطقس القديم، في إيران يذبحدجاجة أولئك الذين لا يستطيعون شراء خروف، وتوزع الأسر الغنية اللحم على الفقراء.

اضطر الإيرانيون في أمريكا إلى إضافة تعديلات قليلة على هذا التقليد. فقد لا يكون ذبح خروف على باب المنزل الأمامي في لوس أنجلوس أمرًا مقبولًا للجوار، لذا عندما يحدث أمر جيد يستدعي ذبح خروف، فبمن تتصل؟ تتصل بأقاربك بإيران طبعًا. تذبح الخراف الآن بعيدًا وتوزع على الفقراء في إيران. اشترى ابنك سيارة لكزس، لتذبح خروفًا. تخرج حفيدك من كلية الحقوق في جامعة كالفورنيا؟ لا تنس الخروف.

أخبرنا متعهد الأطعمة الإيراني لحفل زفافي أنه سيشوي حملًا ويقدمه كطبق رئيس مقابل 250 دولارًا التي تشتري في إيران قطيعًا كاملًا من الخراف مضافًا إليها أجر الراعي، فقلت: يا إلهي! لا طبعًا. لكن لا يهم رأي العروس أمام التقليد.

أدخل الخروف المشوي على العربة في بداية العشاء صانعًا جلبة أكثر من التي أحدثها دخولي، وأصبنا فرانسوا وأنا بالذهول. لم يكن على العربة خروف مشوي بل هيكل خروف، لقد التهم اللحم كله. على قمة جمجمته كان هناك قبعة احتفال مخروطية الشكل ووضع على محجريه نظارة شمسية. لم يكن هذا المخلوق ينتمي إلى حفل زفاف بل لغلاف رواية لستيفن كينغ. وأعلن الأب كريستوفر أنه مستعد لأداء الصلوات الأخيرة، دعابة كاثوليكية مضحكة تبددت في هذا الحشد.

تلا العشاء رقص أكثر، وقد وضع كل شيء من الأغاني الفارسية و

Twitter: @ketab_n

الأغاني الأربعين الأكثر رواجًا والسالسا، وظلت ساحة الرقص مزدحمة إلى أن حان وقت رمي الباقة. لم يكن هذا تقليدًا إيرانيًا، لكن أي طقس قد يؤدي إلى العثور على عريس يتبنى سريعًا في ثقافتي. رميت الباقة، محاطة بكل فتاة مؤهلة تحبس أنفاسها، واستدرت لأرى من ستكون العروس التالية. هناك كانت تقف في حفل الاستقبال، في زفافي فتاة غريبة تحمل باقتي بزهر الأوركيد الأصفر. فسألت أمي حين ذهب المصور لالتقاط صورة للغريبة عمن تكون، فقالت: هذه سهيلة ابنة مجيدة خانم التي تجالس أحفاد عمتك زاري الليلة، ترغب بالزواج لكنها طويلة جدًا ولا يمكنها العثور على عريس إيراني، لذا أحضرتها عمتك زاري ظنًا منها أنها قد تلتقي بأحدهم في زفافك، رغم أنني شخصيًا لا أظن ذلك فهي طويلة جدًا.

تمنيت لو أن زفافي له مفعول السحر على هذه الضيفة غير المدعوة، أحب أن أتخيل أنها عثرت أخيرًا على عريس، طبيب إيراني طويل ربما أو رجل أعمال مكسيكي قصير ذي قلب كبير، أو بائع كتب إيرلندي كاثوليكي متوسط البنية ترى فيها عائلته أنها أفضل ما حدث لابنهم، لكن بغض النظر عن عرق عريسها، هناك أمر واحد مؤكد. إن تزوجت، سيذبح عدد من الخراف في إيران.

Twitter: @ketab_n

الأرض تهتز تحت أقدامي

انتقلنا فرانسوا وأنا إلى سان فرانسيسكو بعد زواجنا، حيث استأجرنا شقة في أعلى طابق من البناية ذات الطوابق الأربعة. كانت البناية هادئة وكان سكانها منشغلين بأنفسهم. كان يشغل الطابق الثاني كاملًا نساءعجائزيعشن وحيدات. كانت كل واحدة منهن تغادر المبنى كل صباح لنزهتها اليومية بخطوات هشة بمساعدة عصا المشي أو مقدم رعاية.

بعد انتقالنا إلى شقتنا بشهر، عدتإليالمنزلمنالعملباكرًاذاتيوم للاهتمام ببعض الأمور. كنت على وشك أن أستحم عندما رن الهاتف، فارتديت مبذل الحمام وأجبت، كان المتصل شخصًا من شركة يو بي إس لخدمة الطرود ليرد علي بشأن إحدى هدايا الزفاف التي وصلت مكسورة، وبينما كنت أشرح له أنني لا أملك إيصالًا للهدية، أخذت الغرفة تهتز و تقرقع. ووقعت الصور التي علقها فرانسوا على الجدار ناثرة الزجاج المكسور في كل مكان، وفتحت خزائن المطبخ وانهمرت الكؤوس والأطباق متناثرة على الأرض ذات المربعات. بقدر ما كان سماع تحطم كأس واحد أمرًا مزعجًا، كنت الآن أسمع تحطم كثير من الأغراض الزجاجية في كل غرفة في الوقت نفسه. كنت أسمع دومًا لكوني نشأت في كاليفورنيا عن "الكبير"، الزلزال الهائل المحتوم الذي كان بانتظارنا جميعًا نحن الذين اخترنا العيش في ضوء الشمس بدلًا من المنطق. افترضت أن هذا هو.

خطر لي أولًا أن البناية ستنهار، وفكرت بارتداء بعض الثياب بدلًا من مبذل الحمام الوبري الذي كنت أرتديه، ثم قلت: من يهتم؟ كانت

Twitter: @ketab_n

الأرض مغطاة بالزجاج المكسور لذا تناولت أول زوج من الأحذية رأيته وكان ذلك خفي فرانسوا المضحكين بهيئة أرنب. وأخذت وسادة أيضًا لأحمي رأسي من الحطام المتساقط، وقبل أن أغادر شقتي فكرت بوالديّ، لا بد أن أتصل بهما، فالتقطت سماعة الهاتف لكن الخط كان معطلًا، وهذا ما أزعجني أكثر من الزلزال نفسه.

والداي يقلقان بشدة. اتصلت بي أمي مرة في منتصف النهار لتخبرني أن أحرص على ارتداء حذاء عند تنظيف العلية، لأنها سمعت للتو عن امرأة كانت تنظف عليتها حافية القدمين، فلسعها عنكبوت بني نادر قطع سمه الدورة الدموية عن أطرافها فسقط أنف المرأة بعدها. كان من العبث تذكير أمي أنني ليس لدي علية.

لا يقتصر خوف والديّ على أشياء حدثت فعليًا، فالأحلام لها نصيب أيضًا. كثيرًا ما أتلقى مكالمات هاتفية بوصف مفصل للحلم يتبعه القول: كان لا بد أن أتصل بك لأطمئن وأتأكد من أنه ليس هنالك سبب يجعلني أحلم بك عالقة في قارب مع سلحفاة زرقاء. لو كان القلق رياضة أولمبية فسيزين وجها والديّ علبة حبوب الإفطار ويتيز منذ زمن بعيد.

جربت الهاتف ثانية لكن الخط ما يزال معطلًا، فغادرت شقتي وبدأت أهبط الدرج حاملة الوسادة فوق رأسي بكلتا يديّ. أطلق إنذار الحريق بفعل الزلزال، لذا كانت ترن في الممرات. حين وصلت الطابق الثاني رأيت واحدة من العجائز تقف أمام بابها مرتعشة بشكل غير قابل للسيطرة وكان وجهها شاحبًا، وخطر لي أولًا أنها ستصاب بنوبة قلبية، فقلت لها: دعينا نغادر المبنى فلا بد أن هنالك توابع للزلزال، لكنها اكتفت بالتحديق بي، فوضعت ذراعيّ حول جسدها الصغير وأخذت أربت على رأسها، كانت ترتجف مثل طائر صغير. فأخبرتني بلكنة شرق

Twitter: @ketab_n

أوروبية ثقيلة متلعثمة أنها تريد العودة إلى شقتها فقط.

دخلت شقتها وأنا ما أزال أمسك بها وأربت عليها، وأجلستها على الأريكة لأخبرها أن كل شيء سيكون على ما يرام وأنه ليس علينا أن نقلق حيال أي شيء. لم أصدق كلمة مما كنت أقوله لكن من الواضح أنها فعلت، وبعد مدة بدأ اللون يعود إلى وجهها ببطء، فاقترحت عليها مغادرة المبنى ثانية لكنها رفضت، وفي اللحظة التي قررت فيها المغادرة بدت طبيعية وأخبرتني عن سعادتها لأن مصباحها المفضل لم يتحطم، وطلبت منها قبل أن أخرج من شقتها أن أستعمل هاتفها.

التقطت السماعة وسمعت نغمة الاتصال، فاتصلت بوالديّ وحياني أبي بمرح وبدا لي أنه لم يعرف بأمر الزلزال. فقلت: بابا، وقع زلزال كبير لكنني أردت أن أطمئنكما أنني بخير.

- لا بأس، كيف الأمور الأخرى؟

لم يدرك أبي حقيقة الموقف، ولم يكن لدي فكرة كيف أصف له الزلزال دون مقياس ريختر اليدوي، فأخبرته: لقد كان زلزالًا هائلا، تحطم كل شيء.

- لا تقلقي، كلها أشياء يمكن تعويضها.

- اعلما أنني بخير، علي الذهاب.

حين أغلقت الهاتف، خطر لي أنني يجب أن أتصل بأهل زوجي الذين كانوا حينها يعيشون في مارين كاونتي على بعد خمس وأربعين دقيقة من سان فرانسيسكو.

منذ أن تزوجت بفرانسوا تشبثت، في لحظة إشراق، بفكرة أن حماتي

Twitter: @ketab_n

ستتنازل عن كبريائها وستنضم إلينا فرانسوا وأنا في الاحتفال باتحادنا، وتخيلت أننا نعد عشاء منمقًا لأعياد الميلاد معًا وتكرارها للمرة المئة كيف أنها كانت ضيقة الفكر تجاهي قبل أن تعرفني، وأنا أجيبها للمرة المئة بأني أغفر لها ذلك.

طلبت الرقم فالتقطت حماتي السماعة، كنت متأكدة من أن هذه ستكون هي لحظة الوصل، وسيجري الأمر هكذا: أوه يا عزيزتي فيروزة، لقد هزني هذا الزلزال وجعلني أدر كم كنت حمقاء، كيف يمكنني أن أحكم عليك بسبب جنسيتك؟ فيم كنت أفكر؟ مسلم يهودي مسيحي كلنا سواء، تخيلي أن الأمر استغرق كل هذا الوقت لأستيقظ، لأرى أننا نضحك جميعًا الضحكة نفسها ونبكي الدموع نفسها، أرجوك اغفري لي.

لقد خمنت ما ستقوله تمامًا، فقد سألتني إن كانت أوانيها الخزفية قد تحطمت.

قبل الزفاف اكتشف فرانسوا في مرآب والديه صندوقين كبيرين من أواني ليموج الخزفية لم تفرغ من صناديقها أبدًا، لم ير فرانسوا هذه الأواني من قبل فافترض أنها أوانٍ متوارثة يملكها والداه لكنهما لم يرغبا باستخدامها أبدًا، فسأل أمه إن كان بإمكانه أخذها، وأجابته في لحظة كرم نادرة بنعم.

لأسابيع، قدر مفتشو المباني حجم الضرر بعد زلزال لوما بريتا ووضعت ملصقات خضراء وصفراء وحمراء على المباني. منحت بنايتنا ملصقًا أصفر ما يعني على عكس الأحمر أننا نستطيع العودة إلى منازلنا. ومع ذلك كان المبنى يحتاج الكثير من الإصلاحات، إذ كان يجب إصلاح المصعد من أجل السكان الأكبر سنًا لكننا لم نتوقع الكثير، وكان علينا

Twitter: @ketab_n

أن نقبل أن فكرة المالك عن الإصلاح كانت بدفع شيكات الإيجار نقدًا.

في مساء ما بعد أسابيع قليلة من الزلزال سمعنا قرعًا على الباب، فتحت وكانت تقف هناك السيدة العجوز التي التقيت بها أثناء وقوع الزلزال، كانت تحمل قالب كعك بالشوكولاته، وانفجرت بالبكاء حين رأتني. أعطتني الكعكة وأخرجت لفيفة من المناديل وقالت: أردت فقط أن أقول لك..لكنها لم تكمل وارتفع نشيجها ثم قالت: أردت فقط أن أقول لك إنك أنقذت حياتي، اسمي جولدا روبنشتاين وقد أنقذت حياتي.

وواصلت نشيجها فشكرتها وأخبرتها أنها قد أنقذت حياة والديّ لأن هاتفها كان الوحيد الذي يعمل...ولم تدعني أكمل بل قالت: أردت أن أشكرك وأحرص أن تعرفي أنك أنقذت حياتي.

فشكرتها على قالب الكعك وأخبرتها أنني سعيدة أنها على ما يرام، وشكرتها ثانية على السماح لي باستخدا هاتفها.

تعطلت كل الهواتف في بنايتنا لمدة أسبوع بعد الزلزال، وأخبرني والداي لاحقًا أنهما شاهدا الأخبار بعد اتصالي ليريا حجم الدمار، وكانا يقولان دومًا: لولا اتصالك لقلقنا حتى الموت. كان هاتف جولدا هو الهاتف الوحيد العامل في المبنى.

بعد شهر جاءت جولدا في زيارة مفاجئة حاملة نصف قالب من كعك الشوكولاته. مرة أخرى فتحت الباب وانفجرت بالبكاء، أعطتني الكعكة وأخرجت لفيفة من المناديل وأثناء نشيجها قالت لي: اتصلت بابني وقلت له يوكوف جاءني ملاك، ملاك أنقذ حياتي. وباستماعها إلى إعادة المكالمة الهاتفية نشجت بصوت أعلى.

شكرتها على الكعكة وأخبرتها عن امتناني لما فعلته لوالديّ لكنها لم

Twitter: @ketab_n

تكن ترغب بسماع أي من ذلك.

في كل شهر مثل الساعة، تأتي جولدا إلى بابنا بنصف قالب من كعكة الشوكولاته وبقلب مليء بالعرفان وعينين مليئتين بالدمع. مرة لم أكن بالمنزل فالتقت بفرانسوا وسألته إن كان يعرف أنه متزوج من ملاك، كما أخبرته أيضًا أنه كان نحيلًا جدًا وأنها ستعمل على تسمينه.

لحسن الحظ أو لسوئه، لم أكن متأكدة أيهما، لم تتحطم أواني حماتي الخزف، فالزلزال جعلها تعيد التفكير بهبة الكرم الطائشة، ولم يفاجئنا ذلك، لن أغني "كومبايا" [32] مع هذه المرأة في وقت قريب.

يمكن وصف هذه الأواني بقدر جمالها بكلمتين: فأل سيئ،كان فرانسوا يفكر في إعادتها ونسيان الأمر كله، وكنت أود التخلص منها لكني لم أرغب بإعادتها إلى أمه، كما لم أرغب ببيعها لأنني خشيت أن يمتد نحسها إلى النقود التي تأتي من بيعها.

كان هناك دار لأسر الأطفال الذين يتلقون علاجًا طويل الأمد في مستشفى قريب تقيم مزادًا ربحيًا، فاتصلت بالمنظمة لأسألهم إن كانوا مهتمين بالحصول على طقم أثري من سبعين قطعة من أواني ليموج الخزفية، وطبعًا كانوا كذلك.

بعد المزاد وصلتنا رسالة تشكرنا على تبرعنا وتبلغنا بسعر البيع، كنا نشعر بالسعادة لأن أحدهم يملك الآن طقم خزف جميل بلا شروط، والأهم من ذلك أننا كنا سعداء لمساعدتنا أسرة لديها طفل مريض جدًا، وإن لم يكن الشعور بالرضا يكفي فقد أصبحنا مانحين رئيسين للمنظمة.

(32) - أغنية دينية لكنها صارت فيما بعد أغنية لمخيمات الكشافة.

Twitter: @ketab_n

كنا ندعى لحفلات عشاء لكبار المانحين على مدى السنوات القليلة التالية، كانت تقام كلها في منازل فخمة لم تكن اللوحات المعلقة على الجدران فيها مقلدة. كانت هذه فعاليات بطعام ومواقف بأجير. في ذلك الوقت كنا نملك سيارة هوندا على جانبها أثر اصطدام كبير، وكنت أقترح على فرانسوا دومًا أن يوقف السيارة على بعد مبانٍ قليلة وأن نمشي، لكنه رفض مصرًا على أنه لو استيقظ يومًا ما ليجد نفسه مليونيرًا فإنه يحب أن يرى نفسه كمن لا يكون عبدًا لشكليات الطبقة، الشخص الذي سيظل يتذكر الناس البسطاء والسيارات التي يقودونها، وأضاف: كما أن الأجير قد يخطئ ويعطينا سيارة بي إم دبليو بدلًا منها.

كنا نلتقي في حفلات العشاء هذه بكل أصناف الناس الذين تزين أسماءهم المتاحف والمؤسسات الكبرى. لم يكن هؤلاء ليعانوا أي مصاعب مالية لثلاثة أجيال. كنا فرانسوا وأنا بعمر السادسة والعشرين ما يجعلنا أصغر الضيوف، وحاولنا – لأننا نعلم أن أيامنا في هذه الحفلات الفاخرة معدودة- أن نستغله لأقصى حد بتذوق كل أنواع الحلويات.

لم نخبر حماتي عن طقم الخزف أبدًا. لم تتقبل زواجنا أبدًا ولم يلن قلبها ولادة أبنائنا، وتوقفنا عن التواصل معها في النهاية.

جلب لنا طقم الليموج سعادة أكبر في غيابه أكثر مما فعل أثناء وجوده في خزانتنا. بالطبع لم نعد نملك طقم أوانٍ خزفية لنورّثه لأولادنا، لكن لا بأس بذلك. نخطط فرانسوا وأنا لمنح أولادنا شيئًا أكثر قيمة، الحقيقة البسيطة في أن الطريق الأفضل لعيش الحياة تكمن في أن تصبح مانحًا كبيرًا للطف، سنخبرهم أنه يمكن أن نمتلك مجموعة كاملة من الأشياء الجميلة الثمينة لكننا نبقى تعساء، يمكن أحيانًا أن تجعل وصفة الكعك بالشوكولاته الشخص أسعد بكثير، بكثير.

Twitter: @ketab_n

يدعى أنف..

حين كنت طالبة في بيركلي، وجدت نفسي مبهورة بأمينة مكتبة هناك. كان لهذه المرأة أقبح أنف رأيته من قبل، كان يبدو كما لو أنها بادلت أنفها في لحظة اضطراب بمنقار طير غريب، أظن أنه في مكان ما في عمق الغابات المطرية في البرازيل على أعلى شجرة مانجو يعيش طائر طوقان له أنف بشري.

ما أثار انبهاري لم يكن العظمة المطلقة لأنف أمينة المكتبة، بل ثقتها الهائلة، كانت هذه المرأة تعتبر نفسها ملكة الجمال. حين كنت أراقبها وهي تؤدي مهامها بأسلوبها في توكيد الذات لم أستطع منع نفسي من التساؤل لماذا لم تعانِ عقدة ما؟

في الثقافة الإيرانية، يعد أنف المرأة أكثر بكثير من مجرد كونه عضوًا للتنفس، إنه قدرها. تبدأ الفتاة ذات الأنف القبيح بالحلم باكرًا بأمر واحد: جراح تجميل ماهر. الأسر الأكثر فقرًا وحدها هي التي لا تحاول التدخل لتصحيح خطأ الطبيعة الأنفي. ولا يمكن لأي قدر من الذكاء والمواهب والفتنة أن يجعل الفتاة تتجاوز أنفها القبيح، فلا بد أن يصحح ببساطة.

انحدرت من نوعين من الأنوف، من جهة أبي الأنوف كبيرة لكنها معقولة تمامًا، أما من جهة أمي فقد كانت الأنوف كبيرة ومعقوفة، ويجسد غونزو في شارع السمسم بامتياز جهة أمي من العائلة، فكبرت وأنا أفكر أنه من الطبيعي أن أصيح قائلة كلما التقطت صورة: لا تلتقط صورة جانبية. أما أنفي فقد كان من النوع الذي مكّنني من إثارة إعجاب زملائي في المدرسة الثانوية لقدرتي على موازنة قلم رصاص وممحاة

Twitter: @ketab_n

بين أنفي وفمي. كان هذا التصرف البهلواني المستحب قد ختم على قدري بأن أكون الفتاة التي ليس عليها أن تقلق حيال شراء ثوب حفلات.

كانت العيون كلها تتجه إلى أنفي حين كنت صغيرة، واعتبرت فتاة صغيرة جميلة لكن كلما علق أحدهم على مظهري قال شخص ما وعادة هي أمي: سنرى، وكان الجميع يعرف معنى ذلك، فالتاريخ ملئ بالفتيات اللاتي كن جميلات يومًا ما ثم بووووم، صار الأنف كبيرًا، وتعرف قريباتي كل هؤلاء، كن يواصلن مراقبة الأنف متتبعات نمو أنفي مثلما يتتبع التجار حركة الأسهم في وول ستريت!

حين صرت مراهقة بدا من الواضح أنني نجوت، فقد حظيت بأنف معقوف بدرجة أقل، كنت أشبه أقاربي من جهة الأم لكن الأمر ليس سيئًا إلى الحد الذي يستدعي المقارنة بدمية، وقد أجمعت قريباتي على أن أنفي لم يكن مروّعًا لكنه بحاجة إلى تعديل بسيط: تحتاجين إلى إزالة الرأس فقط.

ذهبنا أبي وأنا حين بلغت الثامنة عشرة لاستشارة جراح تجميل هو الأفضل في نيوبورت بيتش. حين كنت أجلس في المكتب الفخم لهذا الرجل وأرى الإطلالة الواسعة على المحيط، تساءلت كيف يمكن لهذا الرجل أن يكون جادًا، وبالنظر إلى الشهادات المؤطرة المعلقة على كل الجدران، فقد أمضى سنوات كثيرة من حياته في الدراسة في عدد من المؤسسات الطبية الراقية، وكان من الممكن أن يكون شخصًا ينقذ حياة أحدهم بطريقة ما لكن بدلًا من ذلك كان يتوق إلى قطع طرف أنفي. حين كان يشرح لي الخطوات لم يكن ما أزعجني كسر أنفي، بل أنه هو من سيكسره، لأنني لم أحترمه بما يكفي.

ارتاح أبي حين قررت ألا أخضع لعملية الأنف، فقد ظنها عملية مكلفة

Twitter: @ketab_n

جدًا، فقلت له: يمكنك أن تشتري لي سيارة بدلًا من ذلك، فقال: أنفك جميل ولست بحاجة لسيارة.

بالرغم من تحذيرات قريباتي المنذرة بأن الأنف يواصل نموه في سن البلوغ، لكنني تخرجت من الجامعة وتزوجت وأنجبت كل ذلك بأنفي الأصلي، ولم أفكر لسنوات بعيبي الأنفي، فبعد ولادتين أظن أن هناك أجزاء أخرى من جسدي تستحق العناية أكثر.

كنت مع ذلك أفكر بطائر الطوقان، كلما اشتكى أحد من أنفه كنت دومًا أسرد قصة أمينة المكتبة الواثقة التي تخطت مشكلة أنفها الضخم، وكان من الطبيعي أن يعرف الناس من أين تأتي كل هذه الثقة، وكنت أرد دائمًا: لا أعرف لكنها كانت كذلك. كم حلمت أن أعرف سرها يومًا ما.

مضت عشرون عامًا على آخر مرة رأيت فيها طائر الطوقان، وكنا فرانسوا وأنا وولدانا في طريقنا إلى نزل لقضاء أسبوع. كان منزلنا حينها معروضًا للبيع ورأى الوكيل العقاري أنه سيباع أسرع إن لم يكن فيه أحد. بالطبع لم تعتبر الألعاب المنثورة هنا وهناك والمراحيض التي نسي الصغار تنظيفها ميزة تسويقية، فنظفنا فرانسوا وأنا البيت وحشرنا كل الأشياء الزائدة في خزائننا، ووضعنا مزهريات من الأزهار في كل مكان ثم غادرنا.

وصلنا إلى النزل القريب في موعد النوم، وحين كنا نضع الصغار في فراشهم استدعي فرانسوا إلى العمل، وبمجرد مغادرته تداعى إلى ذهني كل مقال قرأته عن الجرائم التي ترتكب في غرف النزل، كنت واثقة أنني بمجرد أن أغط بالنوم سيأتي موظف سابق ناقم يملك المفتاح الرئيس لكل الغرف للانتقام. لم أكن سأستطيع النوم إلى حين عودة زوجي. أدرت التلفاز بحثًا عما يبعد هذه الأفكار عن ذهني، وبما أننا لا نملك

Twitter: @ketab_n

واحدًا في منزلنا فقد افترضت أنه سيكون من السهل العثور على شيء ممتع كنوع من التجديد. بدأت بالتنقل بين القنوات متجنبة برامج الجرائم عن القتلة المتسلسلين، متجاوزة البرامج الهزلية وإعلانات العصارات، متخطية سوزان لوسي في إعلان تجاري لشامبو. وحين بدأت أقول لنفسي الحمدلله أنني لا أملك تلفازًا في بيتي فلا أضطر لمشاهدة هذا الهراء، فجأة رأيتها هناك على الشاشة، طائر الطوقان. كانت تبدو مثلما كانت عدا بعض الشعرات البيض، وظننت أن البرنامج عن نظام ديوي العشري أو عن آخر التبرعات لمكتبة جامعة كاليفورنيا - بيركلي، لكن الكاميرا نزلت فجأة لأرى أن طائر الطوقان كانت عارية تمامًا.

كان أبي يقول لي دائمًا غن الدراسة الجامعية ستمنحني فرصًا لا نهائية، لكني لم أتوقع أن تكون رؤية أمينة المكتبة عارية واحدة منها.

شعرت بالخديعة والخيبة في الآن نفسه. ذهبت لأطمئن أن ولديّ نائمان، فهما ما يزالان بعمر يجعلهما على استعداد لكشف كل تفاصيل حياتنا لأشخاص غرباء تمامًا. وقولهم "أمي تشاهد نساء عاريات على التلفاز" قد لا يؤهلهم لدخول روضة جيدة، وتمنيت ألا يعود فرانسوا ويظنني أخفي عنه سرًا كبيرًا.

جلست لمتابعة المقابلة، وقد أصبحت أكثر يقظة من قبل، أخافتني الطوقان العارية أكثر من الموظف السابق الناقم حامل الفأس . كانت الطوقان بحسب المقابلة عضوة في مستعمرة للعراة في كاليفورنيا الشمالية، ولم تغط المقابلة تجربتها كعضوة في هذه الجماعة فحسب بل تجارب من معها أيضًا.

تحدثت طائر الطوقان بإسهاب عن تقبلها لنفسها كما هي، ولم تشر إلى أنفها لكن ذلك هو ما كنت أفكر فيه. قالت إنها كانت تعاني من تقدير

Twitter: @ketab_n

متدنٍ لذاتها طوال حياتها إلى أن اكتشفت مذهب العري، فقد تجردت من ثيابها ومن نظرتها السيئة لنفسها في الوقت نفسه، وهو مفهوم يمكن أن يحدث هزة في عالم الجراحة التجميلية فعلًا. كم كان غريبًا كيف أنني ظللت أتساءل عن مصدر ثقة هذه المرأة بنفسها ليأتينا الجواب عبر برنامج كيبل غريب في نزل رخيص بعد منتصف الليل.

تابعت الطوقان تعداد ميزات العري، وكيف أنه يستبعد المظاهر ويمنح الآخرين فرصة لرؤيتها كما هي، وكنت أفكر دائمًا أن الحوار يكشف حقيقة الناس، لكن من الواضح أن رؤية أعضائهم المتهدلة يمكني أن تخبرني بما هو أكثر بكثير.

قال أعضاء المستعمرة الآخرون الأمور نفسها التي قالتها الطوقان جوهريًا، رغم أنها كانت أكثر تفصيلًا ناهيك عن كونها أفضلهم هيئة. قبل هذا البرنامج، كنت أعتقد ان مشاهدة جماعة من الأشخاص العراة يمكن أن يكون مثيرًا بشكل ما، لكن ليس هذه المجموعة. أظنني لم أكن الوحيدة التي لم تذهب إلى حفلة نهاية العام.

انتهى البرنامج بمشهد لكل الأعضاء يجلسون حول نار في مخيم يضحكون ويتعانقون. وجدت نفسي بعد مشاهدة هذه المجموعة المرحة أتخطى حزني، ولم أستطع منع نفسي من التفكير بكل النساء الإيرانيات اللاتي دفعن مقابل كسر أنوفهن وإعادة تشكيلها ليكنّ أهلًا للحب، فكرت بكل الفتيات الصغيرات اللاتي عرفتهن واللاتي تعلمن الانكماش على أنفسهن. أتذكر كم أعجبت بأنف جين فوندا عندما كنت في الصف الرابع الابتدائي في طهران وكم كرهت أنفي، وبالتفكير بكل تلك الطاقة المهدورة أردت أن أصرخ وأخبر أبناء وبنات وطني أن الأنف ليس إلا أنفًا، فهو لا يحمل الروح لأن أرواحنا أكبر أكبر بكثير

Twitter: @ketab_n

مهما كانت أنوفنا كبيرة.

فوجئ زوجي برؤيتي مستيقظة في الساعة الثانية صباحًا حين عاد من العمل. فسألني: ماذا كنت تفعلين؟

- أشاهد التلفاز.

- لكنك تكرهين التلفاز.

- هناك برامج مثيرة هذه الأيام، صدقني.

القضاة مرتشون

كثيرًا ما يسافر أخي فرشيد على درجة رجال الأعمال دائمًا، وقد جمع ما يكفي من النقاط ليصل إلى القمر ويعودعلى درجة رجال الأعمال، فكان يهدي العائلة والأصدقاء رحلات مجانية إلى بلدان بعيدة، وقد قدم لنا فرانسوا وأنا بعد مرور عام على زواجنا تذاكر إلى الباهاما إن كنا نرغب بذلك، وكنا نرغب بذلك.

كان التوقيت ممتازًا، فقد غيرنا فرانسوا وأنا أعمالنا للتو ولدى كل منا إجازة لأسبوعين. لم يسبق لأي منا أن سافر إلى الباهاما، لكننا لن نخطئ الشواطئ الرملية البيضاء والمياه الدافئة والنخيل المتمايل.

هبطت الطائرة في ناساو حيث كان لدينا حجز لليلتين، ولم يكن لدينا خطط أكثر بل قررنا أن نتبع أسلوب أكثر مغامرة، وكان شعارنا لنصل هناك ونرى أي الجزر ستجذبنا إليها.

هناك خط رفيع بين المغامرة والغباء، وقد تجاوزنا هذا الخط. اكتشفنا عند وصولنا إلى ناسو أنه ليس هنالك جزيرة ستجذبنا، فقد وصلنا في

Twitter: @ketab_n

منتصف إجازة الربيع تمامًا وكانت الباهاما مزدحمة بناس أكثر ذكاء منا بكثير نحن الذين جربنا أن نحجز على كل طائرة أو قارب يغادر ناسو إلى الجزيرة الأخرى، لقد علقنا.

قد يكون من غير الإنصاف الحكم على مكان ما أثناء إجازة الربيع، ففي النهاية لم يكن التلاميذ الذين احتشدوا في المنتجعات النجوم الألمع في المجرة الأمريكية، فالإجازة بالنسبة لهؤلاء لا تبدأ رسميًا ما لم يتقيؤوا عددًا من المرات، و بدا من المؤسف أن يسافر هؤلاء إلى الباهاما أو أي مكان آخر في حين أنهم يستطيعون الذهاب إلى نزل في منطقتهم بكل سهولة ليفقدوا الوعي لمدة أسبوع ببساطة، وسيكون في مصلحة هذه البلاد لو ختم على جوازات سفر هؤلاء "مسموح بالسفر الداخلي فقط"، وبالتالي تقليص حجم الأذى الذي يرتكبونه كإحراج وطني.

لم نستطع النوم في ليلتنا الأولى حتى طلوع الفجر والفضل في ذلك يعود إلى حفلات الشرب التي كانت تقام في كل الغرف من حولنا وفي الممر، فقدمنا شكوى للإدارة: مقابل 180 دولار في الليلة من حقنا الحصول على قسط من النوم، لكنهم اعتذروا. استرخيا فقط.

أمضينا اليوم التالي نحاول جاهدين العثور على وسيلة لمغادرة ناسو والمحتفلين بإجازة الربيع، المكان الذي كان سيوحي لدانتي بإضافة حلقة عاشرة لجحيمه. كانت كل الحافلات والطائرات والقوارب محجوزة، فتجولنا في المدينة نسأل السكان المحليين إن كانوا يعرفون كيف نستطيع الوصول إلى أي جزيرة، لكنهم هزوا رؤوسهم جميعًا بالنفي ثم سألونا إن كانا نرغب بشراء الكوكا، وبالطبع لم يكونوا يقصدون الشراب الفوار.

كان لدي رغبة بالبكاء في نهاية اليوم الأول، فلم أر النخيل المتمايل

Twitter: @ketab_n

بل سكارى مترنحين، ولم تكن هناك حياة بحرية، إنما أكوام من الطلاب المنتفخين بالبيرة وفاقدي الوعي على الشاطئ، كانوا يشبهون حقًا مجموعات من فيلة البحر من بعيد، لكن المنشور يعرض صورة للدلافين.

عدنا إلى الفندق وسألنا حارس الأمن إن كان لديه أي مشورة، فاقترح علينا أن نذهب إلى مكتب البريد لنسأل عن القوارب التي تنقل البضائع من ناسو إلى الجزر الأخرى فهم على استعداد لنقل المسافرين إن سمحت المساحة بذلك. كما سألناه لماذا لا توقف الشرطة من يحاولون بيع الكوكايين على كل ناصية، فقال إن الشرطة متورطة بذلك، لدينا الكثير من رجال الشرطة الأغنياء في الباهاما.

هناك قائمة في الدليل الذي اشتريناه من الولايات المتحدة بكل قوارب البريد الرسمية، وصلنا -حاملين الدليل معنا- إلى مكتب البريد وأخبرنا بوجود قارب واحدة فقط "الوردة الأسبانية" سيغادر خلال الأسبوعين القادمين وكان يغادر صباح الغد عند السابعة، فبحثت على الفور عنه في الدليل لكني لم أجده في القائمة.

فأخبرت فرانسوا: إنه ليس على القائمة الرسمية، قد يكون قاربًا للمخدرات، لن أذهب. فسألني فرانسوا: ماذا تعتقدين أنه سيحدث؟

- سنكون في عناوين نشرات الأخبار الأسبوع القادم، اكتشاف جثتين مقطعتين، وآلة التصوير مفقودة. ثم كررت: لن أذهب

وقفنا نتجادل على ناصية الشارع لبرهة، ثم اقترب فرانسوا من رجل شرطة وسأله إن كان قد سمع بقارب للبريد اسمه الوردة الإسبانية من قبل، فرد رجل الشرطة بحماس: طبعًا.

Twitter: @ketab_n

فقال فرانسوا: أرأيت؟ إنه قارب شرعي؟

كنت مصدومة بسذاجة هذا الرجل الفرنسي، فهمست له: الشرطة متورطة أيضًا، وقد يكون لهذا منزل كبير على التلة بإطلالة على المحيط.

فقال فرانسوا: انتهى الأمر. سآتي إلى هنا في السادسة صباحًا وافعلي أنت ما تشائين لكنني راحل على هذا القارب. أجبته: حسن

جئنا باكرًا في الصباح التالي لنجد مجموعة من الأسر الباهامية تستعد للصعود إلى الوردة الإسبانية، كان ذلك يبدو أمينًا حقًا. سألني فرانسوا إن كنت أشعر بالإحراج حيال ما أظهرته من بارانويا يوم أمس، فقلت له: لا أذكر، باذلة جهدي في تقليد سياسي أثناء محاكمته. صعدنا إلى القارب واستطعنا العثور على مكان بين صناديق الطماطم والبطاطا والبيض وعدد من أقفاص الدجاج الحي.

كانت الرحلة بالقارب نسخة رديئة من رحلات جاك كوستو. مررنا بجزر صغيرة ذات شواطئ بيضاء ونخيل متمايل، وكان الماء الذي يعج بالأسماك يغير لونه من الفيروزي إلى (اليشب) الأخضر المائل إلى الزرقة إلى (الكوبالت) الأزرق الداكن، وكانت السماء الصافية فوق رؤوسنا تظهر لنا درجة رائعة أخرى من الزرقة، كانت هذه هي الباهاما التي حلمنا برؤيتها.

وصلنا بعد أربع ساعات إلى جزيرة الآبار الأسبانية، ويذكر الدليل فقط أن هذه الجزيرة الصغيرة التي يسكنها صيادو الكركند سميت بذلك الاسم تيمنًا بالبحارة الأسبان الذين كانوا يأتون إلى الساحل من أجل الماء العذب.

سألنا أول شخص رأيناه على ظهر القارب: من فضلك هلا دللتنا أين

Twitter: @ketab_n

نجد سيارة أجرة؟ فنظر إلينا الرجل العجوز: إلى أين تذهبان؟ فأجبناه بسعادة: نود العثور على فندق، فقال: سأقلكما.

وضعنا حقيبتنا في الشاحنة ثم حشرنا أنفسنا فيها، وبعد ثلاثين ثانية أخبرنا أننا وصلنا.

رفض أخذ المال لكنه عرض علينا زيارة مطعمه حيث يقدم الطبق الأفضل من السلاحف المقلية على الجزر، فلمعت عينا فرانسوا ولكني قلت في نفسي: قاسٍ! أنا أرفض بوضوح تناول أي حيوان ورد في خرافات إيسوب.

سألتنا موظفة الاستقبال عن مدة إقامتنا، فقلنا: حوالي عشر ليالٍ. ففتحت دفتر الحجوزات الكبير وبدأت تمرر أصبعها على صفحاتها، ولم تنطق بكلمة ولم تنظر إلينا، كانت تقلب الصفحات ببطء، فقلت لنفسي: انتهى الأمر، لا بد أن المكان محجوز بالكامل ونحن عالقون.

ثم تكلمت أخيرًا: من هنا.

حملت موظفة الاستقبال، التي كانت خادمة أيضًا، حقائبنا إلى الغرفة ثم انتظرت للحصول على البقشيش. سألناها إن كان الفندق مكتظًا فقالت: كل الغرف شاغرة. وقد ظلت الغرف كذلك طوال إقامتنا.

كانت غرفتنا تطل على الشاطئ الرملي الأبيض ، وكان المحيط الهادئ الأزرق يملأ الأفق، ولم يكن هناك شيء على الشاطئ سوى عدد من أشجار النخيل.

وضعنا حقائبنا وقررنا البحث عن مكان نتناول فيه الطعام، ولاحظنا أثناء تجوالنا على الجزيرة أن الشوارع خالية فلا أثر للسياح أو السكان

Twitter: @ketab_n

المحليين. ذكرني الجو بكتاب قرأته في الصف الثالث الثانوي عن ولد كان الناجي الوحيد من انفجار ذري وكان عليه الاعتماد على ذكائه ليبقى على قيد الحياة. لم أتذكر شيئًا آخر من الكتاب لكني كنت أعرف أنه إن كان علي الاعتماد على ذكائي كي أبقى على قيد الحياة فسأكون أسوأ من السلاحف بكثير. عدنا إلى الفندق لكن موظفة الاستقبال لم تكن هناك، ذلك لأنها كانت الآن النادلة في مطعم الفندق.

جلسنا بعد دقائق قليلة وجلبت لنا قائمة الطعام وفيها صور للكركند، فقال فرانسوا: هذا ما أريد، فقالت الخادمة- النادلة- موظفة الاستقبال: آسفة لكنه ليس موسم الكركند.

طلبنا حساء المحار والشطائر، كانت الخدمة جيدة حقًا لكن لم يكن هناك زبائن سوانا في المطعم، وكان الطعام مكلف جدًا، واكتشفنا لاحقًا أن ذلك يعود لجلب الطعام إلى الآبار الأسبانية بالقوارب، كانت علبة حبوب الإفطار شيروز تباع في بقالة الجزيرة "بيندر ماركت" بـ 6.50 دولار.

جاء صاحب الفندق البريطاني ليلقي التحية علينا أثناء تناولنا الطعام، كان سعيدًا لرؤيتنا خاصة حين عرف أننا سنبقى لعشرة أيام، وواصل إخبارنا عدة حقائق عن الجزيرة وكيف أن سكان جزيرة الآبار الأسبانية -على عكس الجزر الباهامية الأخرى- كلهم من البيض، وكيف يعملون ستة أشهر في العام من صيد الكركند ما يجعلهم يكسبون 100.000 دولار في العام، كان هذا يفسر أطباق اللاقطات الفضائية التي رأيناها أثناء جولتنا.

سألت المالك عن عمله قبل انتقاله إلى الآبار الأسبانية، فقال: حسن، لقد عملت في مكان لم يسبق لك أن سمعت به. كان هذا ما أقوله كلما

Twitter: @ketab_n

سألني أحدهم أين ولدت. فقلت له: أين؟ فقال: عبادان في إيران.

منعت نفسي من قول الكليشيه المعتاد: ياله من عالم صغير! تبين أن هذا الرجل لم يعش في عبادان فحسب، بل عمل في الشركة نفسها التي كان يعمل فيها أبي شركة النفط الوطنية الإيرانية، كان يعرف منطقتي والنوادي المحلية ومتجر ألفي الذي اشتريت منه كل أطقم الشاي خاصتي.

خرجنا بعد الغداء للتنزه على الشاطئ، كانت أصداف المحار متناثرة على الشاطئ، فقلت لفرانسوا: أعرف ماذا سأحمل معي من هذه الرحلة، فقال: سأخبرك بما تفعلين، اجمعيها واحمليها معك.

لم نر سياحًا آخرين على الجزيرة. أمضى فرانسوا أيامه يقرأ قصصًا بوليسية بينما كنت أخطط لأخذ مجموعتي المتنامية من الأصداف معي حين أعود. كنا نذهب في نزهات طويلة – بما أننا في إجازة وليس لدينا ما نفعله– لنكتشف مناظر غير عادية مثل طائرة لنقل المخدرات تحطمت قبل سنوات وهي في طريقها إلى كولومبيا. ولأننا لا نعرف تفاصيل تجارة الكوكايين، لم نكن نعرف أنها طائرة مخدرات عندما رأيناها أول مرة، في ذلك المساء عرفنا عن تاريخها الفريد من موظفة الاستقبال– الخادمة– النادلة– المؤرخة. عدنا لاحقًا لالتقاط الصور أمام هيكلها المجوف حيث خزنت أكياس الكوكايين. كان هذا مثالًا كلاسيكيًا لمنشورات السياحة التي تغفل الأخبار الجيدة.

كما اكتشفنا أثناء نزهاتنا مطعم بيندر ومخبز بيندر ومحطة بيندر للوقود، فسألنا المالك عندما عدنا إلى الفندق لمَ تحمل أكثر المحلات اسم بيندر، ففتح دليل هواتف الجزيرة؛ لقد كان الجميع تقريبًا في الصفحات العشرين يحملون اسم بيندر. يبدو أن الجزيرة تقطنها عائلتان: آل بيندر

Twitter: @ketab_n

وآل بيندر، وهؤلاء لديهم أولاد ولدوا مزيدًا من البيندريين، كما أضاف.

في منتصف إقامتنا وحين كنا نتناول وجبة مكلفة على نحو مرعب، اقترب مالك الفندق من طاولتنا وجلس وسأل إنا كنا مستمتعين بإجازتنا. جعلني اهتمامه المفاجئ بأمرنا أفكر أنه كان على وشك أن يطلب منا أمرًا، وهذا ذكرني عندما كنت في السادسة من عمري ويقول لي فرشيد كم كنت أختًا رائعة ثم يطلب مني أن أقاسمه لوح الكيت كات. وحدث بالفعل، فقد سألنا الرجل الإنجليزي إن كنا نرغب بإسداء معروف لسكان الآبار الأسبانية، فخطر لي: يا إلهي؛ تهريب مخدرات.

تابع حديثه: تتنافس فتيات الآبار الأسبانية كل عام في مسابقة لملكة الجمال، وهي حدث العام الأكبروكل فتاة تحلم بالفوز باللقب والتأهل لمسابقة ملكة جمال الباهاما، لكن المشكلة أننا لن نعثر على حكام ليسوا أقرباء للمتسابقات، لأنها جزيرة صغيرة كما لاحظتما. فكنا نتساءل إن كان يمكن أن تمنحانا الشرف وتصبحا حكامًا في المسابقة لهذا العام.

أنا أكره مسابقات ملكة الجمال، وربما يكون لهذا علاقة أنني كنت من نوع الفتيات اللاتي تعلمن في سن مبكرة أن يعتمدن على عقولهن لفتح الأبواب، لقد استغرق مني الأمر سنوات لأتجاوز توقعات الجمال في الثقافة الإيرانية وسنوات أخرى كي أتجاوز نشأتي في نيوبورت بيتش حيث كان معيار الجمال يشمل التمارين العنيفة وزجاجات من بيروكسيد الهيدروجين والسيليكون. لذا كان من المستحيل أن أضع أصبعي في البركة العكرة لمسابقات الجمال.

تابع الرجل الإنجليزي حديثه كما لو أنه يقرأ أفكاري فقال: الأمر ليس متعلقًا بالجمال وحده، فهناك مسابقة للمواهب بالإضافة إلى قسم الأسئلة، أرجوكما فكرا بهذا، بما أننا ليس لدينا ما يكفي من الحكام.

Twitter: @ketab_n

فقلنا: ليس لدينا ما نقوله، لكننا سنشارك، فرد: رائع.

في الصباح التالي عندما جاءت موظفة الاستقبال- الخادمة- النادلة- المؤرخة- عاملة التنظيف لترتيب غرفتنا وحيّتنا بحماس غير معتاد.

- سمعت أنكما ستكونان في لجنة تحكيم مسابقة الجمال لهذا العام. لقد شاركت ثلاث مرات. فقلت: ظننت أنه يسمح بالمشاركة لمرة واحدة فقط، فردت: ليس هناك الكثير من الفتيات على الجزيرة لذا يمكنك الاستمرار في المحاولة.

بعد ظهيرة اليوم التالي وقف المئات من سكان الآبار الأسبانية على الشاطئ لمشاهدة وصول الزورق البخاري الصغير. لم أر هذا الكم من الناس منذ أن وصلنا إلى الجزيرة، حين اقترب الزورق رأيت امرأة ترتدي قبعة أرجوانية بريشات أرجوانية كبيرة تلوح للجميع، فهلل الحشد.

أخبرنا حين كانت تنزل بحذر من القارب أنها ملكة جمال الباهاما السابقة جاءت لتكون في لجنة تحكيم المسابقة، أما الحكم الرابع فسيكون ابن إحدى الأسر الكندية الثرية التي تملك منزلًا كبيرًا على الجزيرة.

التقينا في الليلة التالية فرانسوا وأنا وملكة جمال الباهاما السابقة والثري الكندي - الذي صدف أن كان ثملًا- مع منسقة المسابقة، كانت تشرح بجهد أنه سيكون هناك مسابقة لثياب السباحة ومسابقة للمواهب على كل فتاة فيها أن تقدم جانبًا من الحياة في الباهاما، بالإضافة إلى فقرة الأسئلة. كانت هذه المرأة متحمسة جدًا، وقد أصبح من الواضح أن هذه المسابقة تعني أكثر من مجرد التسلية بكثير، فقد طلب إلينا أن نحدد مستقبل هؤلاء الفتيات الصغيرات، كنت أثق دومًا أنني يمكن أن أكون

Twitter: @ketab_n

حكمًا رائعًا وحين واتتني الفرصة رغبت بالفرار فقط.

صحبنا إلى المسابقة الرجل الإنجليزي الذي- مثل صياد سمك يتباهى بصيده الوافر- أخبر الجميع أنه أدخل حكمين إلى المسابقة. احتشد الجمهور وكان من بينهم من يصرخ ويحمل لافتات تبين اختيارهم للفائزة هذا المساء: ملكة جمال الآبار الأسبانية= شانتال!

كنت أتمنى أثناء جلوسي بين ملكة الجمال السابقة والكندي الثمل أن يكون متجر بيندر يبيع دواء للحموضة. انتابني الشعور المروّع نفسه الذي تملكني حين ركبت لعبة الأفعوانية آخر مرة، رغم أن تلك التجربة دامت لدقائق قليلة. إذا انتهت هذه الليلة فسأضيف "التحكيم في مسابقات الجمال" إلى قائمة الأمور التي لن أجربها ثانية تحت صفوف الجيمنازيوم وسجق الدم[33].

صعد المقدم إلى الخشبة واستطاع أن يهدئ الجمهور، وأعلن أسماء الفتيات الست اللاتي يتنافسن على اللقب، كانت أربع منهن من عائلة بيندر، وكان عليه أن يصمت قليلًا بعد إعلان كل اسم بانتظار أن يخف هتاف الجمهور. على الأقل لو شاركت أنا في مسابقة للجمال فستضمن لي عائلتي الشرق أوسطية الخصبة الكبيرة الفوز في فئة الهتاف الأكبر.

ثم اصطفت الفتيات كلهن على الخشبة ما عنى هتافًا وصياحًا وتلويحًا باللافتات أكثر. سحبت كل واحدة منهن قشة لتحديد ترتيبهن في العرض.

كانت البداية مع مسابقة المواهب التي يفترض بالفتيات أن يقدمن

(33) - سجق الدم: نوع من النقانق يحشى بالدم المطبوخ أو المجفف.

Twitter: @ketab_n

فيها ما يمثل الباهاما بطريقة ذات دلالة. ظهرت المتسابقة رقم 1 مرتدية زي كركند يمكن ببساطة أن يقال إنه معد منزليًا، فبدأت: أنا أمثل صيد الكركند. كانت أذرع الكركند وساقاه المحشوة ترتج إلى الأعلى والأسفل حين استعرضت إحصاءات حول الكركند، معطية الانطباع أنها كانت تلوح لثمانية أشخاص في الوقت نفسه.

أما المتسابقة رقم 2 فقد أطلت مرتدية شبكة صيد مزينة بالأصداف والطحالب الزائفة، كانت تمثل المحيط وكل ما يخرج منه.

ارتدت المتسابقة رقم 3 بدلة غوص كاملة مع الزعانف لتمثل ملحمة غوص إلى الجزر المرجانية.

وارتدت المتسابقة رقم 4 علم الباهاما وغنت أغنية افترضت أنها النشيد الوطني، ولم يكن لدي أدنى فكرة عن لحن الأغنية رغم أنني كنت متأكدة أنه ليس اللحن الذي كنت أسمعه.

أما المتسابقة رقم 5 فقد ارتدت - لتمثل الشمس- زيًا رياضيًا ضيقًا أصفر وقبعة سباحة عليها ألصقت عليها أشعة شمس مصنوعة من الفلين، وتحدثت عن جو الباهاما الجميل عارضة إحصاءات لعدد الأيام المشمسة وكميات الأمطار بالإنش.

لبست المتسابقة الأخيرة ثوبًا أزرق وقرأت قصيدة كتبتها عن المحيط: أنت أزرق، ونحن نحبك، ماذا كنا سنفعل دونك....

في نهاية هذا الجزء تمنيت لو يخلصني سكوتي[34]، لكن بدلًا من ذلك بدأت مسابقة ثياب السباحة.

(34) - شخصية من فيلم الخيال العلمي ستار تريك.

Twitter: @ketab_n

تقف مسابقة ثياب السباحة ضد كل أمر صائب ولائق في هذا العالم. كانوا يخبروننا أن الجمال هو جمال الداخل وأن جوهرنا أهم بكثير من مظهرنا. ولكن هلا ارتديت هذا البيكيني من فضلك ومشيت بالكعب العالي كي أحكم على جمالك؟ لا أعرف أيهما أسوأ، أن أكون متسابقة أو أن أكون حكمًا. أردت أن أقف على الطاولة وأخبر الفتيات أن يخلعن أحذيتهن العالية ويرمينها في وجه منظم المسابقة، ويطالبن بإقامة مسابقة للتهجئة بدلًا عنها، لكني جلست هناك فقط أصلي أن ينتهي هذا كله.

بالنسبة للفقرة الأخيرة، فقرة الأسئلة العميقة، سيتعين على الفتيات أن يجبن سؤالًا يسحبنه من قبعة.

- ماذا ستفعلين لو فزت باللقب؟

- إن كنت ستعالجين مشكلة واحدة فما هي؟

كنت آمل أن تكون الأسئلة أكثر إمتاعًا.

- لو كنت ستصممين حديقة حول طائرة المخدرات المتحطمة فماذا كنت ستسمينها؟

- إلى جانب السلاحف، هل يمكنك أن تسمي فصيلة مهددة بالانقراض يمكننا أن نقطعها ونقليها؟

أخيرًا، حشد أعضاء لجنة التحكيم في غرفة صغيرة لنقاش أداء المتسابقات. ذكرتنا ملكة الجمال السابقة - المرأة الفاتنة والذكية والوحيدة في العالم التي يمكنها أن ترتدي قبعة بريشات كبيرة وتظل جميلة- أن علينا أن نختار. فتاة فصيحة لأنها ترى أن هذا جزء مهم من المسابقة، ووافقناها فرانسوا وأنا. ولم يكن لدى الكندي ما يقوله،

Twitter: @ketab_n

فمن الواضح أنه لم يستطع تذكر الساعتين السابقتين. وجدنا أن مسابقة المواهب لم تسفر عن فائزة بوضوح، فهز الكندي رأسه. قررنا أن نتجاهل مسابقة ثياب السباحة لأننا وجدناها خارجة عن الموضوع، فهز الكندي رأسه. وبعدها اتفقنا على أن هناك متسابقة فصيحة واحدة تستحق الفوز، وهنا لم يهز الكندي رأسه لأنه نام، فأيقظناه وعدنا إلى القاعة، حيث حيينا ثانية بالهتاف والصياح والتلويح باللافتات، في تلك اللحظة تخليت تمامًا عن رغبتي في أن أكون نجمة غناء، لقد كان ذلك عاليًا جدًا.

كانت الفتاة التي اخترناها هي الخاسرة بلا شك، فقد كانت ذات وزن زائد، كما أنها أقل الفتيات جاذبية من ناحية الشكل، وحظيت بالنصيب الأصغر من الهتاف. لكنها مع ذلك كانت الأكثر فصاحة وربما كان ذلك لأنها كانت أكبر بكثير من المشاركات الأخريات ومن المحتمل أن تكون معيدة. كانت الفتاة المفضلة لدى الحشد هي شانتال التي كانت الأجمل والأحسن مظهرًا في ثياب السباحة لكننا كنا نبحث عن العمق وليس عن الجمال.

صمت الحشد حين ظهر المقدم، وبدأ الناس يتجمعون معًا منتظرين الفرصة التالية للهتاف. قال المقدم كلمات قليلة عن كون كل الفتيات مؤهلات وكيف كان من الصعب اختيار واحدة فقط، ثم أعلن - للجمهور الصامت كليًا- المتسابقات المستبعدات اللاتي اخترناهن عشوائيًا، وظلت ثلاث فتيات؛ كان الجميع يتوقع أن تكون الفائزة هي شانتال. عندها أعلن الاسم.

بالكاد أستطيع تذكر اللحظات القليلة التالية لأني أصبت بنوبة هلع، فحالما أعلن اسم الفائزة باللقب صاح الجميع لكنها لم تكن صيحة

Twitter: @ketab_n

فرح، فقد كانت صيحة سيئة، صيحة يطلقها عصابة تلوح بالهراوات وينتهي الأمر بإدراجها في كتب التاريخ. كان الجمهور يردد: مستحيل، مستحيل! وكانت شانتال تقف على الخشبة تبكي، جاءت الفائزة وأمها - التي كانت تشبه ابنتها تمامًا لكنها أكثر وزنًا- وشكرتنا وقالتا: لا نصدق ذلك! ومن الواضح أن لا أحد يصدق ذلك أيضًا.

استطعنا فرانسوا وأنا أن نخرج من القاعة وجرينا عائدين إلى الفندق. فقلت لفرانسوا: سيقتلوننا، فرد عليك كان هذا ما قلته عن قارب البريد.

دخلنا غرفتنا وأخذنا نستعد للنوم، رغم أنني كنت متأكدة أنني لن أنام كثيرًا هذه الليلة. فسألت فرانسواك ما هذه الضجة؟

- أي ضجة؟

- اسمع.

كنا نسمع دمدمة واضحة تعلو وتعلو، ففتح فرانسوا الباب وأغلقه على الفور قائلًا: ليس أمرًا مهمًا.

كان لدى فرانسوا الكثير من المواهب غير أن الكذب لم يكن أحدها. حين وصلت إلى الباب بدأت أسمع بوضوح هتاف الحشد الكبير الغاضب: الحكام مرتشون، الحكام مرتشون.

دامت المظاهرة طوال الليل، ولم أستطع النوم لأني كنت أعرف أنه حين يقتحم الغوغاء غرفتنا الأنيقة سيكون سلاحنا الوحيد مجموعة من أصداف المحار، وأخذت أتخيل اتصالهم بوالديّ ليتعرفوا على جثثنا وسيخبرونهما:لقد كان حادث عنف متعلق بمسابقة الجمال: لقد كانت ليلة طويلة نام فيها زوجي مثل جذع شجرة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

لو كنت رجلًا غنيًا

لم نكن نقلق بشأن المال حين كنا في عبادان، ليس لأننا كنا أثرياء بل لأن الشركة الوطنية الإيرانية للنفط كانت تعتني بكل احتياجاتنا. يمنح الموظفون منازل مؤثثة مجانًا، وكان حجمها ومرافقها تحدد بحسب سنوات الخبرة والتعليم، وكانت مشاكل التمديدات الصحية والكهربائية والأسقف الراشحة تصلح دون مقابل. كما أن المدارس وزيارة الأطباء وحتى الحافلات لم تكن تكلفنا شيئًا. ومن أجل الحصول على التسلية كان الجميع يلتقون في النادي للعب البينجو أو السباحة أو مشاهدة الأفلام أو الحفلات الموسيقية، وقد كان كل شيء - عدا الطعام- مجانًا. كانت تقام في النادي أيضًا احتفالات رأس السنة الفارسية وحفلات عيد الميلاد، وحتى الحفلات التنكرية وكانت تمنح جائزة لأفضل زي. كان والداي وعمتي صديقة والعم عبدالله يرتدون دائمًا لباس القرويين ولا يفوزون. عام 1957 فاز أحد موظفي الإطفائية ارتدى زي مسافر في سفينة فضائية.

منح أبي، باعتباره مهندسًا بشهادة جامعية، منزلًا بثلاث غرف نوم وفناء كبير بحديقة للخضراوات والدجاج. كل يوم كنت أتجول لأتأكد أن الجزر والذرة والفجل والفاصولياء الخضراء قد أصبحت جاهزة للأكل، ثم أبحث عن الحشرات متتبعة أثر كل مخلوق يسكن حديقتنا. كانت أمي تعتبر اهتمامي بالحشرات هواية غريبة ومزعجة بالنسبة لفتاة صغيرة. تشاركني ابنتي هذا الانبهار بكل ما يدب ويزحف وأقول لها إن بانتظارها مهنة في علم الحشرات.

كان الفناء الأمامي لبيتنا في عبادان يغص بالورود والياسمين والنرجس،

Twitter: @ketab_n

وإلى جانب أحواض الزهور كان لدينا أرجوحة كبيرة مغطاة، نجلس عليها كل مساء حين تخف الحرارة الخانقة ونرتشف شراب الكرز أو البيبسي ونأكل بذور دوار الشمس المملحة. كان يقاطع أمسياتنا صوت جارتنا الحاد: جيمي! جيمي! لم يكن اسم زوجها جيمي بل كان جواد غير أن جارتنا كانت تتابع عددًا من الأفلام الأمريكية وقررت أن تمنح زوجها اسمًا إنجليزيًا، مضيفةً قليلًا من الطابع الغربي لمنطقتنا. وكي لا تتفوق علينا، حصلنا على كلب ضال سميناه جيمي، وهكذا يمكن للمرء في أي مساء أن يسمع ليس عائلة واحدة فقط بل عائلتان تناديان جيمي الخاص بهما.

عندما جئنا إلى أمريكا لم نضطر إلى التأقلم مع الدفع مقابل كل شيء فحسب (السباك يتقاضى أجرًا مقابل تحديد المشكلة فقط)، بل كان علينا أن ندفع بالعملة الأمريكية أيضًا. في عام 1972 كان الدولار الواحد يساوي سبعة تومانات أو سبعين ريالًا، وهذا يعني أن علبة مرتديلا أوسكار ماير لا تكلف دولارين بل أربعة عشر تومانًا، ورطل الطماطم لا يساوي خمسين سنتًا بل ثلاثة تومانات ونصف. لا يمكننا شراء شيء دون إجراء التحويل الآلي إلى العملة الإيرانية متبوعة باللازمة: أوه، هذا كثير!

ولم نكن نعلم أن ما بدا مكلفًا عند قدومنا إلى أمريكا سيصبح صفقة خالصة بعد الثورة الإيرانية. نادرًا ما يكون الاضطراب السياسي جيدًا على الاقتصاد، ففي عام 1979 هبطت قيمة العملة الإيرانية كثيرًا، وأصبح الدولار الواحد يساوي ثمانمئة تومان أو ثمانية آلاف ريال، وأصبحت علبة مرتديلا أوسكار ماير تكلف ألف وستمئة تومان أي قيمة سجادة فارسية صغيرة قبل الثورة. وكان على الإيرانيين الذين اعتادوا

Twitter: @ketab_n

إنفاق المال بحرية أن يفكروا مرتين قبل شراء أي شيء.

كان أبي رجلًا مقتصدًا دائمًا، غير أن مشاكلنا المالية بعد الثورة أقحمته في عالم جديد، كون شعاره: سأصلحه بنفسي. المعطف الأبيض والسماعات لا تصنع طبيبًا، وكذلك الجولات المتكررة في قسم الخردوات في متجر سيرز لا تصنع عاملًا ماهرًا، ولكن بما أنه لم يعد ينقب عن النفط أو يبحث عن السناجب ظن أبي أنه يستطيع الاعتناء بكل شؤون عائلته، فخلفيته الهندسية إلى جانب إصلاح المنزل من لايف تايم (ذي الأربعة عشر مجلدًا) أقنعاه بقدرته على إصلاح كل تسريب أو رشح أو قعقعة او انسداد، وأي اعتراض أو شك نبديه يجعله يحكي لنا قصة تركيبه لمذياع عندما كان مراهقًا، وعند مواجهته بأن تركيب البلاط قد يكون مختلفًا عن تركيب المذياع يرد دومًا: ليس تمامًا.

يمكن للمرء إذا تجول في منزلنا أن يرى أدلة كثيرة على شعار أبي "يمكنني فعلها". فماذا يعني أن يصدر الماء الحار من حنفية الماء البارد؟ هذا لا يعد شيئًا مقارنة بما سيتقاضاه السباك لإصلاح المغسلة! وماذا عن الشريط اللاصق الذي يغطي الثقوب في جدار المطبخ؟ من سيلاحظها؟ كما أن ورق الجدران في الحمام غير مناسب، دعونا لا نكون نيّقين جدًا، إنه مجرد حمام وليس غرفة طعام. إن نشرت شركة تايم لايف دليلًا للعمليات الطبية سنغادر أمي وأنا البلاد.

لو قصر أبي مهاراته الحرفية على مسكنه المتواضع لكان ذلك مقبولًا. لسوء الحظ يصر كاظم جزايري على مشاركة مواهبه مع البقية، وبما أنه أصلح كل شيء في منزله عليه الآن أن يصلح الأعطال في بيوت أبنائه.

يعمل أخي فرشيد مديراً تنفيذيًا في شركة تقنية كبرى، وعلى عكس أبي ليس لدى فرشيد مشكلة في إنفاق المال، فهو يدفع لمن يغسل سيارته

Twitter: @ketab_n

ولمن يصلح بنطاله ولمن ينظف بيته، ولا يكتفي بدفع المال مقابل تنظيف ثيابه تنظيفًا جافًا بل يدفع بعض المال الإضافي لتوصيلها إلى منزله.

بادر أبي أثناء زيارته وأمي الأخيرة إلى فرشيد وأكمل مشروعًا صغيرًا، فبعد أن غادر فرشيد إلى العمل انطلق كاظم إلى متجر الخردوات واشترى بعض الأدوات، وأمضى نهارًا كاملًا في وضع المعجون والطلاء.

بعد اثنتي عشرة ساعة في العمل عاد أخي إلى المنزل ليكتشف نسقًا من اللطخ على كل جدران شقته الواقعة في الطابق الرابع والعشرين.

- ما هذا؟

فتحداه أبي قائلًا: حاول أن تجد شرخًا أو ثقبًا، لقد غطيتها كلها، كان هناك الكثير منها.

- من طلب منك ذلك؟ سأل أخي متشككًا. ثم من أين جلبت هذا الطلاء إن لونه مختلف كليًا عن لون جدراني.

فأجاب أبي: لا بأس ألا تشكرني، لكن لمعلوماتك الطلاء الأبيض هو الطلاء الأبيض.

حاولت أمي أن تستغل اللحظة لتنتقم لنفسها من كل ذكريات الإصلاحات في منزلهما وقاطعته قائلة: لقد أخبرته ألا يفعل لكنه لم يصغ إلي، إنه لا يصغي أبدًا.

قال أبي بسخط محضّرًا إيانا لقوله المأثور مثل ماراسكينو الكرز ليكلل كل مشاريعه الإصلاحية غير المشكورة: حسن، لا يمكن للرجل الواقف قرب النهر أن يعرف قيمة الماء.

Twitter: @ketab_n

لحسن حظ أبي لم نكن نقف قرب النهر، فلربما انتهى الأمر بأحدنا فيه.

عندما اشترينا زوجي وأنا شقتنا، دعونا والديّ ليزورانا. كان بيتنا جديدًا تمامًا ما يعني أنه ليس هناك ما يستدعي الإصلاح، ومع ذلك أعلن أبي بعد ساعات قليلة: أنتم بحاجة إلى خزانة للدواء في الحمام.

فأجبنا: لسنا بحاجة خزانة دواء في الحمام. قال أبي بلا وجل: أظنكم كذلك.

– لسنا بحاجة لواحدة، لا نريد واحدة.

يجب ألا يترك أبي ،مثل القط، وحده داخل البيت لثماني ساعات. اشترى أبي، مثبتًا حضوره، خزانة للدواء وركبها في الحمام حين كنا زوجي وأنا في العمل. ربما لو لم تمل لم يكن فرانسوا سيغضب من ذلك.

قرر أبي سرًا أثناء زيارته التالية أن حمامنا بحاجة إلى علاقات للمناشف، ولأن أبي استخدم مسامير طويلة جدًا فقد ثقب الباب وأصبح لدينا علاقة مناشف من جانب وأداة لفقء العينين من القرون الوسطى من جانب آخر.

حينئذ أخذ زوجي الأمر على عاتقه بإخفاء كل المفكات والمطارق قبل زيارة والديّ.

لم يعتذر أبي أبدًا عن أخطائه الحرفية، مصرًا على أن قلة تقديرنا تنبع من أمور أخرى. قال لفرشيد: لو أنني تقاضيت منك ألف دولار مقابل وضع المعجون والطلاء لرأيت أنها تبدو جيدة. وكان يقول لأمي أن شكواها من الثقوب في الجدران والبلاطات غير المتطابقة تكشف فقط رغبتها

Twitter: @ketab_n

في إثارة إعجاب الآخرين، وهي صفة عليها أن تغيرها. وحين اشتكى زوجي أن خزانة الدواء التي لم نكن نريدها أساسًا قد مالت رد أبي: ما زالت تحمل الأشياء. كان يمكن لقدرته على عدم الاعتذار عن الأخطاء الجسيمة أن تخدمه جيدًا في مجال آخر، في السياسة ربما، فقد علمتنا ألا نشتكي من أي مشكلة في المنزل وإلا سيقرر أبي إصلاحها. ليس مهمًا حجم الضرر الذي قد يصيب أدوات المنزل لأن كاظم سيجعله أسوأ مجانًا.

لا يمكن لأبي أن يفهم لماذا يأكل الناس في المطاعم، فقط لأنه لا يستطيع تخيل نفسه يتصل بسباك لإصلاح مغسلة مسدودة، بالنسبة إليه تناول الطعام خارجًا يعني تناوله في منزل إحدى شقيقاته، حيث لا يكون الطعام طازجًا وشهيًا ويقدمه أناس يحبونه ويضحكون لنكاته فحسب، بل ليس هناك فاتورة في نهاية الوجبة.

الذهاب إلى مطعم حقيقي مع أبي يعني دائمًا الشيء نفسه:

الدجاج باثني عشر دولارًا؟ هل هذا يعني أننا سنحصل على الدجاجة كاملة؟ لنرَ. لديهم اثنتان، أربع، ست، ثماني، عشر.... عشرون طاولة هنا، وأربع أشخاص على كل طاولة، كل منهم يطلب طبق الدجاج، ولنقل لثلاث جولات في الأمسية، اضربي ذلك بثمانمئة تومان..... يا إلهي! كان علي أن أفتح مطعمًا.

لا تتضمن هذه الحسابات تكاليف إدارة المطعم أبدًا، بل الأرباح المتوقعة فقط. ولا حاجة للقول إننا لم نجرؤ على طلب الشراب في حضور أبي لأن كأسًا من عصير الليمون الذي قيمته 2.50 دولار، يتطلب ثلاث ليمونات كحد أقصى بعشرة سنتات للواحدة بالإضافة إلى قليل من السكر وتضرب بثمانمئة تومان.... كنا نشرب الماء دومًا،

Twitter: @ketab_n

ماء الصنبور طبعًا، لأن المياه المعدنية ستؤدي حتمًا إلى محاضرة أخرى كاملة تبدأ بالمياه التي شربها أثناء نشأته في الأهوازالتي ليس هناك ما هو أسوأ منها ويمكنك أن تضرب ذلك بثمانمئة.

مثلما تتحول اليرقة إلى فراشة يتحول أبي إلى ووربكس[35] حالما تطأ قدمه أرض إيران، هذا لأنه في إيران يصبح أبي مليونيرًا. يسكن والداي خلال زيارتهما السنوية إلى إيران في فندق الشيراتون سابقًا في طهران، وهو ما لم يكونا ليستطيعاه لولا هبوط قيمة العملة الإيرانية. في كل عام يتوسل أقاربي في إيران البلد المعروف بحسن الضيافة إلى والديّ أن يقيما لديهم، لكن أبي يرفض مبينًا أن الإقامة في جناح أمر لا يستطيع دفع تكاليفه في أي مكان آخر، فيأتي الأقارب لزيارته ويدعوهم إلى تناول الطعام في كل المطاعم الفاخرة تاركًا بقشيشًا كبيرًا لكل الموظفين.

حين تقبل أبي أن تعويضه الشهري لثلاث وثلاثين عامًا من العمل لدى الشركة الوطنية الإيرانية للنفط يمكنه من تناول الطعام في مطاعم قليلة في أمريكا، عكس الأمر وقرر أن يفعل شيئًا جيدًا بالمال في إيران. يسحب أبي تعويضه كل عام ويتبرع به للمحتاجين، فقد دفع تكاليف كثير من العمليات والمعالجات الطبية والنظارات والأدوية. قبل حوالي ثلاث سنوات، التقى بثلاثة أطفال فقدوا كلا والديهما وكانوا يعيشون مع جديهما العجوزين، وفي كل عام يشتري لهم الثياب والكتب والألعاب. قبل رحلته الأخيرة سألني إن كنت أستطيع إعطاءه حاسوبي المحمول من أجل الابن، فقلت له: أنا أستخدمه في إعداد كتاب، فقال: أعطيني إياه حين تنتهين.

(35) - شخصية في رواية مصورة لرجل ثري جدًا يرعى الفتاة اليتيمة آني.

Twitter: @ketab_n

العام الماضي اشترى قطع غيار لرجل محتاج جدًا يعيش من عمله كسائق والذي سيكون بلا عمل دون هذه السيارة، ودفع العام قبل الماضي لإصلاحات موسعة لمنزل تسكنه عائلة من تسعة أفراد، ولحسن حظهم لم يكن أبي يحمل سلسلة لايف تايم معه.

يعود أبي كل عام إلى أمريكا بحقيبة مليئة بالفستق ورأس مليء بالحكايا، فيصف الإقامة الفخمة في الجناح وطلب خدمة الغرف والحرص على أن تحصل عاملة التنظيف على البقشيش الأكبر لعملها. يخبرني كيف أنه يستغرب أن يعامل بحفاوة كهذه في بلاده وكيف يعتبره الجميع صفقة كبرى، وكل ذلك بسبب التعويض الذي لا يساوي شيئًا هنا.

سألته بعد رحلته الأخيرة إن كان صعبًا عليه العودة إلى أمريكا حيث لا يعد ثريًا، فقال: لكن يا فيروزة، أنا ثري أيضًا في أمريكا، لكنني لا أملك كثيرًا من المال.

Twitter: @ketab_n

الخاتمة:

كاظم ونظيرة جزايري

كنت أُسأل منذ نشر "مضحك بالفارسية" سؤالًا واحدًا: ما هي ردة فعل عائلتك على الكتاب؟

كان أول من اتصلت به حين بدأت كتابة مذكراتي السيدة ساندبيرغ، معلمتي في الصف الثاني الابتدائي، وقد يبدو غريبًا أنني احتفظت بتواصلي معها طوال هذه السنوات، لكنني مثل الملاريا أبقى في النظام إلى الأبد.

لم تسألني السيدة ساندبيرغ، مشكورة، كما يفعل كثير من الناس عمّن كانت مذكراتي، ما يثبت أنها تدرك معنى "مذكرات"، كما أنها لم تسألني السؤال الثاني الأكثر شيوعًا: ما الذي يستحق الكتابة في حياتك؟ صحيح أن معظم الناس يكتبون مذكراتهم بعد إنجاز ما، لكني مع ذلك تخطيت الإنجاز وانتقلت إلى المذكرات مباشرة. وذلك لأنني أؤمن حقًا أن لدى كل منا قصة وأن قصص الجميع مهمة، ليس عليك أن تفوز بجائزة نوبل أو أن تكون عارضًا مشهورًا أو متورطًا في فضيحة ليكون لديك قصة مثيرة، رغم أن كل هذه الأمور، كل على حدة أو مجتمعة،ستضمن لك تغطية إعلامية أكبر. ما زلت أطمح بالحصول على جائزة نوبل أو التورط في فضيحة صغيرة بطريقة غير فضائحية، فقط للحد لذي يجعلني على الصفحات الأولى من الصحف اليومية المملة.

حين أخبرت السيدة ساندبيرغ عن كتابتي كانت سعيدة جدًا قائلة إنها كانت واثقة انني سأفعل شيئًا فريدًا في هذا العالم، وعند هذه النقطة من

Twitter: @ketab_n

الحوار قاطعتنا ضجة خافتة في الخلفية، كان ذلك زوج السيدة ساندبيرغ آرت الذي يقول إنه أول من توقع لي ذلك. فذكرت السيدة ساندبيرغ آرت بصوت معلمة الصف الثاني اللطيف والحازم أنه في الحقيقة كانت هي أول من رأت بارقة أمل خلف كلماتي السبع الأولى بالإنجليزية.

حين نشر الكتاب أرسلت لها نسخة موقعة (إلى الأمريكية المفضلة لدي) وتلقيت على الفور رسالة على آلة الرد الآلي "فيروزة، كان ذلك أجمل.... نشيج، نشيج، لا يمكنني أن أصف... نشيج، نشيج.... سأتصل بك لاحقًا".

أحبت عائلتي البيولوجية الكبيرة - أولئك الذين تسمح لهم لغتهم الإنجليزية بالقراءة- الكتاب، واتفقوا على أنني استطعت وصف الشخصيات المختلفة بدقة شديدة، وبالتأكيد كان لديهم تعليقاتهم. لقد كان عمي الأكبر محمد متضايقًا لأنني لم أستخدم اسم عائلتي قبل الزواج، ولم تكن ردة فعله نابعة من رغبته بالفخر بل لأن ابنه افتتح مؤخرًا عيادة للجراحة التجميلية في كاليفورنيا الجنوبية، وسيجلب اسم العائلة على الكتاب مزيدًا من عمليات شد الوجه.

كانت زوجة ابن عمي آزار متضايقة جدًا لأنني ذكرت أحد أبنائها ماهان ولم أذكر الآخر هومان.

طلب مني عمي نعمة الله أن أتركه إلى كتابي القادم، بل طلب مني أن أكتب عن ابنيه علي وجواد وكلاهما عازب ويدرس طب الأسنان.

لغة أمي الإنجليزية حرمتها من قراءة الكتاب، رغم أنني أطلعتها على ما كتبت، فباركت لي وسالتني بعض الأسئلة: هل ذكرت أنني لم أتركك يومًا مع جليسة أطفال رغم أنني كنت أستطيع؟ هل ذكرت أنني

Twitter: @ketab_n

أرضعتك لأكثر من سنتين وكيف كان يصعب فطامك؟ هل ذكرت أنني كنت دومًا في المنزل حين تعودين من المدرسة، وأنك لم تعودي يومًا إلى منزل خاوٍ؟

رغم أن أيًا مما قالته لم يرد في الكتاب، إلا أن أي أم تبارك كتابًا يسخر من لكنتها لها الحق في أن تخبر العالم أنني كنت متعبة عند الفطام.

وهذا يوصلني إلى الشخصية الرئيسة في كتابي، أبي. حين بدأت كتابة قصصي لم يكن لدي تصور أن أبي سيحتلها بوضوح، فغالبًا أبدأ الحديث عن نفسي وحين أنتهي أجد أنها كانت عن أبي، كيف حدث ذلك، لا أدري.

حين أخبرت والديّ أول مرة أنني أكتب قصصًا عن حياتي، كانت ردة فعلهما تتلخص في كلمة واحدة: "أوه". ولهذا اتصلت أولًا بالسيدة ساندبيرغ. يمكننا وضع ردة فعل والديّ في سياق ماضيّ: لقد كنت هاوية متسلسلة.

بدأ الأمر في الصف الخامس، فقد اكتشفت كيف أطلب بعض الأغراض من مجلة هزلية، كانت أكثر مشترياتي – عدا قرود البحر – تكلف أقل من خمسة دولارات، لذا كان أبي يكتب الشيكات بسعادة. كان يعتقد أن اهتمامي الجديد يمنحني شيئًا مشتركًا مع الأطفال الأمريكيين، لكنه لم يكن كذلك. كنت أحب تلقي الطرود في البريد فقط. منظار، رقع، ملصقات، كتب نكات، سلسلة من الحاجيات الرخيصة عديمة الفائدة التي تراكم الغبار في خزانتي. لم تكن الأغراض مطابقة لوصفها، لم يردعني ذلك، لكن الجيش الأمريكي فعل.

بدأ الأمر وانتهى بإعلان شبه برئ للحصول على قبعة الجيش الأمريكي

Twitter: @ketab_n

مجانًا، وكان كل ما علي فعله ملء استمارة ببعض المعلومات الأساسية، كما كان علي أن أكون في الثامنة عشر، لكن هذا كان تفصيلًا ثانويًا بالنسبة لي. لقد غيرت تاريخ ميلادي ببساطة وبعد أربعة أسابيع كنت المالكة الفخورة بقبعة الجيش الأمريكي المزينة بعلم كبير لأمريكا. وقبل أن أستمتع بغنيمتي الجديدة، بدأنا نتلقى مكالمات هاتفية من مشغلين كانوا مهتمين بالحديث إلي للانضمام إلى الجيش. رغم أنني كذبت بشأن عمري إلا أن غارتي الأولى في حياة الجريمة كانت فاشلة لأني أعطيت رقم هاتفي الصحيح. تظاهرت أمي بتجاهل المتصلين الذي لم يكن طويل المدى بالنظر إلى لغتها الإنجليزية، لكن لم يكن لمهاجرة مشوشة أن تثني هؤلاء الأشخاص. أخيرًا، بعد عشر مكالمات متوالية أثناء العشاء التقط أبي السماعة وشرح أنني كنت في الحادية عشر فقط ولا أرغب بالانضمام إلى الجيش بقدر ما أردت القبعة، لم يكن المشغل سعيدًا بسماع ذلك وأخبر أبي أنني ارتكبت جريمة لأنني كذبت على الحكومة، وأن هذا خطير جدًا لكنه سيغفر لي لهذه المرة فقط.

لم يعد يسمح لي بطلب أي شيء، ومع ذلك سمح لي أبي بالاحتفاظ بالقبعة لأنه رأى عدم جدوى رمي إكسسوار جميل فعلًا. تبرعت بالقبعة بعد سنوات إلى جيش الخلاص[36]، فقد وصمت ذكراها الكوابيسُ التي اختبرتها كلما نظرت إليها.

لو لم ترمِ أمي قرود البحر خاصتي في المرحاض حين كنت في المدرسة، لما انتقلت إلى هوايتي التالية، الخياطة. كان والداي سعيدين جدًا لاختياري هواية طبيعية- هواية لا تتضمن أناسًا لحوحين يتصلون للسؤال عن مكاني- واشتريا لي آلة خياطة. بدأت هوايتي الجديدة

(36) - جماعة مسيحية بروتستانتية دولية مستقلة عن الكنيسة تقوم بأعمال خيرية لمساعدة الفقراء.

Twitter: @ketab_n

بحماس وملأت خزانتي سريعًا بإبداعاتي. وصلت مهنتي في الخياطة إلى الحضيض مع خياطة ثوب تخرجي في الصف الثامن، الثوب المكشكش بالطبقات المتعددة والمزين بياردات وياردات من الحلقات وشرائط الحرير الزهرية والزرقاء، وكان معه قبعة قش بحواف اشتريتها من "جي سي بيني" وزينتها بشرائط مماثلة وعقدتها على هيئة فراشة.

وجدت ابنتي الثوب بعد خمسة وعشرين عامًا وسألتني إن كانت تستطيع ارتداءه في الهالوين قائلة:يمكنني أن أكون بو بيب الصغيرة.

انتهت مسيرتي الفظيعة في الخياطة حين طلب مني شاروخ ابن عمي أن أخيط له بنطاله، وأنهى طلبه، مقرونًا بالتعليق على قبح ثيابي، ما كان يمكن أن يصبح مهنة في تصميم الأزياء، فبعت آلة الخياطة وانتقلت إلى الحياكة.

تعلمت ان أحوك ثلاثة أشياء: أوشحة وجوارب مزينة بكرات وشالات بتهديبات طويلة. لأنني كنت أفتقر إلى التنويع كنت أعوض ذلك بالكم، فقد حكت هدايا لكل أقاربي و لم يرتدها أي منهم، بالإضافة إلى أن جو كاليفورنيا الجنوبية الصيفي على مدار العام لم يكن يشجع على ارتداء الأوشحة المحاكة، وآخر مرة ارتدت فيها امرأة شالًا بتهديبات، كانت ما تزال بيتسي روس[37] تخيط علمها. حين تُفتح الهدايا لم تكن تُرى بعدها أبدًا.

خنقت ردود الفعل الفاترة هذه إبداعي الصوفي (من الصوف)، فتحولت إلى هواية جديدة تمامًا تتعلق بوصفة للعجين المالح ثم تخبز في الفرن لساعات مسفرة عن أشياء عديمة النفع إلا في ملء الرفوف.

(37) - أول من خاطت العلم الأمريكي عام 1776.

Twitter: @ketab_n

اكتشفت هذه الهواية في أيام العطل: كانت صديقتي لوري تستخدمها لتزيين شجرة عيد الميلاد. قررت بعد أن وجدت قلة الزينة في منزلنا المسلم أن أصنع أكاليل لعائلتي الكبيرة. تضيف الأكاليل، كما خطر لي، لمسة احتفالية دون أن يعني ذلك أن العائلة تخلت عن أساليبها التقليدية وأنها ستشوي خنزيرًا في الفناء الخلفي في الخامس والعشرين من ديسمبر.

منحوتات من أرطال وأرطال من الطحين والملح. طرح السؤال عن الحكمة من الأحجام الكبيرة لهذه الزينة حالما خرج الإكليل الأول من الفرن، لقد كان يزن أربعين رطلًا، وبما أنني كنت قد اشتريت المواد الأولية شعرت أنه ليس لدي خيار سوى بالمواصلة، فمزجت وعجنت وخبزت ولونت، وبعد سبعة أيام وسبعة أكاليل، أنهيت العمل.

أظهر المستقبِل الأول والثاني والثالث لزينة الأعياد تعابير الوجه نفسها، الارتباك المقرون بشد أسفل الظهر، ولم يستلم الأربعة الباقون أكاليلهم والفضل لأمي التي قالت لا ترسلي البقية.

و خنق إلهامي عندها لكنه ما يزال يرغب ببعض الهواء فانتقلت إلى هوايتي التالية خبز الحلويات، واعترضني تدخل عائلي ثانية: توقفي عن الخبز، سيزداد وزننا. قوبلت مرحلة التصوير باللازمة نفسها: كفي عن التقاط الصور لنا، دون تقدير للقطاتي (أمي تنهض من فراشها، جدل بين والديّ، أبي نائم على الأريكة)، أجبرني والداي على أن أصور الطبيعة. أربعة أفلام من الصور بالأبيض والأسود لأوراق الشجر على الأرض وكنت بعدها مستعدة للبحث عن هواية جديدة.

كان يجب تقدير مرحلة الرسم لدي وتشجيعها أكثر بكثير، فقد ظهرت مهارتي في رسم صورة شخصية تصور امرأة عجوزًا مبتسمة سميتها "أنا

Twitter: @ketab_n

من الداخل"، وقال والداي إنها لا تشبهني.

لو كان بيكاسو من أفراد عائلتي لكان انتهى به الأمر أن يصبح محاسبًا. في الوقت الذي تعتبر فيه الهندسة ممتعة لم يكن هنالك مساحة كبيرة لرسمة موزة راقصة مثل التي رسمتها لابن عمي علي ولم أرها ثانية. عائلتي لديها مؤلف ناجح واحد وهو ابن عمي مهدي مؤلف كتاب البرامج "مركزية العملية في البيئات الهندسية" الذي لم يقرأه أحد في العائلة مع استثناء بسيط لمهدي نفسه.

بعد أن مات إلهامي ودفن، انتقلت إلى الجامعة والزواج والأمومة، وهذا يفسر صمت والديّ عندما أعلنت ، بعد مرور عقدين على آخر هواية، أنني أكتب قصصًا.

حين عثرت على وكيل، لم يبديا أي رد فعل، وعندما وقعت العقد مع دار راندوم هاوس للنشر لم يظهرا أي ردة فعل فسألتهما: تعرفان راندوم هاوس أليس كذلك؟

- لا

- إنها صفقة كبيرة جدًا.

تلقيت مكالمة هاتفية من أبي بعد شهر وسألني لاهثًا من الإثارة: ما اسم المكان الذي يريد قصصك؟ فأجبت: راندوم هاوس. فقال: إنه كبير!

يبدو أن أبي كان يتابع توم وجيري مع ابنة أخي أوبالعكس، وكانت إحدى الشخصيات تقرأ كتابًا مطبوع في راندوم ماوس، فرؤية دار النشر تذكر في مسلسل كارتوني كانت لحظة حاسمة، ومنذ ذلك اليوم تحمس أبي، وبدأت الاتصالات اليومية.

Twitter: @ketab_n

- احرصي على أن تذكري أنني اشتريت شقة في نيوبورت بيتش.

- هل أخبرتك من قبل عن الطالب الذي رسّبته لأنه عرض علي رشوة؟

- هل لديك خمس عشرة دقيقة؟ لقد تذكرت قصة للتو.

- يجب أن يكون الفصل الأخير عني.

جعلته يقرأ القصص حين انتهيت من الكتابة، وأحبها جميعًا عدا واحدة "أمريكا بلاد المجان"، واشتكى قائلًا: هذا الفصل يجعلني أبدو رخيصًا، فأكدت له أن الاستمتاع بالعينات المجانية تجربة عالمية.

وافق على إبقاء القصة مظهرًا روحًا كريمة: إنها مهمة للكتاب. ومع ذلك اشتكى أنه سيكون معروفًا في "ذا برايس"، ليس هناك صور في هذا الكتاب، أليس كذلك؟

اكتمل العمل بالكتاب في صيف 2002 وتقرر أن يصدر في الصيف التالي، ولم يعجب ذلك أبي فقال: العمل منتهٍ فلم ينتظرون كل هذا الوقت؟

فشرحت له عملية التسويق ومواسم النشر وأهمية طرح الكتاب خلال موسم الصيف، وبعد كل شرح كان أبي يصر على معرفة سبب عدم طرحه الآن. كلما ذكر الشرق الأوسط في الأخبار يتصل بي قائلًا: اتصلي براندوم هاوس وقولي لهم إنهم يرتكبون خطأ جسيمًا، يجب أن يصدر كتابك الآن. من يتخذ القرار في راندوم هاوس؟ لماذا لا ينشرونه في عيد الميلاد على الأقل؟ يبدو ذلك معقولًا اكثر.

قبل النشر بستة أشهر اتصل بي في منتصف النهار صارخًا في الهاتف لقد بعت مليون وخمسمئة ألف نسخة!

Twitter: @ketab_n

فسألته بهدوء شديد لم يقول ذلك: لقد دخلت موقع أمازون وهو يقول معدل المبيعات 1/497/000 !!! كان ما يزال يصرخ على السماعة.

فقلت: اسمعني بابا معدل المبيعات هو حيث يقارن كتابي بالكتاب الأول الأكثر مبيعًا، و 1.5000000 هي في أسفل البرميل، بالإضافة إلى أن كتابي لم يطرح بعد لمَ تظنني سأبيع نسخة، ناهيك عن 1.5 مليون نسخة؟

فسمعت صوتًا خافتًا مهزومًا على الطرف الآخر: أوه.

قبل أشهر من النشر بدأ كتابي يراجع ويذكر في الإذاعة وشبكة الإنترنت، وهذا أدى إلى تغيير في المعدل، وانتشى أبي بوصول كتابي إلى 40.000، وبدأ يحتفظ بمفكرة بالتاريخ والوقت ومعدلي.

البارحة في العاشرة صباحًا كان 46.789، واليوم في العاشرة أصبح 42.857، هذا جنون!

كان يتضايق جدًا حين يهبط معدلي فيسألني في الساعة السابعة ونصف صباحًا بينما كنت أحاول أن أجهز أولادي للمدرسة: ما الذي يفعله عند 64.432؟

يمتلك أبي اليوم دفترًا مليئًا بما قد يكون المعلومات الأكثر تفاهة في العالم، حاولت إثناءه عن هذه الهواية المستحدثة لكن أبي رفض مصرًا على أنه يود أن يتذكر هذه الفترة من حياته إلى الأبد.

علّم أخي فرشيد أبي - في محاولة لتوسيع مداركه في استعمال الحاسوب إلى ما وراء موقع أمازون- كيف يبحث عني في محركات البحث على الإنترنت، فكرس أبي منذئذ سنوات تقاعده لقراءة مقالات

Twitter: @ketab_n

عني وتتبع كل ما ينشر عن كتابي.

أخبرني مرة: هناك مكتبة في ماين تعرض كتابك، عليك أن تتصلي بهم وتشكريهم. كان يحب قراءة المراجعات بما أن معظمها كان لطيفًا، ومع ذلك لم يكن هناك من هو أكثر غضبًا منه على الذين لم يحبوا كتابي، فسألني أبي الحانق يومًا: من هم ببليشرز ويكلي؟ عليك الاتصال بهم وإخبارهم أنهم لا يعرفون شيئًا.

حين نشر الكتاب أخيرًا، كان أبي متضايقًا لأمر واحد: كان عليك استخدام اسم العائلة، فذكّرته أنه هو السبب في أنني لم أفعل فقال: وكيف لي أن أعرف؟

أمضى هو وأمي الشهر الأول بعد النشر يتنقلان من مكتبة لأخرى فقط للنظر إلى الكتاب، وجعلتهما يعداني ألا يحرضا رواد المكتبة على شرائه.

دعوت والديّ للحضور إلى كاليفورنيا الشمالية في جولتي الأولى لتسويق الكتاب والاستماع إليّ في متجر الكتب، فقال أبي: سآتي مهما حصل، لكن لا تعرفي الناس بنا.

ذكرني أبي طوال اليوم الذي سبق توقيعي للكتاب أنهما لا يريداني أن أقدمهما للجمهور تحت أي ظرف، فقلت له: لا تقلق، هذه الأمسية عني.

قبل أن نصعد السيارة بعشر دقائق قالت لي أمي: أريد أن تقدميني للجمهور، فقلت: انسي الأمر.

حضر جلسة القراءة أكثر من مئتي شخص. جلس والداي في الصف الرابع، وحين قدمني مدير المكتبة نظرت إلى أمي، كانت تبكي ولم

Twitter: @ketab_n

أتمكن من النظر إلى أبي ولو لمرة خوفًا من أنني سأنفجر بالضحك ولن أتوقف.

سألني أحد الجمهور بعد القراءة كيف يشعر والديّ حيال الكتاب، فقلت إنهما أحباه وإنهما حاضران بين الجمهور لكنهما لا يرغبان أن أقدمهما إلى الحضور، ثم أضفت: لذا إن رأيتم رجلاً كبيرًا بما يكفي ليكون أبي ويشبهني تمامًا فتلك مصادفة.

حين انتهت الفعالية تحلق حشد من الجمهور حول والديّ، وكنت أسمع أبي يخاطبهم قائلًا بظرافة: سأقاضيها! سأقاضيها!

قالت أمي في طريق العودة إلى المنزل إن هذه كانت الليلة الأجمل في حياتها، أما أبي فقال إنه يرغب أن يمثل ستيف مارتين دوره في الفيلم.

أصر أبي حين عرف أنني أكتب آخر قصة لنسخة الغلاف الورقي أن أضيف توضيحًا، قال: عندما شاركت في برنامج "بولينغ فور دولارز"، أحضر كل متسابق كرة البولينغ خاصته باستثنائي، وكان علي استخدام كرة شخص آخر، لقد كانت ثقيلة جدًا وهذا سبب أدائي المتدني. فقلت: لا بأس بذلك، لقد فزتُ بالجائزة الكبرى بسبب تلك القصة.

******

Twitter: @ketab_n

قالوا عن الكتاب:

"مذكرات ظريفة وعميقة عن حياة مفعمة بحب العائلة والوطن والتراث".
جيمي كارتر

"ساحرة ومضحكة.... هذه قصة حياة لطيفة لكاتبة تحب شعبها، وتعكف على الإشارة إلى الجوانب العبثية من الثقافتين الأمريكية والإيرانية وهذا بحد ذاته نجاح مذهل". **صحيفة نيوزداي**

"مثيرة على نحو مبهج... تتمتع قصص دوماس بطابع عالمي يمكّن الناس من أي ثقافة من فهمها.... يمكن للمرء أن يقول أن كتاب مضحك بالفارسية ممتع (خنده دار). اسم على مسمى بأي لغة". مجلة ميلووكي **جورنال سينتينل**

"تتمتع دوماس بشخصية فكاهية، تحاول استخلاص الجزء الأخرق من أكثر المواقف مأساوية وتختار مجموعة من التقاليد والمعتقدات الإيرانية التي عُدلت على نحو غريب بمرور السنوات لتصبح عائلتها إيرانية أقل وكاليفورنية أكثر". **مجلة تايم آوت نيويورك**

"مجموعة مضحكة... تترجم بوضوح تجربة المهاجرين من أي بلد في العالم..... يقربنا الكتاب من اكتشاف ماذا يعني أن تكون أمريكيًا". صحيفة **سان خوسيه ميركوري نيوز**

"ينصح بقراءته.... اليوم حين يتعرض الشرق أوسطيون إلى التنميط والعنف العنصريين، يقدم هذا الكتاب لمحة مهمة عن تجربة الهجرة لعائلة مسلمة". **مجلة لايبراري جورنال**

"مذكرات خفيفة كالنسيم.... دافئة وأخاذة". **مجلة كيركس ريفيوز**

هاجرت الإيرانية الأصل فيروزة دوماس مع عائلتها إلى كاليفورنيا الجنوبية حين كانت في السابعة من عمرها، وتخرجت من جامعة كاليفورنيا في بيركلي. تعيش اليوم مع زوجها وأبنائها في كاليفورنيا الشمالية.

مسارات للنشر والتوزيع
MASARAT PUBLISHING & DISTRIBUTION

+ 965 66560700
@darmasarat1
dar_massarat
dar.masarat@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة